المقدمـــــة

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ (الكهف 1)

و﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا﴾ (الأعراف 24)

والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، فكان أفصح العرب والعجم، نزل عليه القرآن هدىً ورحمةً للمؤمنين، وعلى آله وصحبه مصابيح الدُّجى وحملة مشاعل الهدى ومن سار على هديهم.

القرآن هو المعجزة الكبرى للنبي صلى الله عليه وسلم، والباقية الخالدة إلى يوم الدين نسخ الله به الكتب السماوية وأتمه فلا نقصان فيه .

وهو الذي لا تزيغ به الأهو اء، ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق من كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، فاقت بلاغته كل بلاغة وسحر ببيانه العقول، وتحدَّى ربنا أساطين البلاغة والبيان أن يأتوا بمثله.

ولهذا فإن خير الدراسات والبحوث ما كان مجالها كتاب الله تفسِّر آياته، وتبيّن أحكامه، وتتذوق بديع نظمه وبلاغته، وذلك مما يتشرف به كل باحث، ويتوق إليه كل طالب. ولقد كان للغة العربية شرف كبير استمدته من كونها خادمة للقرآن حاملة لعلومه، وناقلة لدروسه .

أسباب اختيار الموضوع :-

1. طبيعة الموضوع العدول الصرفي في قصص القرآن الكريم التي تفرض الاغتراف من علوم كثيرة كالتفسير والبلاغة والصرف وما جادت به العلوم الحديثة كالأسلوبية، وقد رأيت في ذلك فرصة للاستفادة من هذه المشارب المختلفة ثم توظيفها في خدمة الموضوع .

2. رغم كثرة الدراسات حول القرآن الكريم إلا أن معظمها تناول بلاغة القرآن ككل، وقليل منها تناول ظاهرة منفردة كظاهرة العدول الصرفي، وقد لا نجد من تناولها في دراسة محددة كالقصص.

3. مصطلح العدول متشعب ومتفرق في ثنايا مصنفات تراثنا بأسماء عده ومصطلحات مختلفة، ولـــم يفرد مثل هذا الموضوع (العدول الصرفي) بمؤلف خاص يقدمه تقديماً متكاملاً.

أهمية الموضوع :ـ

إن البحث في بلاغة القرآن الكريم أمر عظيم الأهمية لأنها وثيقة الصلة بإعجاز القرآن الكريم بـــل هي أظهر وجوه إعجازه، والقصة القرآنية من أهم الوسائل التي استخدمها الإسلام لتغذيـــة العقـــول وتهذيب النفوس وأخذ العظة والعبرة.

وتكمن الأهمية العلمية لهذه الدراسة في كونها تقود إلى إبراز الإبداع القصصي في القرآن الكـــريم وما تمثل فيه من صور بلاغية وأسلوبية وغايات دلالية للعدول بين الصيغ الصرفية.

أهداف البحث :ـ

1. استقراء صور العدول الصرفي في قصص القرآن الكريم، ودوره في تأدية المعنى.

2. تطبيق صور العدول الصرفي وربطها بالمقام "مقتضى الحال"واستكناه مراميها الأسلوبية ودورها في تحقيق أهداف قصص القرآن الدينية والفكرية .

3. قراءة البلاغة قراءة جديدة مع ربطها بالبحث الأسلوبي الحديث.

4. تطبيق القراءات البلاغية الجديدة على القرآن الكريم .

منهج البحث:ـ

المنهج المختار لهذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي.

حدود البحث:ـ

هي قصص القرآن الكريم.

مشكلة البحث:ـ

دراسة ما للعدول الصرفي من غايات ومرامٍ فنية وإيحائية .

اسئلة البحث :ـ

1. ما أشكال العدول الصرفي في قصص القرآن الكريم؟
2. ما غاياته الفنية والمعنوية؟.
3. ما أبعاده الأسلوبية؟.
4. ما أثر السياق والمقام في توجيه دلالة الصيغة الصرفية؟ .

الدراسات السابقة :ـ

تناثرت بعض نماذج العدول الصرفي في القرآن الكريم في مواضع متفرقة من كتب التراث لا سيما كتب التفسير عند الزمخشري، وابن حيان والألوسي وابن عاشور وغيرهم، إلا أن هذه المؤلفات استهدفت المعنى أولاً وأخيراً . وكذلك كتب البلاغة وعلوم القران كـ (دلائل الإعجاز) و (البرهان) و (الإتقان) وغير ذلك من التآليف المتخصصة التي عرضت لبعض مباحث الموضوع كـ (مشكل القرآن) و(مجاز القران) وغيرهما، وكل ذلك من الوجهه المعنوية المحضة، أما الوجهه الفنية فلا نكاد نقف على تطبيقات لها في الخطاب القرآني إلا في القليل النادر.

وفي العصر الحديث حاولت بعض الدراسات لم أشتات الموضوع إلا أنها لم تحقق الغاية المنشودة لأنها لم تقتصر على العدول الصرفي في قصص القرآن، الأمر الذي شجع الباحثة على تناوله ومحاولة استيعابه في فصل خاص به، ومن أهم هذه الدراسات :ـ

1/ **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية** د. حسن طبل في الفصل الثالث، وهو الفصل التطبيقي يعرض د. حسن ست صور من صور الالتفات وهي : الالتفات في الصيغ ، والالتفات في العدد والالتفات في الضمائر، والالتفات في البناء النحوي، والالتفات المعجمي .

وقد هدف إلى دراسة الالتفات بصورة مستقلة، وتحليل بعض المواطن القرآنية التي تمثلت فيها صورة الالتفات وتمحيص آراء العلماء في كل موطن . وتوصل إلى أن ظاهرة الالتفات من أكثر الظواهر انتشاراً في القرآن الكريم إلا أنها لم تحظ بدراسة مستقلة .

ويلاحظ أن كثيراً من هذه الصور لا يدخل ضمن العدول الصرفي كما أن هذه الدراسة تتناول نماذج تمثيلية لظاهرة العدول في القرآن عامة وليس القصص خاصة، فمن البدهي أنها لم تحط بمعظم نماذجه وعليه ستكون دراستنا في القصص القرآني أكثر إحاطة بصور العدول فيها .

2. **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني:**ــ د. فاضل السامرائي في هذا الكتاب يتناول د.فاضل المفردة في القرآن الكريم، بغية تلمس الفروق بين استخدام المفردات ومحاولة تعليلها تعليلاً معتمداً على الامور اللغوية المسلّمة والقواعد المقررة والاستعانة بالسياق لتلمس الفروق في الاستعمال، فتناول نماذج من صيغ المشتقات تمثل العدول عن صيغة إلى أخرى، ومما تناوله الذكر والحذف، كما في (تنزّل ــ تتنزّل)، وفعّل وأفعل كما في (وصَّى ــ أوصى)،

وتناول الإفراد والتثنية والجمع، وتعاور المفردات، ورغم أن بعض هذه الأبواب تدخل ضمن دراستنا إلا أننا سنورد نماذج مختلفة، وسنتطرق إلى أبواب أخرى كالتعريف والتنكير والتذكير والتأنيث والعدول في زمن الفعل ....الخ).كما أن دراستنا تقتصر على قصص القرآن.

3. **العدول الصرفي في القرآن الكريم:** "دراسة دلالية" للباحث: هلال محمود الجحيشي، رسالة دكتوراة جامعة الموصل 2005م .

وهدفت الدراسة إلى استقراء صور العدول الذي ورد في القرآن الكريم فيما بين الصيغ المعدول عنها والمعدول إليها حسب اتفاقها في جذر واحد، وفي كونها في سياق واحد . فالاتفاق في الاشتقاق والسياق هما المعياران المعتمدان في هذه الدراسة .

وتوصلت الدراسة إلى أن العدول الصرفي في القرآن الكريم نوعان : عدول عن أصل ، وعدول عن قياس ، وتبين أن دلالات العدول عن أصل تختلف عن دلالات العدول عن القياس إذ لكل منها دلالاته الخاصة به تحتمها طبيعة كل سياق ورد فيه العدول بناءً على المعنى المقصود الذي يراد تحقيقه في النص القرآني .

وقد تناولت الدراسة الدلالة المعنوية فقط ولم تتطرق للأبعاد الفنية للظاهرة ولم تتطرق للأغراض البلاغية أو النكت الفنية والأسلوبية موضوع دراستنا كما أن حقل الدراسة كان القرآن عامة .

4. **ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في القصص القرآني** :ــ دراسة بلاغية : للباحثة سهير مدحت حمدان ــ كلية الآداب ــ الجامعة الإسلامية ــ غزة . للحصول على درجة الماجستير 2003م .

وقد هدفت الدراسة إلى إثبات ما تفرد به القرآن من صور ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في جوانبها البلاغية ودلالتها في القصص القرآني .

وقد تناولت الدراسة جميع أنواع خلاف مقتضى الظاهر، ولم تتعرض للعدول الصرفي إلا في الالتفات، والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، والتعبير عن الماضي بلفظ المستقبل، والتعبير عن المفرد بصيغة الجمع والتعبير عن الجمع بصيغة المفرد .

وخلصت إلى الكشف عن بعض الأسرار الفنية للظاهرة ، وأثبتت أن الالتفات قد أخذ حيزاً كبيراً في القصص لأنه من أجلّ علوم البلاغة .

والملاحظ أن هذه الدراسة لم تتطرق للكثير من صور العدول الصرفي التي سنتطرق لها .

5. **العدول في القرآن الكريم على وفق نظرية التلقي دراسة أسلوبية** : بثينة خضر محمد سيد أحمد، رسالة دكتوراه في فلسفة اللغة العربية ، كلية الآداب جامعة البصرة 2005م وقد تناولت

الدراسة العدول بالحذف والعدول في الرتبة والموقعية وانصب جل الدراسة على الجانب التركيبي . وتناولت بعض صور العدول الصرفي باختصار كالعدول في زمن الفعل والعدول في بعض صيغ المشتقات وتوصلت إلى نتائج أهمها أن كل تغاير أسلوبي أو موقعي يحدث بصمات أسلوبية ويحقق ملامح بلاغية ودلالية فهو عدول .

وهذه الدراسة اهتمت بالعدول في التراكيب في القرآن الكريم ولم تقتصر على العدول الصرفي في القصص القرآني .

لقد كانت هذه الدراسات وغيرها إضاءات استرشدت بها في بحثي هذا كما كان لها فضل السبق في إثارة الموضوع، وقد جعلت اعتمادي ــ بعد الله تعالى ــ على الكتاب الكريم واتخذت كتب التفسير والبلاغة واللغة عماداً للبحث وغير ذلك مما تيسر لي الاطلاع عليه واستعنت به في فهم كثير من النماذج .

هيكل البحث :ـ

قُسِّمَ هذا البحث إلى ثلاثة فصول في كل فصل مبحثان فضلاً عن المقدمة والتمهيد والخاتمة والفهارس.

المقدمة: اشتملت على مكونات البحث واهتم التمهيد بالتعريف بالعدول، والإشارة إلى مباحث القدماء والمحدثين لهذا المصطلح ومكانه من الدرس اللغوي مع بيان العدول الصرفي وغايات العدول.

الفصل الأول : بعنوان الأسلوبية والبلاغة والقصة القرآنية.

المبحث الأول : الأسلوب والأسلوبية والبلاغة .

المبحث الثاني: القصة في القرآن الكريم.

أما الفصل الثاني: بعنوان العدول في الاسم وصيغ المشتقات .

المبحث الأول : العدول في الاسم من حيث العدد والجنس والتعريف والتنكير والالتفات .

المبحث الثاني: العدول في صيغ المشتقات.

والفصل الثالث: بعنوان العدول الفعلي .

وتناول المبحث الأول: العدول في الأفعال من حيث الزمن.

وأما المبحث الثاني فقد تناول : العدول عن صيغة فعلية إلى أخرى .

وجاءت الخاتمة متضمنة لأهم النتائج التي خلص إليها البحث مرتبة حسب ورودها في الفصول والمباحث.ثم أثّبَتُ المباحث والمراجع التي أخذت منها وأخيراً كان فهرس الدارسة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا العمل كان إزاءه الكثير من الصعوبات، ولكن استعانتي بالله أولاً ثم أستاذتي ومعلمتي د. سنتا محمد علي ذللت عليّ الكثير منها ، ومن أهم الصعوبات طبيعة عملي في جامعة إفريقيا العالمية، وندرة المراجع المتصلة بالدراسة وخاصة الحديثة منها، فإن مكتباتنا تفتقر للكثير من هذه الكتب .

ولا يسعني في نهاية المطاف إلا أن أقدم خالص شكري وتقديري إلى كل من قدّم لي يد العون والمساعدة في سبيل إتمام هذا البحث، وإني لأعلم بصعوبة مركبي، ولا أدعي لنفسي فضلاً أو بلوغ الكمال فيه، وحسبي أني درستُ واجتهدتُ، فإن اصبتُ فذلك من توفيق الباري سبحانه وتعالى، وإن أخطأت فمن تقصيري وما توفيقي إلا بالله .

تمهيـد

درجت العربية في صياغة كلامها على ما يقتضيه ظاهر الحال من المطابقة والوضوح، وعُرِّفت البلاغة بأنها:" مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته" والمراد بالحال: الأمر الداعي للمتكلم أن يعتبر في كلامه خصوصية ما.

ومطابقة الكلام لمقتضى الحال هي مجيء الكلام مشتملاً على تلك الخصوصية التي اقتضاها الحال، أذن الحال هو الموقف أوالمقام وما يرتبط به من ملابسات تتصل بالمتكلم أوالمخاطب أوظروف الكلام، وقد سماه عبد القاهر الجرجانى (توخي معاني النحو) والسكاكي (متعارف الأوساط).

ولكن البلاغة قد تقتضي الخروج على هذه المطابقة قصداً إلى إشارة لطيفة أوملحظ دقيق، والمخالفة عند البلاغيين تجري في الكلام على أنواع منها : وضع الظاهر موضع المضمر وعكسه، والالتفات، والتعبير بصيغة من صيغ الأفعال أو الأسماء عن صيغة أخرى، وتنزيل المتعدي منزله اللازم... والخروج موجود في أقسام البلاغة جميعها وهو ماعبر عنه بالعدول عن أصل القاعدة أو أصل الوضع ويأتي لأغراض بلاغية.

والأسلوب العدولي يشمل كل تحول أو انحراف في نسق التعبير لا يتغير به جوهر المعنى أو(البنية العميقة على حد اصطلاح التحويليين) وهو يمثل معيار الفنية والإبداع في اللغة بانحرافها عن الثابت المألوف "فإن النفس شيمتها الضجر مما يتردد والولع بما يتجدد".[1]

[1]- أبو الحسن حازم القرطاجني / منهاج البلغاء وسراج الادباء تحقيق محمد الحبيب... تونس: دار الكتب الشرقية،1966م.

ولذلك نجد أن من أهم مباحث الأسلوبية انحراف الكلام عن نسقه المثالي المألوف، لأن الأسلوبيين نظروا إلى اللغة في مستويين، الأول: المثالي أو النمطي في الأداء العادي. والثاني المستوى الفني أوالإبداعي الذي يقوم على اختراق هذه المثالية وانتهاكها,

وإذا كان النحاة واللغويون قد أقاموا مباحثهم على رعاية الأداء المثالي، فإن البلاغيين أقاموا مباحثهم على أساس خرق هذه المثالية أوالعدول عنها في الأداء الفني.

وإذا تبين أن العدول هو معيار فنية اللغة فأن السؤال المنطقي هو : عمّ يكون العدول؟ فالراجح أن العدول انزياح عن أصل يمثل الصورة النمطية لفن القول التي كان على المتحدث أن يخرج خطابه وفقها أي: ما يعرف عند القدامى بـــ (الأصل).[1].

أما الأصل الصرفي فهو المعنى الأول الذي تحمله الصيغة الصرفية على نحو: " كون صيغة اسم الفاعل الدالة على فاعل الحدث أو من قام به مع التجدد والحدوث في معناه أصل صيغ المبالغة".[2] فتكون صيغ المبالغة معدولة عن اسم الفاعل.

والأصل ألا يُخْبَر بالماضي عن المستقبل، ولا يُسْنَد المذكر إلى المؤنث ولا المؤنث إلى المذكر، ولا يُوصَف المفرد بالجمع ولا غير ذلك ـــ من أشكال العدول التي سنبينها لاحقاً بإذن الله ـــ "لأن المطابقة بين عناصر الجملة شرط في تأدية الكلام" .[3] إلا أنه قد تعدل العربية عن ذلك غير عابئة بما تستوجبه سنن المطابقة قصداً منها إلى أشارة لطيفة أوملحظ دقيق.

والحاجة البيانية أوالفنية تَلجيء منشئ الخطاب إلى التخلي عن النمط وترك السنن، فيعدل عن الأصل إلى الفرع ولكن هذا العدول لا يكون الأ عند أمن اللبس لأنه يعكس قدرة المتكلم على التصرف في اللغة وتطويعها إلى حاجته البيانية والفنية.

---

[1] – عبد السلام المسدي / الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب تونس ـــ ط3 1982م ص 78.

[2] – عبد الهادي الفضل / مختصر الصرف.. بيروت: دار القلم، د. ت: ص 58.

[3] – تمام حسان / البيان في روائع القرآن.. القاهرة: عالم الكتب، 1993: ص 235.

وأن كنا نُسَلِم بأن الجانب الفني ليس هو المقصد الأول للقرآن الكريم إلا أننا نرى أن (إدراك الجمال الفني دليل استعداد لتلقي التأثير الديني).[1]، ومن ثم كان بحث الجوانب الفنية في القرآن الكريم غاية علمية ودينية في أن واحد.

ولما كانت الجوانب الفنية في اللغة بشكل عام وفي القرآن بشكل خاص متعددة بحيث يتعذر حصرها، وكان موضوع العدول شاملاً لكل مستويات اللغة فإن هذا البحث يستهدف دراسة نوع واحد من العدول هو العدول الصرفي من حيث أنماطه المتعددة وغاياته المختلفة في قصص القرآن وتوطئة لذلك نُعَرِّف بالمفاهيم الأساسية في البحث.

أولاً: مفهوم العدول:

لغـة: يقال عَدَل عنه يَعْدِل عَدْلاً وعُدولاً: حادَ ومالَ وعَدَل إليه: رجع وعَدَلَ عن الطريق عُدولاً: مال عنه وانصرف.

عِدْل الشيء بالكسر: مثله من جنسه أومقداره.

وعَدْله بالفتح: ما يقوم مقامه من جنسه).[2]

وفي تراثنا إشارات ولمحات لمفهوم العدول عند اللغويين والبلاغيين والمفسرين بمسميات مختلفة في اللفظ متفقة في الدلالة مع المادة اللغوية المنقولة من المعاجم، كالالتفات والانحراف والتحول وخرق السنن والانصراف والصرف ومخالفة ظاهر اللفظ معناه، وتلوين الخطاب والتوسع وكلها تدل على ظاهرة التحول الأسلوبي.

اصطلاحاً : تتفق كل المفاهيم على أن في العدول معنى الخروج أوالتحول عن المألوف ونقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر، وهذا الانتقال له أثره الفني والجمالي في النص، فالصياغة المعدول عنها تمثل اللغة في مستواها القياسي بينما تمثل الصياغة المعدول إليها اللغة في مستواها

[1] – سيد قطب / التصوير الفني في القرآن: دار الشروق . القاهرة ط 12 1992م ص 117.

[2] – جمال الدين أبو الفضل ابن منظور. لسان العرب . تحقيق امين محمد ومحمد صادق العبيدي . دار إحياء التراث العربي : بيروت ط 3 1999م ، مادة (عدل).

البلاغي " وفي التمييز بين المستويين ما يدعم ظاهرة التحول الأسلوبي بوصفه عدولاً اختيارياً، وتوظيفاً للطاقات الإبداعية الكامنة في اللغة وليس كما يصور بأنه تجاوز للقياس أوانتهاك متعمد لقانون اللغة" .[1]

هذا عن العدول بشكل عام، أما العدول الصرفي فأنه يتحدد أولاً بتعريف الصرف الذي هو : "علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب" .[2] أو هو " تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها " .[3] والتصريف على ما حكى سيبويه: "هو أن تبني من الكلمة بناءً لم تبنه العرب على وزن ما بنته ثم تعمل في البناء الذي بنيته ما يقتضيه قياس كلامهم" .[4] وفائدته: " حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد".[5]

فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعرُف اللغة لأن التصريف نظر في ذات الكلمة والنحو نظر في عوارضها يقول السيوطي: " وأما التصريف فإن من فاته علمه فاتهُ المُعْظَم" .[6] ولأهمية التصريف أفرد له الأوائل مصنفات كثيرة أهما: كتاب (التصريف لابن كيسان) ت 120هـ وكتاب (التصريف للمكتمي) ت125هـ وكتاب (التصريف للمازني) ت248هـ و(المصنف والملوكي في التصريف لابن جني) ت 392 هـ (والممتع في التصريف لابن عصفور الأشبيلي) ت 629هـ.

ولما كان موضوع علم الصرف هو المفردات وبالذات الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرِفَة فأن مفهو م العدول الصرفي يتحدد بغياب التطابق بين هذه المفردات في الخطاب: كالاختلاف في الجنس، أوالعدد، أوالزمن، ومنه فإن كل ما يبدو من مفارقة بين أجزاء الكلام، كأسناد الفعل المؤنث

---

[1] - المسدي / الأسلوب والأسلوبية: ص100.

[2] – رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي النحوي/ شرح شافية بن الحاجب ؛ تحقيق محمد نور الحسن. بيروت: دار الكتب العلمية،1983م.. ج 1: ص 1.

[3] – خديجة الحديثي / أبنية الصرف في كتاب سيبويه.. لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، 2003م: ص 17

[4]– شرح الشافية : ص 6–7.

5 – خديجة عبد الرازق الحديثي / أبنية الصرف: ص 20.

6 – الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي / المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى. بيروت: دار الجيل، د.ت. ج1: ص 33.

إلى الفاعل المذكر أو الإخبار عن المستقبل بالماضي، أوخطاب الواحد بلفظ الجماعة أو الجماعة بلفظ الواحد ونحو ذلك، مما سيتم التفصيل فيه أن شاء الله لدخوله تحت مفهو م العدول الصرفي.

وحتى نمكن لفكرة العدول فأنه من الضروري تأصيلها في التراث البلاغي ثم نعرض لها عند المحدثين.

أ. العدول عند القدامى:

حُظي مفهو م العدول باهتمام كبير عند كل من اللغويين والبلاغيين وتناولوه تحت مصطلحات كثيرة، فقد استخدم سيبويه (ت185 هـ) المصطلح بمعنى (الاتساع) وهو عنده (خروج عن الأصل لفائدة أونكتة بلاغية).[1]

واستخدمه ابن جني (ت392هـ) بمصطلحات (العدول) و(الانحراف) و(الخروج عن الأصل) وعده من شجاعة العربية.[2]

واعتبره ابن فارس (ت 395هـ) من سنن العرب في كلامها ورأى أن معرفته والإلمام بخباياه شيء ضروري لفهم القرآن وتذوقه. [3]

وابن سيده(ت 458هـ) عند تناوله لقوله تعالى﴿ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ سورة (الكهف الآية51) يقول: أي: أعضاد، وإنما أُفرِدَ ليعتدل رؤوس الآى بالإفراد.[4] فقد جعل مراعاة رؤوس الآي (الفواصل) سبباً من أسباب العدول وهذاجاء عند كثير من العلماء.

---

1 - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه / الكتاب ؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون.ـ القاهرة: مطبعة الخانجى.ـ ط3، 1988م: ص211.

2 – أبوالفتح عثمان بن جني / الخصائص ؛ تحقيق محمد على النجار.ـ بيروت: دار المهدى للطباعة.ـ ط2.ـ ج2، د.ت: ص242.

3 – أبوالحسن أحمد بن فارس بن زكريا / الصاحبي ؛ تحقيق أحمد صقر.ـ القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ت: ص17.

4 – على بن إسماعيل بن سيدة / المحكم والمحيط الأعظم في اللغة / تحقيق مصطفي السقا ؛ حسن نصار.ـ معهد المخطوطات: جامعة الدول العربية، 1958م: ص24.

ونصل إلى إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) الذي استخدم لفظ العدول كثيراً ويعني عنده التحول من دلالة اللفظ لمعناه إلى معنى المعنى الذى لا يتوصل إليه إلا بالعدول عن الأصل.[1]

واستخدم الزمخشري (ت 538هـ) مصطلح العدول بمسمى (الالتفات) وبين فائدته في الكشف عن بلاغة النص القرآنى.[2]

أما السكاكي (ت 626 هـ) فهو يرى أن الكلام كلما فارق الأصل المثالي ازداد جمالا) [3].

وقال ابن الأثير(ت 637هـ) : " اعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون الا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارها وفتش عن دفائنها، ولا نجد ذلك في كل كلام فأنه من أشكل ضروب علم البيان وأدقها منهجاً وأعمقها طريقاً" [4]. وهذا كلام فيه أكثر من فكرة، أما الأولى فإنها الإشارة إلى أن موضوع العدول الصرفي تتعاوره أربعة علوم هي: علم الصرف لأن العدول يكون بين المفردات وهي موضوع علم الصرف، وعلم البلاغة لقوله بأنه "من أشكل ضروب علم البيان" والأسلوبية وهو ما يفهم من من قوله: " لا يتوخاه في كلامه الا العارف برموز الفصاحة والبلاغة واطلع على أسرارها" لأن ذلك مما يتفاضل فيه الناس، والتداولية لأن للعدول ارتباطاً بما يخدم التواصل كحفظ مقامات المخاطبين.

وأما الثانية فتظهر في تبرير العدول الذي:" لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك" أي: أن فيه من القصدية ما يوجب البحث في غاياته ومراميه وهي القضية التي استهدف هذا البحث بيانها.

---

1 – الإمام عبد القاهر الجرجانى / دلائل الإعجاز. تصحيح محمد رشيد رضا مكتبة محمد علي صبيح القاهرة ط6 1990م: ص29.

2 – أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التنزيل ، دار المعرفة بيروت 64/1.

3 – يوسف بن أبي بكر يعقوب السكاكي / مفتاح العلوم ، تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب القاهرة 1983م . ص 55.

4 - أبو الفتح نصر الله بن محمد الشيباني ابن الاثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق أحمد الحوفي وبدور طبانة ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ط2 ج 2 ص80.

وأما الثالثة فهي اعتراف ابن الأثير بأن العدول: من أشكل المسائل وأدقها وأعمقها مما يوثق الصلة بين العدول واللغة الإبداعية.

وممن تحدث عن العدول ولم يُسمِّهِ باسمه ابن قتيبة (ت :276هـ) في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه، إذ قال:" ومنه أن تخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب كقوله تعالى﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾ (يونس الآية 22) وهو ما يسمى بالالتفات عند علماء البلاغة " . [1]

واستعمل أبوهلال العسكرى (ت395هـ) مصطلح العدول في كلامه عند الفرق بين صيغتي (رحيم) و(رحمن) فقال: " إن الرحيم مبالغة لعدوله وأن الرحمن أشد مبالغة لأنه أشد عدولاً " .

كل هذه النصوص تؤكد أصالة موضوع العدول الصرفي، إلا أن القدماء لم يفردوه بالدراسة وإنما تناولوه تارة تحت المباحث الصرفية وأخرى في ثنايا علوم البلاغة مما جعل الحاجة ماسة إلى جمع مباحثه والوقوف على أهم دلالاته وذلك بالإفادة من معطيات العلوم الحديثة كالأسلوبية.

ب. العدول الصرفي عند المحدثين:

يستمد العدول الصرفي أهميته عند المحدثين من أهمية علم الأسلوب الذي يُعد امتداداً لعلم البلاغة؛ لأنهم تناولوا العدول بشكل عام والعدول الصرفي بشكل خاص في مباحث علم الأسلوب، وذلك باعتبار العدول حقيقة أسلوبية تميز نصاً عن آخر وكاتباً عن آخر ولا أدل على عظيم أهتمامهم بالعدول من تعدد المصطلحات الدالة عليه، يقول المسدى: " هذا العدول قد عبر عنه في الدراسات الحديثة بمصطلحات عديدة منها: الانحراف، الانزياح والانتهاك والتجاوز والمخالفة وخرق السنن..... وكلها ترجمة للكلمة الفرنسية Lecart) [2] " وتدل على أن العدول خروج عن النمط

1 – أبو محمد بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ، تحقيق أحمد السيد صقر ، دار التراث القاهرة ط3 1973م ص157.

[2] – المسدي / الأسلوب والأسلوبية : ص 100.

المألوف للغة أو هو انتهاك الناطق أوالكاتب لأعراف الكلام الذي يستخدمه لفائدة، أو هو لحن مبرر، أو هو انحراف عن نموذج آخر من القول ينظر إليه على أنه نمط معياري.

ويرى تمام حسان: " أن هذا الخروج أو تلك المخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قدراً من الاطراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول التي يقاس عليها " .[1]

والعدول خروج عن نسق مثالي للغة غايته إثارة المتلقي وإشراكه في الوصول إلى المعنى، أي: أن يكون جزءاً من عملية الإبلاغ، فالبلاغيون لا يعتدون من حيث القيمة الجمالية إلا بما يمثل عدولاً عن أصل معنى الكلام مع بيان مراتب العدول وآثارها الجمالية التي تلون المعنى وتصله بحالة المخاطب في أغلب الأحيان وبحالة المتكلم في القليل منها "[2].

ونرى أن المصطلحات المرادفة لمصطلح العدول لا تليق بالنصوص المقدسة، وإن تمسك بعض الأسلوبيين بالترجمة الحرفية للمصطلح L'ecart فإنني آثرت استخدام المصطلح العربي القديم (العدول) لإمكانية إطلاقه على النص القرآني، ولما فيه من سعة وشمول لكل أنواع التحولات الحادثة في السياق القرآني من تحولات في الضمائر والأفعال والحروف والأسماء والتراكيب والعدد ولشيوعه وتردده في الموروث البلاغي القديم.

ثانياً: وظيفة العدول (غاياته):

يعتبر اللغويون والبلاغيون وعلماء الأسلوب أن العدول هو قوام اللغة الفنية، ويجمعون أنه لا يكون إلا لغاية بيانية أوفنية يستهدفها منشئ الخطاب، وإلى هذا أشار الزمخشري بقوله: " إن الكلام اذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد وتختص مواقعه بفوائد " [3]. فهو هنا يؤكد أن التحول الأسلوبي في البلاغة العربية يسعى إلى تحقيق فائدتين: إحداهما عامة وهي إمتاع المتلقي وجذب انتباهه،

---

[1] – تمام حسان / البيان في روائع القرآن: 347.

[2] – أسامة بحيري / تحولات البنية في البلاغة العربية.ـــ القاهرة: دار الحضارة للطبع، 2000م: ص39.

[3] – الزمخشري / الكشاف : ج1/ 10.

والأخرى خاصة تتمثل فيما يوحيه كل تحول من إيحاءات ودلالات خاصة عبر عنها بقوله:" وتختص مواقعه بفوائد" .

إن قواعد اللغة ترفض أن يكون هناك تغيير في نظم الكلام تستبدل معه كلمة بأخرى لا يتبعه تغيير في المقاصد والأغراض كما أن " العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك" [1]. إلا أن الخصوصية التي ذكرها ابن الأثير لا تعتمد الجانب البياني وحده أوالجانب الإيقاعي وحده، ولا هي من الوضوح بحيث يمكن الوقوف عليها بسهو لة، ولكنها ترمي إلى وظيفتين، أولاهما: إمتاع المتلقي وإثارته، والأخرى: تتمثل في الأسرار الدقيقة واللطائف البلاغية التي يتوصل إليها المتلقي بعد فضل تأمل وإمعان نظر.

وإذا تتبعنا آراء المفسرين نجد أن العدول الصرفي في القرآن الكريم ينتهي إلى غايات ثلاث :

1. **الغاية المعنوية:** المتمثلة في طلب المبالغة وتدقيق الدلالة، إن المتكلم لا يعدل عن صيغة إلى أخرى إلا إذا كان في الثانية فائدة تفتقر إليها الأولى، وأولى الفوائد التي يتوخاها هي فائدة المعنى الذي من أجله كان الخطاب أصلاً، ويعلل ذلك صلاح فضل بقوله: " وجود صيغ ومشتقات صرفية شفافة ذات أثر أسلوبى... قد تكتسب دلالة أسلوبية جديدة في سياق تفسيرى يبرز شفافيتها ويخفّف من عتمتها" [2].

بمعنى أن هناك صيغ شفافة تُطْلب ويُعدَل إليها وأخرى عاتمة تُجتَنَب ويُبْتَغَد عنها طلباً لغاية دلالية.

2. **الغاية الفنية:** التي تظهر في رعاية الإيقاع وضبطه أوإضفاء الغموض الفني على العبارة مما يتجاوز غاية الإبلاغ إلى غاية الإثارة، كما أن مجال الأسلوبية هو البحث في الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية الجمالية.

---

[1] - ابن الاثير / المثل السائر : ص2\12.

[2] – صلاح فضل / علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة.ـــ مجلة فصول.ـــ العدد56.

وكثيراً ما يعمد النص القرآني إلى استبدال صيغة بأُخرى بحيث تشكل ملمحاً فنياً وأسلوبياً بارزاً يجعل المتلقي يتساءل عن الأبعاد الكامنة وراءه.

3. **الغاية التداولية:** ويكشف عنها اعتبار حال المتلقي أوالمخاطب أوالسياق الناظم للتواصل ,

إن اعتبار حال المتلقي عند إنشاء الخطاب من أهم المرتكزات التي قامت عليها البلاغة العربية ولخصتها العبارة الشهيرة (لكل مقامٍ مقال) والتي تجعل المتلقي شريكاً في إنتاج الخطاب فيضطر المتكلم إلى صياغة خطابه وفق أصناف المخاطبين وأقدارهم والنفس البشرية تمل التكرار وتميل إلى التنويع في الأسلوب وهذا ما يفسر ثراء النص القرآني بغير قليل من أشكال العدول وبخاصة في المستوى الصرفي، وذلك لأن المفردات ــ أسماءً وأفعالاً ــ هي أكثر أنواع الكَلِم طواعية لتصريفها بما يرضي المتلقي ويشبع حاجته الفنية والبيانية وهي حاجة يؤكدها تنوع الفئات المخاطبة بالقرآن الصالح لكل زمان ومكان، والقرآن كتاب تشريع وبيان وكتاب فن وجمال.

الفصل الأول
الأسلوب والبلاغة والقصة في القرآن

المبحث الأول:
الأسلوب والأسلوبية والبلاغة

المبحـــث الثـــاني
القصـــة في القـــــرآن

المبحـــث الأول

الأسلوب والأسلوبية والبلاغة عند العلماء

الأسلوب عند العرب القدامى والمحدثين

الأسلوب عند القدامى:

حاول عدد من العلماء والنقاد العرب القدامى الحديث عن الأسلوب عند معالجتهم بعض القضايا البلاغية مثل قضية إعجاز القرآن الكريم، فتركوا إشارات وإضاءات تعتبر ملامح واضحة في تاريخ الدراسات البلاغية والأسلوبية. مما يمكننا من القول بأن كلمة (أُسلوب) أصيلة في العربية وهي ماخوذة من الطريق الممتد أوالسطر من النخيل، " وكل طريق ممتد فهو (أُسلوب) والأُسلوب الطريق والوجه والمذهب. والأسلوب: الطريق تأخذ فيه، والأسلوب: (الفنّ) يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه"[1].

وفي أساس البلاغة: " سلكتُ أُسلوبَ فلانٍ: طريقته وكلامه على أساليب حسنة " [2]

والمعنى الاصطلاحي عندهم لم يبعد عن المدلول اللغوي، وقد اتفقوا على ربط الأسلوب بنفس صاحبه، وأخذت كلمة السَّلب، معنى السمت الفني في منظوم الكلام ومنثوره.

ومن أقدم الإشارات حول مفهو م الأسلوب نجدها عند (الجاحظ ــ ت 255هــ) فيما نقله عن بشر بن المعتمر والتي ذكر فيها البلاغة والبيان والفصاحة، وجعل مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال[3]. وقامت في عصر الجاحظ دراسات مستقلة حول مفهوم إعجاز القرآن وأسرار أسلوبه مما أنتج تراثاً ضخماً من الدراسات

---

[1] - ابن منظور / لسان العرب مادة (سلب).

[2] - الزمخشري/ أساس البلاغة.- لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، 1966، ص212.

[3] - أبوعثمان عمروبن بحر الجاحظ / البيان والتبين.- ج1.- بيروت: دار الفكر، 1968: ص95.

البلاغية وأصبحت بعض الدراسات في تحليل نصوص القرآن الكريم نماذج أدبية لكل ناقد ومرجعاً لكل باحث في خفايا التعبيرالأدبي [1].

وقد أفرزت قضية إعجاز القرآن قضايا كبرى أهمها قضية اللفظ والمعنى، كما ظهرت المصطلحات البلاغية التي أوضحت معالم الدراسات الأسلوبية، فنجد عند ابن قتيبة (ت276هـ) مصطلحات بلاغية جامعة، عند مقارنته لأسلوب القرآن الكريم مع أساليب العرب[2] ونجده قد حذا حذو الجاحظ في الربط بين الأسلوب وطرق أداء المعنى بحيث يكون لكل مقام مقال، وسار على نظريته ابن الأثير)[3] والقاضي الجرجاني (ت 392هـ)[4].

وقد يتصل مفهو م الأسلوب عند آخرين بالغرض والموضوع مثل ما نجده عند الباقلاني (403هـ)، ففي حديثه عن أسلوب القرآن ربط بين الأسلوب والنوع الأدبي لإثبات تفرد القرآن بالنظم العجيب [5]. كما نجد ذلك عند ابن رشيق القيراوني (456هـ)[6] والخطابي الذي يرى أن كلما تعددت الموضوعات التي يطرقها الأديب تعددت الأساليب[7].

وربما اقترب مفهوم الأسلوب من مفهو م (النظم) الذي يمثل الخواص التعبيرية في الكلام ونجد ذلك عند عبد القاهر الجرجانى " ... والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه..." [8]

وقد حاول من جاء بعد عبد القاهر أن يوظف الأسلوب على هذا النحو أمثال الزمخشرى حيث ربط بين معنى الأسلوب والخصائص الأسلوبية " أي: (الطاقة التعبيرية الكامنة فيه) " ... إن الكلام إذا

---

[1] - محمد زغلول سلام / أثر القرآن في تطور النقد الأدبي.- ط3.- القاهرة: دار المعارف، د.ت: ص133.

[2] - ابن قتيبية / تأويل مشكل القرآن : ص20.

[3] - ابن الأثير/ المثل السائر ؛ ج3 .ص28.

[4] – القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني / الوساطة بين المتنبى وخصومه ؛ تحقيق محمد أبوالفضل ؛ علي محمد البجاوى.ـــ بيروت: المكتبة العصرية، ب ت ب ط: ص24.

[5] – أبوبكر محمد الباقلاني / إعجاز القرآن ؛ أحمد صقر (تحقيق)، 1963م، ص5.

[6] –الحسن ابن رشيق القيرواني / العمدة في صناعة الشعر ونقده.ـــ القاهرة: مطبعة أمين هندية، 1925م: ص171.

[7] – أبوسليمان حمد بن محمد الخطابي / بيان إعجاز القرآن: ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ؛ محمد خلف الله ؛ محمد زغلول (محققان).ـــ ط2.ـــ القاهرة: دار المعارف، 1968: ص66.

[8] – عبد القاهر الجرجاني / دلائل الاعجاز. ص104.

نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد" [1]

وقد استوعب السكاكى ما قدمه الزمخشرى فربط بين الأسلوب وخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وأطلق عليه الأسلوب الحكيم " ... وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب والسائل بغير ما يتطلب " [2].

أما حازم القرطاجني (684هـ) فقد أدرك قيمة الأسلوب وأثره على المتلقي، وينسب الأسلوب إلى المعاني نسبة النظم إلى الألفاظ. [3]

ولقد تبلورت فكرة الأسلوب عند القدامى في تعريف ابن خلدون (808هـ) الذى استلهم فيه خلاصات جهود سابقيه "... ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصناعة..." فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه" [4].

الأسلوب عند المحدثين:

استوعب العرب المحدثون المعاني التي طرقها القدماء في تعريفهم للأسلوب لذا جاءت هذه التعريفات مقاربة لتلك المعاني في مضمونها العام، مما يؤكد عملية التواصل بين القديم والجديد، من حيث كانت مباحث المحدثين قائمة في جوهرها على ما أصَّله السابقون من دراسات بلاغية مع الإفادة ــ في الوقت نفسه ــ من التيارات الخصبة التي وفدت من الغرب، فمنهم من ربط بين الأسلوب ومبدعه مثل الشيخ حسين المرصفي.[5] ومصطفي صادق الرافعي.[6] وهما يشدّدان على وجوب رعاية الأساليب التي اختصت بها العرب.

---

[1] – الزمخشري / الكشاف.ــ ج1: ص10.

[2] – السكاكي / مفتاح العلوم ، ص327.

[3] – يوسف أبوالعدوس / الأسلوبية: الرؤية والتطبيق.ــ ط2.ــ عمان: دار المسيرة، 2010م: ص20.

[4] – شكرى محمد عباد / مدخل إلى علم الأسلوب.ــ ط2.ــ القاهرة: مكتبة الجيزة العامة، 1992: ص23.

[5] – الشيخ حسين المرصفي / الوسيلة الآدبية للعلوم العربية.ــ ج2.ــ القاهرة: مطبعة المدارس الملكية، 1292هـ: ص465.

[6] – مصطفي صادق الرافعى / إعجاز القرآن والبلاغة النبوية.ــ ط3.ــ القاهرة: مطبعة المقتطف والمقطم، 1928: ص27.

ومنهم من ربطه باختيار الألفاظ كأحمد حسن الزيات الذي يعرف الأسلوب بأنه "طريقة خلق الفكرة وتوليدها وإبرازها في الصورة اللفظية المناسبة " [1]. وأحمد الشايب القائل عن الأسلوب "إنه طريقة الكتابة أوطريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير"[2].

فنراهما(الزيات والشايب) قد ربطا بين الأسلوب والتركيب اللغوي، ومقدرة المنشيء على اختيار الألفاظ وتأليفها مع ربطه بالغرض الذي يهدف إليه.

أما توفيق الحكيم فإنه لا يعتد بالأسلوب ويرى أنه الآلة الصناعية التي نتوسل بها للوصول للحقيقة " .... إن الأسلوب أحياناً حجة الكاتب الذي لا يجد ما يقوله، إن الذي لديه ما يقوله يخرج بكل بساطة ما لديه من كنوز ولا يحفل بأسلوب التقديم..... إن الأسلوب السليم لم يزل في عرفنا مرادفاً للغة المصطنعة المنمقة، وقليل من فطن إلى أن الأسلوب روح وشخصية " [3].

وقدم أمين الخولي كتابه (فن القول) هادفاً إلى التجديد في ميدان البحث البلاغي وربطه بالمباحث الحديثة في مجال الأسلوب عند الغربيين وهذا التجديد يرمي إلى غرضين هما: تسهيل دراسة المواد الأدبية، والتجديد في علوم الأدب أوعلوم العربية بحيث تتصل بمشاعر الأمة وترضي كرامتها الشخصية، فتكون اللغة الأدبية لغة الحياة في ألوانها المختلفة [4]. وهو يربط العمل الأدبي بصاحبه ويرى أن الأديب يعاني من عمله الفني ويعايشه زمناً طويلاً أوقصيراً وينظر في كل خطوة من خطوات إبداعه بحيث ينتهي إلى أن يقدم فناً قولياً له ملامحه المتميزة والمتلصقة بصاحبه وعنده الأسلوب هو الشخص ولا تتفاوت الأساليب إلا بما تتفاوت به شخصية المتكلم وثقافته.[5]

---

[1] – أحمد حسن الزيات / دفاع عن البلاغة.ـــ ط3.ـــ القاهرة عالم الكتب، 1967: ص72.

[2] – أحمد الشايب / الأسلوب.ـــ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1977م: ص44.

[3] – توفيق الحكيم / زهرة العمر.ـــ القاهرة: مكتبة الأسرة، 1998: ص 205.

[4] - أمين الخولي / فن القول .ـــ القاهرة: دار الفكر العربي، 1947 م: ص19.

[5] – المصدر نفسه: ص105.

ويرى العقاد: " أن الأسلوب الأمثل في الأدب هو الأسلوب السهل الذي لايكد ذهن القاريء، فللعلم حق الانتباه والتأمل وليس للفنون ذلك الحق لأنها بطبيعتها تسر ولا تفيد" [1]، والعقاد شأنه شأن غيره يحترم الملكة اللغوية ودورها في الأسلوب مما يفيد الكلام قوة ووضوحاً ويزيد المعاني صقلاً وبياناً ويعصم اللسان عن الركاكة ويمده بذخيرة وافرة من أساليب التعبير.

أما عبد الله الطيب فقد ربط فصاحة الأساليب العربية بمفهو م (الجرس) الذي يعني عنده (الفصاحة)، وتحدث عن المؤثرات التي تعتور الجرس وتؤثر بدورها في (الأساليب)، ومنها البيئة والزمن والأخلاق والمزاج.[2]

الأسلوب عند رواد الأسلوبية:

تحتل كلمة (أسلوب) مكانة تشبه مركز الدائرة في العمل الأدبي في تفكير النقاد، شكرى عيّاد يرى أنها تدل على نوع من التميز وأن عبارة بوفون (الأسلوب هو الرجل) تعني أن لكل إنسان طريقته في التعبير[3].

ويربط أحمد درويش بين الأسلوب والبلاغة، فالأسلوب عنده هو القواعد العامة التي من بينها الأسلوب البلاغي[4].

أما رائد الأسلوبية عبد السلام المسدي فالأسلوب عنده هو الاختيار الواعي لأدوات التعبير وهو مجموع الطاقات الإيحائية في الخطاب الأدبي وما يميزه " هو كثافة الإيماء وتقلص التصريح وهو نقيض ما يطرد في الخطاب أو ما اصطلحنا عليه الاستعمال النفعي للظاهرة اللغوية"[5]. والأسلوبية عنده مصطلح يحمل ثنائية أصولية فهو دال مركب جذره (أسلوب style ولاحقته به Lgue) فهو

---

[1] – عباس محمود العقاد / مراجعات في الآداب والفنون.ـــ القاهرة: مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، 2012م: ص57.

[2] – عبد الله الطيب / المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها.ـــ القاهرة: دار الفكر، 1970: ص 459.

[3] – شكرى عيّاد / مدخل إلى علم الأسلوب.ص14.

[4] – أحمد درويش / دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث.ـــ د.ن: دار غريب للطباعة والنشر، د.ت: ص16.

[5] – عبد السلام المسدى / الأسلوب والأسلوبية، ص95.

يطابق عبارة (علم الأسلوب Science du Style) ولذلك يعرفها بأنها البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب[1].

ويرى شكرى عياد أن هذا العلم حديث في الغرب، ولكنه ذو نسب عريق عند العرب؛ لأن أصوله ترجع إلى علم البلاغة الذي تزدهي الثقافة العربية بتراث غني منه[2].

وتهتم الأسلوبية بالشروط الداخلية للغة الخطاب والتحليل فيها يعد سمة ملازمة لها، أما علاقة الخطاب بمرجع خارجي فلا مكان لها في الدرس الأسلوبي[3].

الأسلوب والأسلوبية عند الغربيين:

إن اشتقاق كلمة (أسلوب) في اللغة العربية يختلف عن اشتقاق كلمة(Style) في الإنجليزية أوالفرنسية، فهي في العربية أصيلة المعنى والمبنى أما (Style) فهي مأخوذة من اللاتينية (Stilus) وتعني الريشة أوالقلم أوهو " مثقب الكتابة"[4].

أما الأسلوبية (Stylistic) : فهي مصطلح حديث مرادف لمصطلح (علم الأسلوب) وهي حلقة وصل بين علم اللغة والدراسات الأدبية للنصوص، ويعتبر شارل بالي (Sharles Bally) تلميذ دي سوسير مؤسس علم الأسلوب باعتباره علماً وهو عنده " مجموعة من العناصر الجمالية في اللغة يكون باستطاعتها إحداث تأثير نفسي عاطفي على المتلقي"[5].

ولقد تعقد وتعدد مفهو م الأسلوب والأسلوبية لكثرة المذاهب والمدارس فعند (بوفون) "الأسلوب هو الرجل" [6] وعند جيرو"طريقة التعبير عن الفكر بوساطة اللغة"[1] وعند آخرين "الاختيار الواعي لأدوات التعبير" [2].

---

[1] – المرجع نفسه: ص34.

[2] – شكري عياد: مدخل إلى علم الاسلوب ص2

[3] – منذر عياشي / الأسلوبية وتحليل الخطاب.حلب ــ مركز الانماء الحضارى ، 2002م: ص107.

[4] – بيرجيرو/ الأسلوبية ؛ ترجمة منذر عياشي.ــ حلب: مركز الانماء الحضارى، د.ت: ص172.

[5] – زين كامل الخويسكي / في الأسلوبيات.ــ دار المعرفة الجامعية: د.ن، 2009: ص16.

[6] – محمد غنيمي هلال / المدخل إلى النقد الأدبي الحديث.ــ بيروت: دار العودة، 1973م:ص61.

وعن الأسلوبية فإن أوفى تعريف لها ما أورده جورج مولنيه:" هي فرع من اللسانيات الحديثة مخصص للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية أو للاختيارات اللغوية التي يقوم بها المتحدثون أو الكتاب في السياقات والبيئات الأدبية وغير الأدبية" [3]. فهو هنا يشير إلى البعد اللساني للأسلوبية في حين يعرفها مؤلفها بالي خارج اللسانيات فأسلوبية بالي تعبيرية وصفية تبحث عن السمات الوجدانية للعبارة.

الأسلوبية: الاتجاهات والمفاهيم:

تعددت مناهج الأسلوبية واتجاهاتها في تناول النص الأدبي، حيث نجد الأسلوبية التعبيرية، والأسلوبية البنيوية، واللغوية، الإحصائية الأدبية...الخ). " إلا أن غاية ما توصل إليه البحث في تناوله الأسلوبي للنص هو الأسلوبية البنيوية التي لا تعنى بغير الخطاب موضوعاً للدراسة" [4]

وترتكز الأسلوبية على مجموعة من المفاهيم التي تتحدد إجراءاتها من خلالها، وأبرزها مفهوم (الانحراف) ويعني الانحراف عن المعيار داخل النص الأدبي، ولا يُعتَدُ بلاغياً إلا بما يمثل انحرافاً عن الأصل وخروجاً عليه[5]. ويقرب منه مفهو م (الانزياح) الذي يعتبر خرقاً للقواعد وانزياحاً عن النمط التعبيرى المتواضع عليه.

ونرى أن الانحراف والانزياح يمثلان مفهو ماً واحداً يمثل خروجاً عن المألوف وانتهاكاً لحدود الاستعمال المصطلح عليها ويعتبران حيلة مقصودة من المنشيء لجذب المتلقي وهذا من أهم مباديء الأسلوبية .

---

[1] – بيرجيرو/ الأسلوبية: ص10.

[2] – عبد السلام المسدي / الأسلوب والأسلوبية: ص7.

[3] – جورج مولنيه ؛الأسلوبية، ترجمة بسام بركة.ـــ بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.ـــ ط2، 2004م: ص9.

[4] - المرجع السابق : ص48.

[5] – صلاح فضل/ نظرية البنائية في النقد الأدبي.ـــ الرياض: دار الشروق، 1998م: ص252.

ومن المفاهيم المحددة لإجراءات الأسلوبية الاختيار " ... ومجموعة الاختبارات الخاصة بمنشيء معين هي التي تشكل أسلوبه الذي يمتاز به عن غيره من المنشئين" [1]. وتتناول الأسلوبية النص عبر عناصر عدة أهمها:ــ

العنصر اللغوى الذي يعالج نصوصاً قامت اللغة بوضع رموزها، والعنصر النفعي الذي تدخل فيه عناصر غير لغوية، والعنصر الجمالي ويكشف عن تأثير النص في المتلقي[2].

أذن الناقد الأسلوبي يتحرك من خلال النظام اللغوي وما فيه من إمكانات استبدالية، فالتحليلات الأسلوبية تقوم على العنصر الصوتي، والعنصر التركيبي والعنصر الدلالي والعنصر البلاغي[3].

ويبدو أن للأسلوبية طاقات وامكانات تزيد من فهم النص بالتركيز على العناصر اللغوية وما يكتنف أصواتها من نبر وتنغيم وإيقاع، وتركيب جملها وما فيها من صيغٍ ورتبةٍ، ومستواها الدلالي وآثار السياق فيه، ثم المستوى البلاغي وكل ما يحيط به، وما يتبع ذلك من تحليلات قد لا نجدها إلاّ من خلال الدراسة الأسلوبية.

---

[1] – سعد مصلوح / الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية.ــ دار البحوث العلمية: د.ن، 1980: ص23.

[2] – صلاح فضل / علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته.ــ جدة: النادى الثقافي.ــ ط3، 1988م: ص15.

[3] – يوسف ابو العدوس / الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص50.

البلاغــة:ـ

اهتم العرب القدامى بعلم البلاغة الذي يُعد من أشرف العلوم عندهم، لأنها كانت ــ ولا تزال ــ من الأدوات المهمة لفهم القرآن الكريم وإدراك إعجازه، فقد كان الغرض الديني وخدمة القرآن الكريم الهدف الأول من خوض العرب في الدراسات البلاغية، قال أبو هلال العسكرى: " إن أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد معرفة الله ــ جل ثناؤه ــ علم البلاغة ومعرفة الفصاحة التي بها يُعرف إعجاز كتاب الله"[1].

والبلاغة التي نراها اليوم علماً مستقلاً لم توجد دفعة واحدة بل كانت ثمرة لجهود كثير من العلماء عبر العصور.

والبلاغة في اللغة: " الانتهاء والوصول، يقال بَلَغ الشئ، يَبْلُغُ بُلوغاً وبلاغاً: وصل وانتهى إلى مراده"[2].

وأشار ابن منظور إلى المعنى الاصطلاحي فقال:" البلاغة الفصاحة، ورجل بَليغُ وبَلْغَ، وبِلْغٌ: حَسَن الكلام فصيحه يُبْلَغُ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه" [3].

وتتعلق البلاغة بالمعنى دون اللفظ لأن غايتها إنهاء المعنى إلى قلب المتلقي وتقع وصفاً للكلام والمتكلم. قال الجاحظ " لايكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه" [4].

وميز الخطيب القزوينى بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم، أما بلاغة الكلام فهي: " مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وبلاغة المتكلم ملكة يُقْتَدر بها على تأليف كلام بليغ " [5].

---

[1] - أبوهلال الحسن عبد الله بن سهل العسكرى/ كتاب الصناعتين ؛ تحقيق على محمد البجاوى ؛ محمد أبوالفضل.ــ بيروت: المكتبة العصرية، 2013: ص7.

[2] – ابن منظور لسان العرب مادة (بلغ).

[3]– المرجع نفسه المادة نفسها .

[4] - الجاحظ: البيان والتبيين: 1: 18

[5] – الخطيب محمد بن عبد الرحمن القزويني / الإيضاح في علوم البلاغة ؛ تحقيق إبراهيم شمس الدين.ــ بيروت: دار الكتب العلمية.ــ ط2، 2010م:ص21.

والمراد بالحال الأمر الداعي للمتكلم أن يعتبر في كلامه خصوصية ما ومطابقة الكلام لمقتضى الحال هي مجيء الكلام مشتملاً على تلك الخصوصية التي اقتضاها الحال.

وتقوم البلاغة العربية على عمد ثلاثة هي علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع[1].

وقد عني البلاغيون بالبحث في جمال الصياغة الأدبية على المستويين الأفرادي والتركيبي، كما عمدوا إلى البحث في الجمال المعنوي، فرأوا أن تحققه رهن بتوافر ثلاثة نظم:

الأول: يختص بأن تكون الأوضاع النحوية للألفاظ ملائمة لما يقتضيه المقام من التعبير عن المعاني المختلفة، وهذا هو محور علم المعاني.

الثانى: يلتفت إلى تخير ما يقتضيه المقام من طرق التصوير المختلفة، وهذا هو محور علم البيان.

أما الثالث: فهو توظيف عدد من المحسنات البديعية في صناعة التركيب، وهذا هو مجال علم البديع بنوعيه اللفظي والمعنوي[2].

واهتمت البلاغة العربية بتوجيه الأسلوب ابتداءً من الحرف فالكلمة فالجملة فالأسلوب كله، وفصلت الكلام على أقدار المخاطبين فكان اختلاف المقامات الذي يتبعه اختلاف في الكلام نفسه، من إيجاز وإطناب ومساواة وتوكيد وحذف... الخ .ولم تحجر على المتكلم فاعطته الحق في أن يخالف الظاهر له من أحوال المخاطبين، كما وضعت له وسائل الخيال والمبالغة في إيراد المعاني، فيستعير ويُكنّي... الخ

ونلحظ أن الظاهرة الأسلوبية قد عرفت في التراث العربي ودرست ضمن الدرس البلاغي، لأن علماءنا الأوائل انطلقوا في درسهم اللغوي من النص وعليه يمكن اعتبار تحليلاتهم البلاغية وغيرها مظهراً أسلوبياً.

---

[1] – بسيوني عبد الفتاح / علم المعاني.ـــ ج1.ـــ القاهرة: مكتبة وهبة، د.ت: ص3.

[2] – محمد عبد المطلب / البلاغة العربية: قراء أخرى.ـــ لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، 1997م: ص57.

بين البلاغة والأسلوبية:

يرتبط العلمان بصلات وثيقة وهناك منطقة مشتركة بينهما، فالبلاغة فن لغوي وأدبي وهما سمتان قائمتان في الأسلوبية، ولذا قيل البلاغة هي (أسلوبية القدماء) وأطلق على الأسلوبية (البلاغة الجديدة). فإنها تتناول الشكل اللساني بأوجهه الثلاثة : الأجناس والمقام ومقاصد المتكلم . ويرى شكرى عياد أن علم الأسلوب ذو نسب عريق في العربية لأن أصوله ترجع إلى علم البلاغة [1].

والبلاغة العربية بعلومها الثلاثة هي علم الأسلوب العربي، وأسلوبية اليوم ما هي إلا توزيع جديد لمباحث البلاغة العربية، واستبدال مصطلحات قديمة معروفة بأخرى جديدة. مثلاً : الموقف بدلاً عن المقام او مقتضى الحال ، والمبدع والمنشيء بدلاً عن المتكلم ، والمتلقي بدلاً عن المخاطب .

ويرى بعض الغربيين مثل (بييرجيرو) أن دراسة البلاغة للصور ما تزال راهنة وأن أسلوبية التعبير كما صممها شارل بالي قد نشأت من البلاغة القديمة [2]. ويذهب (جورج مونان) إلى أن أية أسلوبية لأبد أن ينتهى بها المطاف إلى البلاغة.... والأ فلن تكون قد بلغت المنابع الحقيقية لعلم الأسلوب [3].

ورغم اعتراف الكثير من الأسلوبيين بأن كثيراً من مباحث البلاغة القديمة مازالت محتفظة بجديتها وأهميتها إلا أن البعض يردد المقولة التي مفادها (أن الأسلوبية وليدة البلاغة ووريثها المباشر)، وقيل: "إن البلاغة هي سلف الأسلوبية" [4].

ونرى أن لا تعارض بين الأسلوبية والبحث البلاغي بل تستفيد منه وتسانده، ويشهد لذلك الكثير من أوجه الاتفاق بين العلمين، ومن أهمها أنهما ينهضان على مادة واحدة هي لغة الأدب، ويلتقيان

---

[1] - شكري عياد : ص5.

[2] – بيير جيرو : ص28.

[3] – عدنان بن ذريل / اللغة والأسلوب.ـــ ط2.ـــ عمان: دار مجدلاوى للنشر والتوزيع، 2006م: ص134.

[4] – فيللي سندريس / نحونظرية أسلوبية لسانية ؛ ترجمة خالد محمود جمعة.ـــ دمشق: دار الفكر، 2003م: ص95.

فيما يسمى بالموقف أوالمقام أومقتضى الحال، الذي هو عمدة البلاغة العربية، فقد ارتبطت به حتى صار جزءاً من تعريفها إذ أن بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته كما أسلفنا.

ولكن رغم ذلك نلمس فرقاً بين الموقف ومقتضى الحال، فالبلاغيون يهتمون بالحالة العقلية للمخاطب أكثر من اهتمامهم بالمتكلم، والأسلوبيون يهتمون بالمنشيء والمتلقي[1].

ويمكن الوقوف على أوجه الاختلاف بين العلمين من خلال أن البلاغة علم لغوي قديم، والأسلوبية علم لغوي حديث، وتقوم البلاغة على كيفية إنتاج النص وترمي إلى إيجاد الإبداع بوصاياها التقييمية أما الأسلوبية فيناط بها تعليل الظواهر الإبداعية بعد أن يتقرر وجودها[2].

والأسلوبية تفارق البلاغة في أنها مدت يدها إلى بعض العلوم من أجل إجراء تحليلاتها، والبلاغة ذات نظرة جزئية تقف عند حدود الجملة ولكن الأسلوبية تهتم بالنص والسياق الحاكم عليه.

وتتجه البلاغة إلى الكلام الفني ذي المستوى الجمالي أما الأسلوبية فتدرس الكلام جيده ورديئه والمُعوَّل عليه هو التميز الأسلوبي.

والبلاغة في أغلبها ذات طابع معياري أما الأسلوبية فذات طابع وصفي تبدأ عملها من حيث انتهى المبدع [3].

وستتضح ملامح العلمين أكثر عندما نقوم بتطبيق تحليلاتهما في نماذج العدول الصرفي الواردة في بعض آيات قصص القرآن الكريم.

بين البلاغة والنقد الأدبي :-

البلاغة والنقد ينطلقان من منطقة واحدة هي الأدب ، مما يسمح بتداخلهما ولا سيما في التراث العربي والإسلامي الذي امتزجت فيه المباحث البلاغية والنقدية " وكانت البلاغة أداة النقد في تقييم

[1] – شكر عياد : ص43.
[2] - المسدي : ص53.
[3] - صلاح فضل / علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: ص53.

الأعمال الأدبية ... والحركة الأدبية في الشعر والنثر امتاحت من الإمكانات البلاغية التي تمثلت في وسائل تعبيرية محددة، أو بمعنى آخر وسائل تعبيرية جاهزة تسعف في كل مقام ومقال"[1].

والنقد إدراك البلاغة في الكلام البليغ ، وتمييز طبقات البلاغة وكشف أسرارها ورسم قوانينها وتحليل نماذجها ، وهو كما عرفه إحسان عباس : " تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة أو إلى الشعر خاصة يبدأ بالتذوق أي القدرة على التمييز ، ويُعبَرْ منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم "[2] .

فالبلاغة ــ بِعدِّها صفة للكلام البليغ ــ سابقة على النقد؛ إذ هي موجودة في الكلام قبل أن ينظر فيه الناقد ، ولو لا البلاغة ما كان النقد ، ولا يمكن للناقد أن يستغنى عن علم البلاغة لأنه لا يمكنه الاستغناء عن خبرات ذوقه وتأمله في الكلام

[1] . محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ـ الشركة المصرية العالمية للنشر ط1 1994 م ص 353.
[2] - إحسان عباس ، تاريخ النقد العربي عند العرب ، دار الثقافة بيروت ط 4 1983م ص 5.

المبحـــث الثـــــــاني

القصـــة في القـــــرآن

فـن القصـــــة :ـ

القصة فن قديم محبب إلى النفوس، وهي شكل من أشكال التعبير تتجلَّى فيه النوازع والعواطف الإنسانية ويقصد منها الترويح عن النفس وتثقيف العقل.

وتعتبر القصة من أعرق ألوان الأدب لأن دافع السرد القصصي خاصية إنسانية يشترك فيها جميع الناس، إذ يستطيع كل إنسان أن يحكي حادثة وقعت له، أوموقفاً عايشه، ومعنى هذا أن القصة ولدت مع الإنسان طالما أن الحكاية هي العنصر الأساسى فيها، وقيام القصة على عنصر التشويق يجعلها من أقرب الفنون الأدبية للنفس البشرية، فنجد الطفل ينصت لسماع حكايات جدته والكبار يتبادلون الحكايات في مجالس السمر، وما ذلك إلا لأنها تستقي مادتها من الحياة اليومية وتنقل التجارب والخبرات.

والقصة ضاربة بأصولها وجزورها ومصادرها في الفكر العربي القديم قدم هذه اللغة وقدم أهلها، فقد عرف الفكر العربي في مختلف محطاته ألواناً قصصية مختلفة متنوعة ومتطورة " ... إن الأدب العربي في قصص خاصة واطار مرسوم له ... فقد بدأت القصة العربية مع بداية الانسان ونشأت القصص الأسطورية مع الانسان القديم بما حوته من خرافات " [1]

وقد صاغت الأمة العربية فيما صاغت قوالب للتعبير عن القص والإشعار به ؛ فقد قالوا عن غابر الدهر : يحكى أن وكان يا ما كان ... إلى آخر هذه الفواتح التي يمهد بها القصاص العربي في مختلف العصور لما يسرد من أقاصيص

تعريف القصة:ـ

القصة لغة: ماخوذة من الجذر الثلاثي (ق ص ص) الذي انتظمت اشتقاقاته معان عدة من القرآن الكريم، فقد وردت بمعنى الاقتفاء وتتبع الأثر، قصصت أثره: أي تتبعته [2] كما في قوله تعالى:

[1] - محمود تيمور / دراسات في القصة والمسرح ، مكتبة الآداب القاهرة ، د .ت ص 33.

[2] - ابن منظور/ لسان العرب: مادة (ق ص ص)

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (القصص: ١١) "أي: قصِّي أثر موسى واتبعي أثره، تقول: قصصت آثار القوم إذا اتبعت اثارهم" [1].

وفي قصة سيدنا موسى مع العبد الصالح قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف: ٦٣ – ٦٤).

والقصص كذلك: الأخبار المتتبعة، ومنه قوله تعالى:﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص: ٢٤ – ٢٥) .﴿ وَلَوشِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هو اهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوتَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

وقد اقتصصت الحديث: رويته على وجهه لأن راوي الحديث يحكيه شيئاً فشيئاً، ويتتبع تفاصيله جزءاً فجزءاً [2]. وجمع القِصَّة (قِصص) بكسر القاف، وأما القَصص فاسم خبر المقصوص وهو مصدر سُمى المفعول به (القصص) بالفتح الخبر المقصوص، وضع موضع المصدر حتى صار اغلب عليه والقصص بكسر القاف جمع القصة التى تكتب) [3].

واصطلاحـا: " هي الخبر الطويل الذي يتبع بعضه بعضا حتى يتناول الأمر من جميع جوانبه"[4].

[1] – الامام أبوجعفر بن جرير الطبرى / جامع البيان في تفسير القرآن.ـــ بيروت: دار الفكر، 1978م.ـــ المجلد 8 ج20.ـــ ص25.

[2] – ابن منظور مادة ق ص ص .

[3] – المرجع نفسه ق ص ص.

[4] – المرجع نفسه ق ص ص.

وقصص القرآن:" أخباره عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة فقد تتبع القرآن آثار كل قوم وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه"[1].

أذن القصة القرآنية تتبع أخبار الأمم الماضية وبخاصة مع رسل الله اليهم مع إظهار آثار الدعوات فيهم والتركيز على مواطن العظة والعبرة.

وقصر الطاهر بن عاشور القصص القرآني على الأخبار السابقة لزمن الرسول ــ صلى الله عليه ــ وسلم، وعَرَّف القصة القرآنية بأنها "الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصاً مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم" [2].

ولكننا نلحظ أن القرآن الكريم به الكثير من القصص التي تحكي حوادث وقعت في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران وغزوة حنين وتبوك في سورة التوبة وغزوة الاحزاب في سورة الأحزاب وكقصة الاسراء والمعراج وقصة غنائم بدر التي سميت بها الأنفال .

[1] – مناع القطان / مباحث في علوم القرآن.ــ بيروت: مؤسسة الرسالة.ــ ط12، 1983.ــ ص306.

[2] - محمد الطاهر بن عاشور/ تفسير التحرير والتنوير.ــ تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت.ــ ج1 ص64

أنواع القصص في القرآن

القصص القرآني أحسن القصص، أخبر فيه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالأخبار الماضية وأنباء الأمم السَّالفة ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف: ٣)، ولقد تضمن القرآن أنواعاً مختلفة من القصص، قسمها بعض العلماء من حيث شخصيات القصة وحوادثها إلى ثلاثة [1]:

1. **قصص الأنبياء:** وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح وإبراهيم، وموسى وهارون، وعيسى ومحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وغيرهم من الأنبياء والمرسين عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.
2. **قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة وأشخاص لم تثبت نُبوَّتهم**: كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وطالوت وجالوت، وابنى آدم وأهل الكهف، وذي القرنين وقارون، وأصحاب السبت ومريم، وأصحاب الاخدود وأصحاب الفيل وغيرهم.
3. **قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :** كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب والهجرة والإسراء وغير ذلك.

وقد تنوعت القصة في القرآن من حيث الطول والقصر" الإطناب والإيجاز" حسب ما يقتضيه الهدف الديني من عظة وأهمية، فهناك قصص سرد طويلة مفصلة بجميع حوادثها كقصة سيدنا

[1] - انظر مناع القطان / مباحث في علوم القرآن ص 306، صلاح الخالدى / القصص القرآنى عرض وقائع وتحليل احداث دار العلم ، الدار الشامية ، بيروت 1998م ج1 ص28.

موسى، وقصة سيدنا يوسف عليهما السلام، وهناك قصص متوسطة الطول والتفصيل كقصة نوح التي يذكر منها تفصيلات رسالته ودعوته لقومه واستكبارهم وصنع السفينة والطوفان وغرق ابنه"[1].

وهناك قصص قصيرة كقصص هو د وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، لأنها تعرض عند حلقة الرسالة وحدها.

وهناك قصص متناهية في القصر كقصة زكريا وقصة أيوب عليهما السلام وبعض القصص يشار إليها ولا يذكر شيء عنها إلا وصفاً خاطفاً لأصحابها، كقصص إدريس واليسع وذي الكفل، وأما القصص الأخرى المتفرقة كقصة أصحاب الأخدود وأهل الكهف وصاحب الجنتين... والذي مر على قرية خاوية على عروشها فهي القصص الوعظية البحتة فتعرض بالقدر الذي يبلغ العظة.

[1] –سيد قطب / التصوير الفنى في ص: 115

أهداف القصص القرآني

أهداف القصص القرآني تلتقي بالأهداف العامة للقرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على عباده هدى ورحمة، غير أن القصة لها تأثير نفسي ووجداني لما فيها من عرض حي للفكرة بالتشخيص والحوار وغيره. والقصص من أبرز الأساليب القرآنية في شرح الإسلام وبيان رسالته، ولم يكن هذا القصص المحكم سردا مجردا ببعض الروايات القديمة يتسلى بها السامعون، بل كان وسيلة من وسائل القرآن إلى تحقيق هدفه الأصيل وهو الهدف الديني. والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء والقصة أحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها. [1] قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: ١١١).

للقصة أثر في النفوس لما فيها من عنصر التشويق والتصوير والإيهام بالواقعية وجوانب الاعتبار والاتعاظ، ومن هنا ساق القرآن قصصاً يمتاز بسمو الغاية والصدق وتحري الحقيقة والبعد عن الوهم والخيال، ويمكن أن نجمل أهم أهداف القصص القرآني فيما يأتي:

1. إثبات الوحي والرسالة فمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يكن كاتباً ولا قارئاً ولا عرف أنه يجلس إلى أحبار اليهو د والنصارى فورود هذه القصص في القرآن دليل على أنه وحي يوحى[2]، قال تعالى:﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (يوسف: ٢ــ ٣).
2. إيضاح أسس الدعوة إلى الله وبيان أصول الشرائع التى بعث بها كل نبي قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

فالدين كله من عند الله من عهد نوح عليه السلام إلى عهد محمد ــ صلى الله عليه وسلم ـــ وأن

[1] - المرجع نفسه ص 143.
[2] - المرجع نفسه.- ص145.

المؤمنين أمة واحدة، وكل نبي يأتي برسالة متممة لرسالة النبي الذي سبقه، قال تعالى مخاطبا أمة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ :﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ : (الشورى ١٣) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (الأعلى:١٨ــ١٩).

3. تثبيت قلب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده وخذلان الباطل وأهله [1]. وقد صرح القرآن الكريم بهذا المعنى في قوله تعالى:﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (هو د: ١٢٠)

فقد جاء القصص القرآني المعجز مصوراً لما عاناه الأنبياء السابقون وأتباعهم وكيف كانت الغلبة للإيمان والدمار والعذاب للكفرة المعاندين قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ١٤.)

ومن هنا كانت القصة القرآنية عظة وعبرة وهداية بالاتعاظ والاعتبار لما حل بالأمم السابقة من هلاك. والعبرة من أعظم الدوافع في تربية النفوس.. تأثراً بما تعرضه من تجارب ماضية وهي تسعى بالإنسان إلى التوجيه والتهذيب[2]. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: ١١١).

[1] - مناع القطان / مباحث في علوم القرآن.- ص307.
[2] - صلاح الخالدى / القصص القرآنى عرض وقائع وتحليل احداث ص 34.

4. تصديق الأنبياء السابقين وأحياء ذكراهم وتخليد آثارهم وإظهار صدق النبى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ في دعوته بما خبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال [1].

5. مقاومته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: ٩٣).

6. تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم، وابراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى وأدعى إلى الحذر الشديد، وقد تكررت قصة آدم في مواضع شتى لأن هذا الموضوع خالد.

7. ومن أغراض القصة وأهدافها أيضاً بيان قدرة الله على الخوارق بقصة خلق آدم وقصة مولد عيسى، وبيان عاقبة الطيبة والصلاح وعاقبة الشر والإفساد كقصة ابني آدم وقصة صاحب الجنتين، وبيان الفارق بين الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة والحكمة الكونية البعيدة الآجلة كقصة موسى مع العبد الصالح [2].

هذا يسير من كثير عن أهداف القصص القرآني وأغراضه، فالقصة القرآنية قصة هادفة ذات وظيفة رسالية، وهي ركن من أركان الدعوة الإسلامية لما لها من تأثير نفسي يمس العواطف عند سماعها ويسيطر على العقل ويدعو إلى التفكير، ومن ثم توحيد الله وإفراد العبادة له وسلوك طريق الخير ونبذ طريق الشر اتعاظاً بما حدث للسابقين، ومن هنا يكون للقصة دور فاعل في شرح العقيدة وترسيخها.

[1] - مناع القطان / مباحث في علوم القرآن.- ص307.
[2] - سيد قطب / التصوير الفنى في القرآن.- ص155.

عناصر القصص القرآني

لابد لأية قصة من عناصر تقوم عليها، وتشكل بنياتها وتحكم بناءها، ولا غنى للقصص القرآني عنها لتحقيق أهدافه وغاياته السامية في التربية ومن أبرز هذه العناصر:

أولا: الشخصيات :ـ

تعتبر الشخصية العنصر الأساس في القصة ومبناها الكبير فهي صانعة الاحداث ومجرية الحوار، والشخوص هم الذن يصنعون الأحداث ويتخاطبون ويتحاورون فيما بينهم، ولذا لا يمكن أن تخلومنهم القصة، فالشخصية هي التي تجسّم العواطف والمشاعر الإنسانية، فتجعل القصة حية شاخصة وليست مجرد أحداث تروى.

الشخصية في القصة القرآنية شخصية واقعية كان لها وجود ذاتي في زمانها ومكانها، فهي من صميم الواقع الصادق شأن القرآن في كل ما يعرضه دائماً الصدق والواقعية والأمانة [1].

الشخصية في القصة القرآنية ينظر إليها كشاهد من الشواهد الإنسانية في قوتها أوضعفها وفي هداها أوضلالها ولذا لم يبرز القرآن عنصر الشخصية لذاته وإنما للتأسّي بالشخصية الخيّرة والتنفير من الشريرة، وعليه لم يعن القرآن برسم الخطوط الشكلية للشخصية وإبراز ملامحها الخارجية.[2]

ويصور القرآن الشخصية القصصية حسب ما يقتضيه السياق الدرامي للقصة، فتقدم الشخصية وأبعادها الداخلية والخارجية كافة حيث تتخذ مسلكاً يمليه عليها الموقف مما يجعلها شخصية غنية بالمواقف والحركة.

والشخصية في القصص القرآني ليست مقصودة لذاتها أنما المقصود فيها هو الحدث وأخذ العظة والعبرة.

[1] - عبد الكريم الخطيب / القصص القرآني في مفهو مه ومنطوقه – دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ط2: 1975. ص 59.
[2] - التهامى نقرة / سيكولوجية القصة في القرآن: الشركة التونسية للتوزيع: ص360.

ومن الشخصيات النبوية المذكورة في قصص القرآن شخصية إبراهيم عليه السلام ــ فنرى في شخصيته أعظم مثال للهداية والطاعة والشكر [1] . قال تعالى:﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النحل: ١٢٠ ــ ١٢١).

وتعتبر شخصيات الأنبياء والرسل أبرز أشخاص القصة القرآنية وقد حظيت بجانب كبير من السور التي سميت بأسماء الأنبياء، كسورة يونس وهو د ويوسف وإبراهيم ومحمد ونوح عليهم السلام، وقد اختيرت شخصياتهم لغاية مقصودة، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (غافر: ٧٨).

مما سوغ اختيار هؤلاء من بين الأنبياء تشابه التجربة الدعوية التي عانوها مع ما كان يمر به الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في دعوته وما لقيه من تكذيب في المرحلة المكية خاصة [2].

إن القصص الذي يقصد فيه إلى التاثير بأحداث القصة وإبراز الحادثة وحكمتها يخفي منه صور الشخصيات وتبرز الحادثة فقط، وهذا ما يلاحظ في قصة عاد وثمود في سورة الحاقة ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٤ ــ٨)

وقد يبهم القرآن الأشخاص لحكمة، كما في قصة أصحاب الكهف، قال تعالى:(إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا *فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا) (الكهف: ١٠ ــ ١٢) هؤلاء الفتية عددهم لا يعلمه إلا الله ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي

[1] - صلاح الخالدي / القصص القرآنى عرض وقائع وتحليل احداث: ج1 ص72
[2] - نفسه ص72.

أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٢٢). ولعل الحكمة من ذلك توجيه للنبى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وهو مظهر عام من التوجيه الديني في ثنايا القصص وأعقابها [1].

وقد عرض القرآن بعض الشخصيات غير البشرية كشخصية الجن، ولكنه لم يلق عناية كبيرة بعالمهم، إلا فيما يتعلق بشخصية إبليس، وذلك لأثر هذه الشخصية في القسمة الكبرى للمخلوقات بين الخير والشر وقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١١ ــ ١٧).

إن الشخصيات في القصة القرآنية متنوعة، أنبياء ورسل وملائكة ورجال ونساء وأفراد وجماعات وقادة، ولكنّا الحظ أن الحضور الأقوى والأكبر والأعظم لشخصيات الأنبياء ــ لأنهم حملة الرسالات والدعاة إلى التوحيد ــ أو ذوي المناصب الدنيوية، وأن كل شخصية في القصة القرآنية لها أثرها البارز في القصة وتتفاعل تفاعلاً تاماً مع سائر الشخصيات الأخرى، بحيث تحس أن هناك سلكاً منتظماً يجمعها.

ثانياً: الحوادث (الأحداث) :ـ

الحوادث هي الوقائع التي تجري في القصة ويدور حولها عنصرا الحوار والاشخاص، ولعل الصلة بين الحوادث والأشخاص في القصة أقوى من أن يُلْفت الذهن إليها لأنهما العنصران الرئيسان في القصة، ثم أنه لا يمكن أن تتصور شخصاً من غير أحداث تلم به أوتقع عليه.

[1] - سيد قطب/ التصوير الفنى في القرآن: ص194.

" وقد ينصرف الأهتمام في القصة القرآنية إلى الأحداث دون الشخصيات، فيختار القرآن منها أومن عناصر الحادثة ما يخدم الفكرة الرئيسة ويخلق الجو النفسي الملائم من إجلال أورهبة، أوخوف أونفور أورغبة "[1] ولذلك تسرد القصة القرآنية الحدث اعتماداً على تتابع الأحداث تتابعاً سريعاً يخلق جوا مليئاً بالحركة كما في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴾ (الكهف: ٤٢ ــ ٤٣).

فنحن هنا أمام مشهد حافل بالنشاط والحركة والتصوير " لأن التعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها فتستحيل القصة حادثاً يقع ومشهداً يجري، لا قصة تروى ولا حادثاً قد مضى" [2]

والحدث كثيراً ما يعرض مجرداً عن ذكر الزمان والمكان اللذين وقع فيهما، لكن قد يكون لهما أولأحدهما مجال في سير الحادثة، فيتعلق الغرض بذكره، كما في قوله تعالى عن أخوة يوسف عليه السلام (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ) (يوسف: ١٦). فقد حرص القرآن الكريم على ذكر الزمن الذي دبرت فيه الجريمة وهو العشاء هو الجزء من الليل الذى تستر أخوة يوسف بظلامه لحبك مؤامراتهم وإنجاز مكيدتهم[3].

إن الأحداث في القصة القرآنية يكمل بعضها بعضا، وهي متعاقبة تحقيقاً لغايات دينية وتربوية ولإبراز مواطن العبرة فيها حتى يكون لها وقعاً في النفوس.

[1] - التهامى نقرة / سيكولوجية القصة في القرآن: ص349.
[2] - سيد قطب / التصوير الفنى في القرآن: ص190.
[3] - التهامى نقرة / سيكولوجية القصة في القرآن: ص348.

ثالثاً: الحـوار:

جزء من لغة القصة، ومن دعائمها الأصلية ولا تخلومنه غالباً لأنه مظهر بارز للعملية القصصية، وهو الذي يبعث الحياة والحركة في الحدث ويؤدي إلى الهدف، ويصور الشخصيات، وهو الكاشف عن مدى الصراع في المواقف المتغيرة، ويعتمد عليه في صياغة الحركة وتلونها وتنوعه[1].

مما يُلحظ في الوصف القرآني أن كل خطاب يرد في الحوار على لسان شخصية من الشخصيات أنما يعبّر عنها وعن دوافعها، فيصور الحوار الأحداث في أسلوب الحكاية تصويراً يكشف عن خبايا الصدور، فيصور القرآن أقوال الشخصيات بقوله تعالى: (قال)، (قالت)، (قالا)، (قالوا).

والحوار في القصص القرآني قد يكون بين اثنين أو أكثر، وموضوعاته هي الموضوعات الدينية كالوحدانية والبعث والمعجزات الخارقة للدلالة على النبوة وغيرها. ومن هنا تأتى أهميته في القصص القرآني حيث إثارة الحركة وبعث الحياة في الحدث وإقامة الحجة والإقناع، " كما يكشف عن مدى الصراع في المواقف المتغايرة كالصراع القائم بين يوسف ــ عليه السلام ــ وامراة العزيز، كما أنه يترجم عن الشخصية ويستبطن انفعالاتها وأزماتها..... ويزج بالقارئ في تجربة القصة ليعيشها وتنقله من عالمه إلى عالمها، ونجد ذلك في قصة يوسف على الخصوص" [2].

ومن أمثلة ذلك ما دار بين سيدنا موسى عليه السلام وأخيه في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ **(الأعراف: ١٥٠).**

وكذلك الحوار بين بنى آدم وما يمثله من صراع بين النفوس المؤمنة والأخرى الحاقدة الكافرة، قال تعالى:﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ

[1] - عبد الله الخطيب / القصص القرآني: مفهو مه ومنطوقه.- ص119
[2] - التهامي نقرة / سيكولوجية القصة في القرآن: ص414.

اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة: ٢٧ ــ ٣٠).

يظهر مما سبق أن هذه العناصر الثلاثة (الشخصية ــ الحدث ــ الحوار) تمثل حلقة متشابكة بحيث لا يمكن ان نفصل عنصر عن آخر، وكل عنصر يتحقق وجوده من خلال العنصرين الآخرين، فلا توجد شخصية بلا حدث ولا صراع بلا حوار.

رابعاً: الزمان والمكان:

الزمن له مكانه الملحوظ دائماً في سير الأحداث القصصية وفي تنميتها وإنضاجها، ولهذا تقوم القصة الناضجة على ملاحظة العنصر الزمني ملاحظة دقيقة." والقصص القرآنى ينظر إلى الزمن على أنه اليد الحاملة للأحداث والمحركة فيها وبغيره تهو ى الاحداث وتتساقط ميتة بلا حراك" [1]. ولكل قصة في القرآن الكريم زمنها الخاص بها، وعنصر الزمن في القصة القرآنية زمن مطلق من كل قيد إلا قيد الماضى.

ولا يقل المكان أهمية عن الزمان في القصص القرآني لما له من تأثير في الأحداث باستخلاص العبرة والفوائد منها، كما ينظر إليها كوعاء حامل للأحداث ولا يعني القصة القرآنية من ذكر المكان إلا ما جعلت منه جملة الأحداث المهمة مسرحاً لها وكان له وضع خاص يؤثر في سير الحدث كـــ(مصر) في قصة سيدنا يوسف ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْنَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٢١) ومدين والطور والاحقاف[2].

[1] - عبد الكريم الخطيب / القصص القرآني في منطوقه ومفهومه.- ص 83
[2] - المرجع نفسه ص94.

كما لا يعينها من ذكر الزمان تحديد تاريخ الحادثة ولا مدتها، إلا إذا كان في تعيينها أبعاد لقيمة الحادثة نفسها مثل المدة التى نامها أهل الكهف ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف: ٢٥). [1]

ويبدو أن المكان في القصص القرآني مكان مجرد بلا حدود ولا قيود وذلك في أغلب الأماكن التى ذكرها القرآن في قصصه فقصة أهل الكهف مثلاً لم يذكر فيها أين يقع هذا الكهف، لعدم جدوى ذلك أوأثره في الحدث أوعدم الاستفادة منه في العظة والاعتبار.

خامساً: الأسلوب:

ليس هناك أسلوب خاص يلتزمه كتاب القصة في عرض الأحداث وتحريك الأشخاص وإنطاقها فهناك أكثر من أسلوب، فقد يفرض الكاتب نفسه على أشخاص قصته فيتحدث بلسانهم، وقد يجعلهم في مقام الحضور فيدعهم يتحدثون بألسنتهم.

والذى نلحظه في القصص القرآنى أنه التزم الطريقة الأولى، "طريقة الراوية التي تُؤذِنكَ بأنك إنما تسمع أخباراً قد ذهب أشخاصها في التأريخ.... وأنها في هذا العرض إنما هى في بعث جديد قد جاءت تسعى اليك، أوأنك في رحلة زمنية عبر القرون الماضية فهى غائبة حاضرة معا" [2].

إن أسلوب القصة في القرآن جزء من أسلوبه المعجز بخصائصه العامة يحمل كل أمارات الصدق الذى لا يخالطه تمويه أوتخييل ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الإسراء: ١٠٥). فنجد أسلوب القصص القرآني معجزاً من حيث النظم واختيار الألفاظ الموحية، ومن حيث التصوير الذي يصور المشاهد القصصية طويلة أوقصيرة حسب داعي المقام، لأن" التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، فأما الحوادث

[1] - التهامي نقرة / سيكولوجية القصة في القرآن: ص97.
[2] - عبد الكريم الخطيب / القصص القرآني في منظومه ومفهو مه: ص80.

والمشاهد والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة، وفيها الحركة،.... ينسى المستمع أن هذا كلام يُتلى ومثلٌ يُضرَب، ويتخيل أنه منظر يعرض وحادث يقع"[1]

ومن أمثلة ذلك قصة قوم لوط ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ * قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ * قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ * قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ * فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ **(هو د: ٧٧ ــ ٨٣).**

فقد أبدع المبدع في تصوير المشاهد حتى كأنها شاخصة نراها، مع اختيار اللقطات الحية، وعدم الاهتمام بالتفاصيل والجزئيات التي تصرف الذهن عن التدبر والاعتبار.

[1] - سيد قطب / التصوير الفني في القرآن: ص36.

التكرار في القصص القرآني

القصة القرآنية خضعت في موضوعها وطريقة عرضها وإدارة حوادثها لمقتضى الأغراض الدينية وظهرت آثار هذا الخضوع في سمات معينة وخصائص للقصص القرآني من أهمها التكرار، فترد القصة الواحدة مكررة في مواضع شتى، " لكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها غالباً وإنما هو تكرار لبعض حلقاتها ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبرة فيها "[1].

عندما ننظر في قصص القرآن يروعنا أن نرى القصة يحكيها الله عزوجل مرات عدة، نفس القصة، بنفس التأثير ونفس المستوى رغم تكرارها، ويتغير تأثيرها وإيحاؤها بكلمة تضاف أوجزء يحذف أوعبارة جديدة أوجملة لم تكن موجودة، وفي كل مرة تعرض فيها القصة تكشف عن جانب من جوانبها أوتجسم صورة من صورها أوتكمل حدثا من أحداثها دون أن يقع في الأسلوب اضطراب أوتناقض. وتكرار الأحداث القصصية في القرآن الكريم هو وجه من وجوه الإعجاز القرآنى تتجلى فيه روعة الكلمة وجلالها بحيث لا يرى لها وجه في أية لغة يقارب هذا البيان.

وتعد قصة موسى ــ عليه السلام ــ أكثر القصص التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم، وقد وردت هذه القصة في حوالى الثلاثين موضعا[2]، وكل مرة تحوي عظات ودروسا مختلفة عن الأخرى.

والقصص الذى جاء في القرآن مكرراً قصة خلق آدم من طين وسجود الملائكة له، واستكبار الشيطان عنه ولعنه وطرده لأجله وسعيه من ذلك في أغواء بنى آدم واضلالهم. وقصص نوح، وهو د، وصالح، وشعيب، فقد كررت هذه القصص خدمة لأغراض العقيدة والدعوة لأنها أشد تجاوباً مع بيئتها وأكثرها استجابة لأهدافها[3].

---

[1] - سيد قطب: التصوير الفني في القرآن ص 155.
[2] - المرجع السابق ص 156.
[3] - التهامي نقرة / سيكولوجية القصة في القرآن: ص 118.

أهداف التكرار وحكمته:

من الصعب حصر أشكال التكرار وأهدافه وغاياته، فذلك أمر يتعلق بطبيعة النظم واستقامته، ومن حيث التركيز على ما يجب التنبيه إليه من عبر ومواعظ في مجال القصص القرآني وتأكيد المباديء الأساسية للعقيدة الإسلامية، ذكر ابن عاشور أن فوائد القصص تجتلبها المناسبات فتذكر القصة كالبرهان على مقتضى الغرض المسوقة معه فلا يعد ذكرها مع غرضها تكريراً لها لأن سبق ذكرها إنما كان في مناسبات أخرى[1]، ويمكن الأشارة إلى بعض هذه الأهداف:

أولاً: أن التكرار قد يكون فيه زيادة شئ ألا ترى أنه ــ القرآن ــ ذكر الحية في عصا موسى عليه السلام وذكرها في مواضع أخرى ثعبانا [2].

ثانياً: إثبات إعجاز القرآن الكريم بإيراد المعنى الواحد في صور شتى ــ مع عجز العرب عن الإتيان بصورة واحدة منها ــ أبلغ في التحدي، وقد نبه إلى ذلك بعضهم بقوله: "إن إعادة القصة الواحدة بالفاظ مختلفة تؤدى معنى واحداً من الأمر الصعب الذي يظهر فيه الفصاحة وتبين البلاغة.... وأعيد كثير من القصص القرآنى في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة ونُبِّهو ا ــ أى العرب ــ بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأً أو مكرراً " [3].

ثالثاً : ضرب الأمثال للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بما لاقى الأنبياء وأتباعهم من أذى أقوامهم وثباتهم على الحق ومصابرتهم في سبيل الله ولهذا كان أكثر القصص تكراراً في القرآن قصص بعص الأنبياء والمرسلين ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوالْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ **(الأحقاف: ٣٥).**

---

[1] - محمد الطاهر عاشور / تفسير التحرير والتنوير،ج1 ص68.

[2] - الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر د ت ج3 – 109.

[3] - ابوبكر الباقلاني: اعجاز القرآن: ص 61.

فلم يكن التذكير برسالات الأنبياء السابقين بالنسبة للرسول ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ موضوعاً ثانوياً بل على العكس من ذلك كان عبرة للجاحدين ومثلاً للمؤمنين[1].

رابعاً: مراعاة السياق الذى سيقت له القصة، فتختلف حكاية القصة الواحدة منها بأساليب مختلفة، ويذكر في بعض حكاية القصة الواحدة مالم يذكر في بعضها إما تجنباً للتطويل فيذكر موضع العبرة منها في موضع ويذكر أخر في موضع آخر، وإما لمناسبة الحال المقصودة من سامعيها، "ومن أجل ذلك نجد ذكراً لبعض القصة في موضع ونجد ذكراً لبعض منها في موضع آخر لأن فيما يذكر منها مناسبة للسياق من الذى سيقت له" [2].

يتبين مما سبق أن التكرار طريقة من طرق التأكيد وإمارات الاهتمام، والحكمة وراءه هي الهداية والعبرة، وأن كل تكرار تختلف فيه الصور للحدث الواحد وأن هذه الصور المكررة يكمل بعضها بعضاً حتى تعطى صورة واضحة كاملة.

[1] - التهامى نقرة / سيكولوجية القصة في القرآن: ص130.
[2] - ابن عاشور/ التحرير والتنوير ص69.

بين القصة القرآنية والقصة الأدبية

القصة في القرآن الكريم لها طبيعتها الخاصة وبناؤها المتميز الذى يفرقها عن غيرها من القصص البشرية، فهى ليست عملاً فنياً مستقلاً عن موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، بل هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل " والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شئ، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها..... وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها لمقتضى الأغراض الدينية.... ولكن هذا الخضوع للغرض الديني لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها"[1].

ولعلنا نلحظ فروقاً كثيرة بين القصة القرآنية والقصة الأدبية، وإن كان كلا النوعين فناً قولياً يتخذ من اللغة أداة تعبيرية، ومن الحكى والسرد وسيلة إلى التصوير، إلا أنهما يختلفان اختلافاً جوهرياً في الغاية والهدف، فقد قص الله علينا من أنباء الرسل والسالفين ما به تبين الحقائق وتقوم البراهين المتنوعة على التوحيد، عكس القصص الأدبي الذى مقصده إظهار القدرات الأدبية والفنية والإمتاع.

ومن الفوارق بين القصة القرآنية والقصة الأدبية:

1. **المصدر والأصالة:** لا ريب أن هناك فرق " بين القصة القرآنية " والقصة الأدبية كالفرق بين القرآن الكريم كلام الله تعالى وكلام البشر، لأن كلام الله تعالى: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) **فصلت: ٤٢.** وقوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ **(يوسف: ٣).** يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ، نحن نقص عليك يا محمد أحسن القصص بوحينا اليك هذا القرآن، فنخبرك فيه عن

[1] - سيد قطب / التصوير الفنى في القرآن: ص 143.

الأخبار الماضية وأنباء الأمم السالفة والكتب التي أنزلناها في العصور الخالية، وأن كنت من قبله لمن الغافلين [1].

فالله بذاته العلية هو الذي تولى القص على نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وهذا يدعوإلى التصديق بكل مافيه، أما كلام البشر فهو عرضة للنقائص، والقصص البشري يعرض من الناحية التي ينظر منها البشر للأحداث، وإذا أراد القاص أن يعرض شيئاً غير مألوف أويذكر بعض الخوارق فهو يعرضها من نسجه الشخصي ومن وحي مكونات شخصيته التي غالباً ما تكون متأثرة بالأفكار التي يحملها والثقافة التي اكتسبها، وتصوراته عن الكون والحياة، ولذا يقِلُّ في القصص البشري التزام الصدق والواقعية.

والقصص القرآني نسيج من الصدق الخالص وعصارة من الحقيقة المصفاة، لا تشوبه شائبة من وهم أوخيال، أنه يبنى من لبنات الواقع بلا تزويق ولا تمويه.

إن الأصالة في القصة القرآنية هى التي تضفي عليها الخلود وتقيمها مقام الأحياء، "هي نقل حي للأحداث حتى لكأنها تتجسد في الزمان والمكان اللذين حملاها فتظهر وكأنها في ساعة ميلادها لايختلف يومها عن أمسها، ولا يفقد من يشهدها اليوم ما شهدها منها الشاهدون بالأمس من صور وأشكال ومن مشاعر وأحاسيس وهذا هو الإعجاز الذي نشاهده في كلمات القرآن" .[2]

2. **الهدف:** يختلف القصص القرآني عن غيره من القصص في ناحية أساسية وهي ناحية الهدف والغرض، ذلك أن القرآن الكريم لم يعرض القصة على أنها عمل فني مستقل، كما أنه لم يأت بها من أجل التحدث عن أخبار الماضين وتسجيل حياتهم كما يفعل المؤرخون، وإنما كان غرض القصة غرضاً دينياً لأخذ العظة والعبرة من الأمم السابقة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ **(يوسف: ١١١).**

[1] - الطبرى / تفسير الطبرى: المجلد 6ج12ص90.
[2] - عبد الكريم الخطيب / القصص القرآنى في مفهو مه ومنظومه: ص9.

وهكذا كان القصص القرآني وسيلة طريفة لتقرير جوهر العقيدة وتوجيه النفس إلى الله "حتى تظهر آثار التوحيد في المشاعر والتصورات ظهو رها في السلوك والتصرفات، كما كان أداة لتربية النفوس.... وغرس روح العبادة والخشوع لأنه يستمد قدسيته من قدسية الله" [1].

أما في القصة الأدبية فإن الهدف يختلف باختلاف الأشخاص والأفكار والنوايا وغالباً ما يكون هدفها الإثارة والتشويق والإمتاع.

3. **العناصر الفنية:** القصة القرآنية لا تحمل في كلياتها كل العناصر الفنية للقصة، ولكن ذلك لا يعني خلوها من تلك العناصر تماماً، بل إن العناصر المألوفة للقصة من أحداث وأشخاص وحوار وارتباط مكاني وترتيب زماني وعقدة... لا نجدها مجتمعة في القصة القرآنية ولا موزعة توزيعاً يجعل لكل منها دوراً يختل بانعدامه توازن القصة " لأن المقاصد التي يوحي بها السياق هي التي توجه أسلوب العرض، وتتحكم في ترتيب الأحداث، وتسلط الأضواء على العنصر المراد إبرازه"[2].

أما القصة الفنية فلابد فيها من توافر كل العناصر، وأن يراعى في عرضها جانب التلميح ما أمكن وألا تخلومن عنصر التشويق. لكن القصة القرآنية لا تخضع لهذه الأسس لأنها لا تخضع للمقاييس البشرية، فالناحية الفنية في القصة القرآنية تتمثل في الصدق والواقعية وجمال العرض وتنسيق الأداء وقوة الإيحاء [3].

ولعل أبرز العناصر التى يختلف فيها القصص القرأني عن القصص البشري الجانب المتعلق بذات المنشئ، فالقصة القرآنية مصدرها هو خالق النفوس الذى يعلم السر واخفى﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ

[1] - التهامى نقرة / سيكولوجية القصة في القرآن: ص21
[2] - التهامى نقرة / سيكولوجية القصة في القرآن: ص93.
[3] - سيد قطب/ التصوير الفنى في القرآن: ص190.

بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾ (العنكبوت:١٠). والله عزوجل منزه عن كل ما يتأثر به البشر من عواطف وانفعالات، وكل يوم هو في شان.

4. **الصدق والواقعية**: تمتاز القصة القرآنية عن القصة الأخرى بأنه لا مجال فيها للخيال، ولا للزخرفة والتنميق ولا للخرافة والأوهام ولا للإضافات والاستطرادات التي تُرضي المشاهدين وتجتذب الأذهان والنفوس على حساب الواقع القائم والحدث الأصلي.

القصة القرآنية بنيت بناءً محكماً من لبنات الحقيقة المطلقة التي لا يطوف بجمالها طائف من خيال ولا يطرقها طارق منه[1]، أما القصة الأدبية ففيها الخيال والرمزية، وتنسج على منوال لم يألفه الناس اعتماداً على الإثارة والتشويق.

أن القصص القرآني نسيج من الصدق الخالص لا تشوبه شائبة من وهم أوخيال، إنه يبنى من لبنات الواقع في أسلوب معجز رائع، وكل كلمة تقال هي الصدق بعينه لا مجال فيها لزيادة أونقصان، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهو الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران: ٦٢) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهو الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الكهف: ١٣).

5. **الشخصيات**: في القصص القرآني الشخصيات كلها واقعية ولا خيال فيها، وقد تكون الشخصية في القصة الأدبية صادقة أو لا تكون، وقد تكون منسوبة للخيال في غالب أحيانها، وتسرد حسب رغبة المؤلف.

وأثر الشخصية في القصة القرآنية هو التأسي بالشخصية الخيرة والتنفير من الشخصية الشريرة، لذلك لم يعن فيها برسم الخطوط الشكلية، وإبراز الملامح الخارجية كما يفعل بعض المؤلفين بالقص فيذكرون كل ملامح الشخصية التي تجعل الشخصية كأنها ماثلة للعيان، لأن ذلك لا يخدم أي غرض

[1] - عبد الكريم الخطيب / القصص القرأني في مفهومه ومنطوقه: ص40.

ديني من أغراض القصة القرآنية، وإنما يكشف القرآن عن مزاج الشخصية وعن دوافعها وانفعالاتها وسلوكها من خلال الوصف أوحكاية الأقوال بصورة عرضية لم تقصد لذاتها بالأصالة [1].

مما سبق ندرك أن هنالك فارقاً كبيراً بين قصص يؤلفه البشر وقصص إلهي أنزله الله في كتابه المحكم المعجز بلسان مبين أعجز العرب أساطين الفصاحة والبلاغة.

[1] - التهامى نقرة / سيكولوجية القصة في القرىن: ص360.

الفصـــل الثـــاني

العدول الاسمي والعدول في صيغ المشتقات

المبحث الأول

العدول في العدد والجنس والتعريف والالتفات

المبحث الثـــاني

العدول في صيغ المشتقات

المبحث الأول

العدول في العدد والجنس والتعريف والالتفات

مــدخل

الاسم: ما دلّ معنى في نفسه غير مقترن بزمان، وعلامته أن يصح الإخبار به كالتاء من " كتبتُ أو نحوها أويقبل (ال) أوالتنوين أوحرف النداء أوحرف الجر وفي ذلك يقول ابن مالك :

بالجرِّوالتنوينِ والندا وال * ومُسندٍ للاسم تمييزٌ حصل** [1]

وأشار سيبويه إلى أنه(ما دل على مسمى ذات أومعنى وليس الزمن جزءاً منه) [2]

ويفيد الإسم الثبوت لا التجدُّد والحدوث، أي: قوة ثبوت الصفة في صاحبها ودوامها، بخلاف الفعل الذي يفيد إثبات الصفة لصاحبها ولكن بصفة أقل ومن غير دوام، وفي ذلك يقول عبد القاهر: "... وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء... فإذا قلت: (زيدٌ منطلقٌ) فقد أثبتَّ الانطلاق فعلاً له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً..." [3]

مفهوم الصِيغ الصرفية العربية:

صِيغة الأمر (الشيء) تعني هيئته، ورد في لسان العرب: " ويقال صِيغة الأمر كذا، وكذا، أي: هيئته التي بُني عليها " [4]. وصَوغ الشيء يعني سبكه ووضعه وترتيبه، " الصَّوغُ مصدر صاغ الشيء يصُوغه صَوغاً وصِياغة وصِيغة وصَيْغُوغة : سَبْكَهُ، يقال صَاغ شعراً وكلاماً أي: وضعه ورتّبه " [5]

---

[1] . محمد بن عبد الله بن مالك، متن الألفية ـ المكتبة الشعبية ـ بيروت ص2.
[2] - سيبويه: الكتاب: 1: 12
[3] - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز: ص 200.
[4] - ابن منظور: لسان العرب (صوغ).
[5] - ابن منظور: لسان العرب (صوغ).

أما الصيغة الصرفية فقد عرفها الإستراباذي: " المراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها: هيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد حروفها وحركاتها المعيّنَة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلِيَة كل في وضعه " [1]

نلحظ في هذا التعريف أن الإستراباذي لا يفرق بين بناء الكلمة ووزنها وصيغتها، بل يجعل ذلك كله شيئاً واحداً يعني هيئة الكلمة.

ونجد مفهوم الصيغة الصرفية واضحاً عند المحدثين، فالصيغة هي: كل لفظ له معنًى لغويّ يُفهم من مادة تركيبه، ومعنًى صِيغِيّ يُفهم من هيئته، أي: حركاته وسكناته وترتيب حروفه؛ لأن الصِّيغة اسم من الصَّوغ الذي يدل على التعرُّف من الهيئة لا من المادة. فالمفهوم من حروف (ضرب) استعمال آلة التأديب في محل قابل له، ومن هيئته وقوع ذلك الفعل في الزمان الماضي، وتوحيد المسند إليه وتذكيره وغير ذلك.[2]

إذن يشترط في الصيغة اجتماع المعنيين اللغوي، والصيغي الاشتقاقي مما يبين أن الحروف والأدوات والظروف لا تدخل ضمن الصيغ لأنها لا توجد لها أصول اشتقاقية.

---

[1] - الإستراباذي : شرح الشافية ج2 ص 105.

[2] - عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي :الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم – المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت -2008م ص 9. وانظر تمام حسان: العربية معناها ومبناها في 133.

أولاً: العدول في العدد

العدول في صيغ الإفراد والتثنية والجمع

الاسم من حيث العدد ثلاثة أقسام، المفرد والمثنى والجمع،

المفرد: " في اللغة اسم مفعول من أفرد الشيء جعله فرداً أوعزله. وفي الاصطلاح: ما دل على الواحد من الناس أوالحيوان أوالشيء ويسمى أيضاً المفرد الحقيقي والفرد الواحد والاسم المفرد".[1] ولم يُفَصِّل النحاة في المفرد، ولم يُعَيِّنوا له باباً في مؤلفاتهم النحوية لأنه الأصل فهو بذلك واضح، يقول سيبويه: " اعلم أن الواحد أشد تمكناً من الجميع، لأن الواحد الاول... "[2]

المثنى: " كل اسم كان له مفرد ثم أُلحق ألفاً بآخره ــ أو ياءً مفتوحاً ما قبلها ــ ونوناً مسكورة ليدل على أن معه مثله من جنسه "[3] . فهو اسم معرب ينوب عن مفردين متفقين لفظاً ومعنى، ويكون صالحاً لتجريده من زيادة الألف والنون أو الياء والنون.

الجمع: ما دل على آحاد مقصودة بحروف مفرده بتغيير ما... أي: يؤتى بحروف مفرد ذلك الدال عليها مع تغيير ما في تلك الحروف، أما تغيير ظاهر أومقدر، فالظاهر إما بالحرف كــ(مسلمون) أو بالحركة كــ (أُسْد) في أسد أو بهما كــ (رجال) و(غُرف) والتغيير المقدر كــ"فُلك " [4]. فيدخل في الجمع جموع التكسير، وجمعا السلامة، ويخرج منه اسم الجنس نحو تمر ونحل، واسم الجمع كرهط ونفر، والعدد كثلاثة وعشرة.

ومن خلال مبحث المطابقة الذي أقامه النحاة واللغويون يظهر العدول الاسمي كخاصية تعبيرية تتميز بطاقاتها الإيحائية. وطبيعة المطابقة بعلاقاتها السياقية تتمثل لغويا في العلامة الإعرابية كما تتمثل في الضمائر ــ التكلم والخطاب والغيبة ــ وتتمثل في العدد من حيث الإفراد والتثنية والجمع،

---

[1] - الشيخ مصطفي الغلاييني: جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية صيدا – بيروت: 1985م ج 1 ص 8

[2] - سيبويه الكتاب 1، 22

[3] - الاستراباذي: الكافية 1: 29

[4] - نفسه 2: ص 177.

وتتمثل أيضا في النوع من حيث التذكير والتأنيث ثم تتمثل في التعيين من حيث التعريف والتنكير.وهذه المطابقات تمثل النسق اللغوي المثالي في الأداء، الذي من خلاله كان العدول ظاهرة أسلوبية تعتمد على انتهاك هذا النسق المثالي، بانتقال الكلام من صيغة إلى صيغة قصداً لإثاره المتلقي وإدهاشه، وتحقيقا لمرامٍ ونكت بلاغية.

وفي التراث البلاغى إشارات متعددة إلى ظاهرة العدول بين عدد المخاطبين، وكان يشار إليها في البداية بمصطلحات أخرى، فأبوعبيدة يشير إليها بمصطلح المجاز " ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه ووقع معنى الواحد على الجميع قوله تعالى: ﴿ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ (الحج: ٥) في موضع أطفال ومن مجاز ماجاء من لفظ خبر الجميع على لفظ الواحد قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحريم 4) في موضع ظهراء" [1].

فقد استخدم أبو عبيدة لفظة (المجاز) بمدلول يتسع كثيراً عن مدلولها الاصطلاحي المقابل للحقيقة، فالمجازات عنده تشمل معاني الألفاظ والعبارات ، ووجوه الصياغة ، وطرائق التعبير وكانت غايته من ذلك (الاتساع) التدليل على أن البيان القرآني المعجز لم يحد في معجمه أو في أساليبه عند سنن العربية في التعبير والبيان .

وحذا حذوه ابن قتيبة " وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه ففيها الاستعارة والتمثيل،... ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين وبكل هذه المذاهب نزل القرآن" [2].

وتناول الزمخشري عدداً كبيراً من شواهد ظاهرة العدول بين عدد المخاطبين ووقف على أسرارها ومكنوناتها البلاغية دون الإشارة إلى اسمه [3].

[1] - أبوعبيدة معمر / مجاز القرآن ؛ تحقيق محمد فؤاد شركسين.- ج1.- ط2.- بيروت: مؤسسة الرسالة: ص9.
[2] - ابن قتيبية / تأويل مشكل القرآن: ص20-21
[3] - الزمخشري / الكشاف: 531/1، 364/2، 41/3.

إن بناء العبارة على العدول من أسلوب إلى آخر، يمثل جانباً كبيراً من تلوين الخطاب في القرآن الكريم، وسنتناول في هذا المبحث جانباً من صور العدول بين صيغ الإفراد والتثنية والجمع؛ لاستجلاء بعض صور التحول الأسلوبى مسترشدين بالقرائن السياقية وبتوجيه البلاغيين والمفسريين.

العدول عن المفرد إلى المثنى:

ظاهرة وردت في القرآن الكريم كثيراً على حسب الأحوال الداعية إليها، فالسياق له الأثر الأول في كشف معناها وأثرها البلاغي والأسلوبي، ومن ذلك قوله تعالى في قصة سيدنا موسى عليه السلام: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ * قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٧٥ – ٧٨). موضع العدول في قوله تعالى: (لكما) في الموضعين بعد أن سبق بخطاب المفرد في قوله تعالى: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ وكان السياق المتوقع أن يكون (لك)، ولكن عُدِلَ إلى المثنى؛ لأن الكبرياء التي كان يخشى منها فرعون شاملة لموسى وأخيه هارون ــ عليهما السلام ــ واستلزم التصديق لأحدهما التصديق للآخر، أما اللفت والمجيء له فحين كان من خصائص صاحب الشريعة أُسند إلى موسى ــ عليه السلام ــ خاصة [1].

وقد جعل فرعون الكبرياء لموسى وأخيه بناءً على اعتقاده في أن موسى ــ عليه السلام ــ لم يأت بالرسالة لأمر ديني، وإنما لأمر دنيوي وهو العلو والكبر؛ ليقلب حال بني إسرائيل من العبودية إلى الرفعة والعلو والكبرياء، وهذا لا يخص موسى وحده، وإنما يشمله هو وقومه، وفي

[1] - أبوالسعود محمد بن مصطفي / إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم.- بيروت: دار إحياء التراث العربى، د.ت.- ج4:ص169.

مقدمتهم أخوه، في حين كان إسناد المجيء إلى موسى ــ عليه السلام ــ خاصة لكونه المقصود بالرسالة، والمبلغ عن شرع الله تحديداً.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوامْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ (الكهف: ٦٠ ــ ٦١) وكان النسيان من أحدهما لأنه قال: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (الكهف: ٦٣). وردت هذه الآية في قصة سيدنا موسى ــ عليه السلام ــ مع العبد الصالح وفتاه المذكور هنا هو يوشع بن نون وهو الذي نسي الحوت فقد قال له سيدنا موسى :" لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت" [1]. ثم أن موسى ــ عليه السلام ــ نام، وبقى فتاه يقظان، فاضطرب الحوت وجعل لنفسه طريقاً في البحر فقال فتاه لا أوقظه.... فلما استيقظ موسى عليه السلام نسي صاحبه أن يخبره .

إذن مراقبة الحوت مهمة أناطها موسى ــ عليه السلام ــ مباشرة بفتاه، وقد تم فهو مسؤول مسؤولية العامل عما يوكل إليه، ثم أن موسى ــ عليه السلام ــ كان نائماً ولم يشاهد ما حل به. وفي الآية عدول من الفعل (نسي) إلى المثنى (نسيا)، فيوشع هو الذى نسي وأضيف النسيان إليهما[2].

وسر العدول في الآية الكريمة أن نُسِبَ النسيان للاثنين للصحبة؛ لأن الناسي هو يوشع صاحب الزاد ودليله ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ ، واعتذاره ﴿ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ ، وفي هذا اعتراف صريح من الفتى بالنسيان، كما أن موسى ــ عليه السلام ــ نبي مرسل، ومن أُولي العزم، فهو أبعد الرجلين عن وساوس الشيطان. إذن عدل عن صيغة المفرد إلى المثنى للصحبة [3].

[1] - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: تحقيق إبراهيم أطفيش وأحمد البردوني. دار الكتب المصرية. القاهرة ط2 د: ت ج11: ص 12.
[2] - الطبري. تفسير الطبري ج16 : 337/336.
[3] - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: 11-12

ومن أمثله هذا العدول في الشعر قول سُوَيد بن كراع:

فإن تَزْجُرَانِ يابْنَ عَفّانَ أَنْزَجِرْ** **وإنْ تَدْعَاني أحْمِ عِرْضاً مُمَنّعاً** [1]

موضع الشاهد فيه (تزجران وتدعاني) المخاطب بهما ابن عفان، فقد عدل عن خطاب الواحد إلى المثنى، والأصل (تزجرني، تدعني).

العدول عن المثنى إلى المفرد:

يأتي العدول من لفظ التثنية إلى المفرد لأسرار بيانية تدرك من خلال سياق النص القرآني.

وقد بين الثعالبي أن من سنن العرب وأسرار العربية " الجمع بين شئيين اثنين تم ذكر أحدها في الكتابة دون الآخر، والمراد به كلاهما معا" [2].

وأمثلة هذا النوع من العدول كثيرة في قصص القرآن منها قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ (طه: ١١٦ ــ ١١٧) وردت هذه الآية في قصة سيدنا آدم وخروجه من الجنة، إنما أُفرِدَ أبونا آدم بالشقاء من حيث كان المخاطب أولاً والمقصود بالكلام، وقيل: "لأن الله جعل الشقاء في معيشته الدنيا في حيز الرجال، ويحتمل الإغضاء عن ذكر المرأة. من الكرم ستر الحرم ".[3]

ومنه قوله تعالى في حكاية عن المسيح وأمه:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (المؤمنون: ٤٩ – ٥٠) موضع العدول في قوله تعالى(آية) حيث كان من المتوقع من السياق أن يقال (آيتين) وسبب ذلك أن شأن عيسى ــ عليه السلام ــ وأمه واحد وكل منهما صار آية بالآخر، كما أن الحديث هنا عن قدرة الله تعالى في تكوين عيسى عليه

[1] - سويد بن كراع العكلي، الديوان ، حاتم الضامن ، عالم الكتب بيروت . ط1 : 1987م ص 63.
[2] - أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق أحمد السقا وزميليه 1972م ص 361.
[3] - الزركشي، البرهان ،ج2 ، 241.

السلام من غير أب، وإنطاقه في المهد صبياً، وفي جعل أمه آية لأنها ولدت ولم يمسسها بشر، فالآية لا تكون في أحدهما دون الآخر، ولهذا عدل إلى المفرد باعتبارهما آية واحدة[1].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في قصة سيدنا موسى وجدال فرعون: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ (طه: 47– ٤٩). حيث عدل عن خطاب الاثنين (ربكما) إلى خطاب الواحد (موسى) وذلك " لأن موسى عليه السلام هو صاحب عظيم الرسالة وكريم الآيات، فأُفرد بالنداء بمعنى التخصيص والتوقف"[2].

ويحتمل أن يكون توجيه فرعون خطابه لموسى ــ عليه السلام ــ ، لأنه معروف في بلاطه وله سابقة اتصال به، كما أنه قد يكون دفعه خبثه ومكره على استدعاء كلام موسى ــ عليه السلام ــ لما عرف من الحبسة في لسان، وفصاحة هارون ــ على ما نطق به القرآن ــ ولذا وجه الخطاب لسيدنا موسى ــ عليه السلام ــ ؛ لإحراجه وحتى يعيا في الخطاب، فثبت عن جواب الخصم الألد.

العدول عن المفرد إلى الجمع:

واحد من صور العدول التي تمثل تحولاً عما يتوقعه المتلقي إلى شئ آخر لأغراض بلاغية وأسلوبية، وقد ذكر ابن فارس: " أن من سنن العرب الإتيان بلفظ الجمع والمراد واحد واثنان".[3]وتناول ابن فارس قوله تعالى على لسان ملكة سبأ:﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (النمل: ٣٤ – ٣٥). فقالت (إليهم) وإنما أرسلت إلى سليمان وحده، وذلك أنه " من إظهار العرب الخبر في أمر كان من واحد على وجه الخبر من جماعة إذا لم يقصد قصد الخبر عن شخص واحد بعينه" [4].

---

[1] - شهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي ، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني.دار التراث. القاهرة د ت 9: 238.
[2] - الزركشي. البرهان، ج2: ص 241.
[3] - ابن فارس، الصاحبي:ص 350.
[4] - نفسه / الصفحة نفسها.

وقد قيل: إن الرسول الذي وجهته ملكة سبأ إلى سليمان كان امرأً واحداً، فلذلك قال:﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (النمل: ٣٦) يراد به فلما جاء الرسول سليمان.واستدلوا على ذلك بقول سليمان للرسول:﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (النمل: ٣٧). ولكن عدل في الآية عن المفرد إلى الجمع فقيل: (المرسلون) .

ومن أمثلة ذلك في القصص القرآني أيضاً قوله تعالى حكاية لإهلاك قوم عاد:﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هو مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأحقاف: 24–26).إن من يتأمل القرآن الكريم يلحظ أن كل موضع ذكر فيه السمع والبصر، ورد فيه السمع مفرداً في اللفظ، ومتقدماً في الترتيب، وجاء البصر مجموعاً، وتالياً في الذكر. وقد حاول بعض المفسرين كشف الغطاء عن السر في ذلك فقيل:" إنما وُحِّدَ السمع لأنه مصدر يقع على الكثير والقليل، والمصادر لا تجمع، والسمع أيضاً اسم للجارحة المسموع بها سميت بالمصدر" [1]. وقيل يحتمل أن يكون على حذف مضاف،أي: مواضع سمعهم، أوحواس سمعهم. كما أن أضافة الشيء إلى ضمير الجمع تغني عن الجمع عند أمن اللبس، كقول المسيّب الغنوي:

لا تُنكِروا القَتْلَ وقدْ سُبِيْنَا ** في حَلقِكُم عَظْمُ وقَدْ شُجِيْنَا** [2]

أي : في حلوقكم فقد استغنى الشاعر عن الجمع بإضافة المفرد إلى ضمير الجمع فقال :(حلقكم) .

[1] - القرطبي / الجامع لأحكام القرآن ج 1 ص 19.
[2] - لسان العرب مادة (شجا).

وقد تلمس الألوسي ــ رحمه الله ــ سر هذا العدول الذي جاء مطرداً في القرآن الكريم فذهب إلى أن مدركات السمع نوع واحد ومدركات الأبصار والأفئدة مختلفة ومتعددة[1].

وفيما نرى أن ما ذهب إليه الألوسي يصدقه الواقع، فالسمع لا شأن له غير الصوت، والصوت شيء واحد وإن تعددت مصادره وتباينت أوصافه، أما البصر فهو يدرك كافة المرئيات على اختلاف هيئاتها وأشكالها وصورها، كما أن الفؤاد تتعدد مدركاته فهو يجيش بألوان من العواطف والانفعالات.

ومن أمثلة هذا العدول قوله تعالى حكاية عن قوم سيدنا موسى ــ عليه السلام ــ : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 72 –73). موضع العدول في (قتلتم) وإنما كان القاتل واحداً، وقوله تعالى في قصة ثمود: ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ (الشمس: ١٣ ــ ١٤). وقد عقرها واحد منهم. وقد ذكر الثعالبي أن ذلك من سنن العرب فهم "ينسبون الفعل إلى الاثنين وهو لأحدهما أو للجماعة وهو للواحد منهم" [2]

العدول عن الجمع إلى المفرد:

من سنن العرب ذكر الواحد والمراد الجمع، كقولهم للجماعة (ضَيْفٌ) و(عدُوٌ). حيث يصير الجمع كالشيء الواحد؛ لشدة الاتصال والتماسك. والقرآن الكريم رأس الهرم في الفصاحة والبلاغة العربية نزل بلسان عربي مبين؛ لذا نجد كثيراً من هذه السنة في ثنايا آياته الكريمة كقوله تعالى :﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * هو الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ

[1] - الألوسي / روح المعاني 1، 138.
[2] - الثعالبي: فقه اللغة: مرجع سابق، ص 361.

وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (غافر: ٦٦ ــ ٦٧.) فقال (يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا) بدلاً عن (أطفالاً) عدولاً عن الجمع إلى المفرد لإظهار ضعف الإنسان؛ فإنه يولد ضعيفاً ثم يعطيه الله القوة شيئاً فشيئاً.

وفي قوله تعالى حكايةً في قصة لوط ــ عليه السلام ــ والملائكة الذين جاءوا يخبرونه بدنو إهلاك قومه :(وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ) (الحجر: ٦٧ ــ ٦٨) وردت (هؤلاء) جمعاً والمشار إليه (ضيفي) مفرداً. فهو يريد به الجماعة [1] والغرض البلاغي يتمثل في التعبير عن عمق العلاقة الحميمة بين لوط ــ عليه السلام ــ وأضيافه، ولو قال (أضيافي) لتوزعت العلاقة بينهم وكان ذلك أضعف ويقولون (العرب): قد كثر الدرهم والدينار[2] ، ومنه قول شاعرهم العباس بن مرداس:

فقلنا أسلموا إنّا أخوكم * وقد بَرِئتْ من الإحَن الصُّدُور** [3]

فقد عدل عن الجمع (إخوتكم) إلى المفرد (أخوكم) المخبر به عن الجمع (إنُا) والجرس في لفظة (أخوكم) أقوى منه في (إخوتكم)؛ ولهذا اختارها الشاعر .

ونقف على هذا النوع في قوله تعالى حكاية عن آل فرعون: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ* أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ* أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ* سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر:٤٤ – ٤٥). فجاءت (ألدُبُر) بلفظ المفرد وكان القياس المتوقع في هذا السياق أن يقال (الأدبار) ليتوافق مع ضمير الجمع (يولون)، ولعل السر في الإفراد أن المراد به الجمع، أي: أنه جنس يصدق به المتعدد، إذ يؤلي كل واحد منهم دبره [4]. وفي إفراد كلمة (الدبر) إشارة إلى أن المشركين سيُهزَمون انهزام النفس الواحدة، فتكون لجيشهم جهة تول واحدة، ويفرون

---

[1] - ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن 176.
[2] - ابن فارس / الصاحبي: 348.
[3] العباس بن مرداس السلمي ، الديوان ، جمع وتحقيق يحيى الجبوري ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط1 1991م ص 71.
[4] - محمد الطاهر بن عاشور / تفسير التحرير والتنوير.- تونس: دار سحنون للنشر.- ج27، د.ت: ص213.

فرار رجل واحد أعطى دبره للعدو. وهذا أدعى في التهكم بهم وأدق في توصيف حالهم وكأنما أفرغت قلوبهم من الشجاعة إفراغاً واحداً. كما أن لفظ المفرد جاء متسقاً مع مقاطع الفاصلة .

ومن أمثلة هذا العدول قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هو مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (التحريم:٣ــ ٤). فوصف الجمع (الملائكة) بالوصف المفرد (ظهير) خلافاً للقاعدة النحوية التي توجب إلحاق التابع بمتبوعه. وقد ذهب ابن عاشور إلى أن:" (ظهير) وصف بمعنى (المُظاهِر) أي: المؤيّد، وهو مشتق من الظهر فهو (فعيل) بمعنى (مُفاعِل)، فإن كان هنا خبراً عن الملائكة كما هو الظاهر، كان إفراده على تأويل جمع الملائكة بمعنى الفوج (المُظاهِر) ، أو هو من إجراء فعيل الذي بمعنى فاعل مجرى فعيل بمعنى مفعول"[1].

وذكر الألوسي:" أنه مفرد أخبر به الجمع لأنه بمعنى (مُظاهِرون) واختير الإفراد لجعلهم كشئ واحد، وجوز أن يكون خبراً عن جبريل ــ في الآية الكريمة ــ وخبرها بعده مقدر " [2] وهذا نظير ما قالوا في قول الشاعر :

ومَنْ يَكُ أمْسَى بالمدينةِ رَحْلُهُ ** فإنِّي وقَيَّارٌ بها لَغَرِيبُ** [3]

الشاهد في قوله (لغريب) اذا عدل عن (غربيان) لأنه يخبر عن اثنين، نفسه وقيّار.

وسار على ذات النهج صاحب مجاز القرآن في تناوله لقوله تعالى في قصة سيدنا لوط ــ عليه السلام ــ :﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ (الحجر: ٦٧ ــ٦٨).

قائلاً: " اللفظ لفظ الواحد والمعنى معنى الجمع" [4] واستشهد بقول لبيد:

---

[1] - المصدر السابق نفسه: ص359،28.

[2] - الألوسي: روح المعانى: 28-153.

[3] - البيت في طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحي ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني القاهرة ، دون ت ج1 ص 172 وقائله ضابيء بن الحارث البرجمي . وانظر الإيضاح ص 74.

[4] - أبو عبيدة: مجاز القران ، 1- 353.

وخَصْمٍ كنادي الجِنّ اسْقَطْتُ شَأْوَهُمْ **** بِمُسْتحصدٍ ذي مِرّةٍ وصُدُوع [1]

فقد عبّر عن الجمع بلفظ الواحد فقال (خصم) بدل (خُصُوم) ، يدل على ذلك قوله (شأوهم)

ومن أمثلة العدول إلى المفرد، قوله تعالى على لسان زكريا ــ عليه السلام ــ :﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (مريم 3ــ 4) . فقد عدلت الآية الكريمة عن لفظة (العظام) إلى مفردها (العظم) قال الزمخشري شارحاً سر ذلك: " وإنما ذكر العظم ووحده لأنه هو الدال على معنى الجنسية وقصده إلى أن هذا الجنس ــ الذي هو العمود والقوام وأشدّ ما تركب منه الجسد ــ قد أصابه (الوهن)، ولو جمع لكان قصد إلى معنى آخر، وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها"[2].

وأبزت صيغة المفرد معنى الجنسية بخلاف صيغة الجمع التي قد تصرف الذهن إلى معنى الشمول، وهو غير مراد في هذا المقام، ولعل هذا ما أشار إليه السكاكي من أن "استغراق المفرد يكون أشمل من استغراق الجمع" [3].

ومن أسلوب العدول بين صيغتي الإفراد والجمع في القرآن الكريم، أننا نرى أن بعض الألفاظ لم يأت فيه إلا مجموعاً، ولم يستعمل منه صيغة المفرد، فإذا احتاج إلى هذه اللفظة عدل إلى مرادفها كلفظة (اللّب) فإنها لم ترد إلا مجموعة كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر21)،وقوله جل وعلا:﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هو الَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(ابراهيم 52). ولم تجئ فيه مفردة بل جاء في مكانها القلب وكذلك تأت لفظة (الكوب) استعملت فيه مجموعة ولم تأت مفردة ولفظة (الأرجاء). وعكس ذلك لفظة (الأرض) فأنها لم ترد

[1] - لبيد بن ربيعة العامري ، الديوان ، بيروت: دار صادر، د.ت: ص87.
[2] - الزمخشري: الكشاف: 2: 405.
[3] - السكاكي: مفتاح العلوم: ص 112.

فيه إلا مفردة، فإذا ذُكِرَتْ السماء مجموعة جي بها مفردة في كل موضع منه [1]. ولما احتاج إلى جمعها أخرجها على هذه الصورة التي ذهبت بسر الفصاحة وذهب بها... وهي في قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق:١٢) .

العدول عن المثنى إلى الجمع:

ذكر الثعالبي عن الشَّعبي ــ في كلام له في مجلس عبد الملك ــ " رجلان جاءوني فقال له عبد الملك (لحنت يا شعبي)، فقال: لم أُلحن يا أمير المؤمنين مع قوله تعالى:﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ (الحج: ١٩). فقال عبد الملك لله درك يا فقيه العراقيين لقد شفيت وكفيت" [2]. وموضع العدول في الآية اسناد " اختصموا " بالجمع إلى صيغة المثنى (خصمان) لكنا نرى أنه لا علاقة بين الآية الكريمة المعجزة وقول الشعبي، لأنه يتحدث عن رجلين اثنين في حين أن (خصمان) في الآية تعني جمعاً من الناس، إذ هما فريقان خصمان. ومن ذلك في قصص القرآن ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * وَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٨٦ – ٨٧). موضع العدول في (واجعلوا) و(أقيموا) وكان المتلقى يتوقع: (واجعلا) و(أقيما) لما تقدم من توجيه الخطاب إلى موسى وهارون عليهما السلام، ولكنه عدل إلى الجمع لسر بلاغي، فقد خوطب موسى وهارون لأنهما متبوئان[3] والتبوء للقوم باتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم، ثم عدل إلى الجمع لأن جعل البيوت مساجد والصلاة فيها واجب على الجميع. وهذا ما أشار إليه الزمخشري " بأن الخطاب ثُنيَ

[1] - مصطفي صادق الرافعي / إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ؛ راجعه درويش الجويدى.- بيروت: المكتبة العصرية، 2004م: ص91.
[2] - الثعالبي / فقه اللغة: ص255.
[3] - التبوء اتخاذ المكان يسكنه وهو تفعل من (البوء) اى الرجوع والنزول والمقام: انظر لسان العرب (بوء).

ثم جُمِع ثم وُحِدَ آخراً، تخصيصاً لموسى ــ عليه السلام ــ بالبشارة التي هي الغرض تعظيماً لهما وللمبشر بها " [1].

يلحظ في هذه الآية ثلاثة تحولات (تبوءا) مثنى (اجعلوا، أقيموا... جمع، ثم (بشر) مفرد وهذا ينبئ عن شجاعة الخطاب والقدرة على الإبداع في تصريف القول وفق ما يقتضيه المعنى ويطلبه السياق .

ومن أمثلة هذا العدول في قصص الفرآن قوله تعالى حكاية عن داؤود وسليمان عليهما السلام:﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (الأنبياء ٧٨). فقد أضيف الحكم إلى ضمير الجمع (لحكمهم) مع أنه صادر عن داؤود وسليمان؛ وعلة هذا العدول هو اجتماع الحاكمين والمحكومين، فالضمير (هم) عائد على الحاكمين والمحكوم لهما وعليهما، وليس المصدر هنا مضافاً لا إلى فاعل ولا إلى مفعول ... المصدر هنا لا يرد به العلاج بل يراد به الحقيقة[2] فالحكم كما يضاف إلى الحاكم يضاف إلى المحكوم له والمحكوم عليه باعتبار اجتماعهم على الحكم.

ومن ذلك قوله تعالى عن ثمود: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾(النمل ٤٥). الضمير عائد على ثمود وقد انقسموا إلى فريقين: مؤمنٍ وكافرٍ، والفريق المؤمن هو صالح والآخر قومه [3] . وقال فريقان يختصمون بدلاً عن يختصمان باعتبار اشتمال الفريقين على عدد كبير. وأنها متسقة مع مقاطع الآيات (تُرحمون، تُفتنون، يُصلحون) وقوله عز وجل في قصة إفشاء أمنا حفصة ــ رضي الله عنها ــ سراً استودعها إياه:﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هو مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ

[1] - الزمخشري: الكشاف: ج2 - 364.
[2] - أبو حيان ، البحر المحيط17 - 328.
[3] - الكشاف : 2 - 371.

وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحريم: ٣ ــ ٤). فقد عدل عن (قلباكم) إلى(قلوبكما)، قال ابن عاشور: " صيغة الجمع في قلوب مستعملة في الاثنين طلباً لخفة اللفظ عند أضافته إلى ضمير المثنى كراهية اجتماع مثنيين، فان صيغة التثنية ثقيلة لقلة دورانها في الكلام فلما أمن اللبس ساغ التعبير بصيغة الجمع عن التثنية " [1] . وهذا استعمال للعرب غير جارٍ على القياس، فكل اسم مثنى أضيف إلى اسم مثنى فإن المضاف يصير جمعاً.

وذكر الزجاج أن حقيقة هذا الباب إن ما كان في الشيء منه واحد لم يُثَنَّ، ولُفظ به على الجمع؛ لأن الإضافة تبينه، فإن قلت: (أشبعت بطونهما) علم أن للاثنين بطنين فقط. وذكر الألوسى أن إضافة ضمير المثنى إلى الجمع أكثر استعمالاً من التثنية والإفراد، وقال:"إنه لا يجوز إلا في الشعر"[2].

العدول عن الجمع إلى المثنى :

إن المغايرة بين صيغ الجمع والتثنية تمثل تحولاً عما يتوقعه المتلقي إلى شيء آخر، وكثيراً ما ترد في القرآن الكريم لدواع بلاغية وأسلوبية، ومن أمثلته في قصص القرآن قوله تعالى في قصة داؤود ــ عليه السلام ــ ، ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (ص 21–22). حيث وردت (خصمان) مثناة، مخالفة لما يقتضية ظاهر السياق الحافل بضمائر الجمع: (تسورا ــ دخلوا ــ منهم ــ قالوا...). ولعل النكتة البلاغية في ذلك أن لفظ (الخصم) صفة يوصف بها الفريق أوالفوج، فيقال؛ فريقان أوفوجان متخاصمان فكل فريق يجمع طائفة من الناس. وهذا ما ذهب إليه الزمخشري بقوله: "معنى خصمان فريقان خصمان، وتفسير الخصمين بمعنى الفريقين لا يتنافى

[1] - ابن عاشور: التحرير والتنوير: 356/28.
[2] - الألوسي: روح المعاني: 153/28.

مع ما هو معلوم من سياق تلك القصة ــ من أن الخصومة كانت بين شخصين اثنين ؛ ذلك لأنه قد كان مع كل منهما صحب وأعوان يساندونه في خصومته ضد الآخر، فهما ــ إذن ــ فريقان" [1].

وقد ذكر ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ أن داؤود ــ عليه السلام ــ جزأ زمانه أربعة أجزاء: يوماً يخلو فيه للعبادة، ويوماً للقضاء ويوماً للاشتغال بخواص أموره، يوماً للوعظ والتذكير، وأن هؤلاء الخصم قد دخلوا عليه في يوم خلوته [2]. وفي ضوء هذا يكون العدول عن الجمع إلى التثنية على ألسنة هؤلاء الخصم إيحاءً برغبتهم في تهدئة روع داؤود ــ عليه السلام ــ بعد أن أحسوا بفزعه.

وفي ذلك يقول حسن طبل " فكأنهم أدركوا أن هذا الفزع ليس لأنهم تسوروا عليه محرابه فحسب، بل لخوفه كذلك أن يضيع خلوته للعبادة في الفصل بينهم، ومن ثم كان في إيثار العدول إلى التثنية على ألسنتهم (خصمان) إيماءً إلى حرصهم على تطمينه من هذا الجانب، فكأنهم بذلك يبادرونه بالقول: لا تخف من ضياع يومك فهذه الجموع التي تراها لم تأت إلا من أجل خصومة واحدة " [3].

إن لفظ (خصم) شبيه بالمصدر يطلق على الواحد وأكثر.

---

[1] - الزمخشري: الكشاف: ج3: 322-323.
[2] -المرجع نفسه: 323.
[3] - د. حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، دار الفكر العربي القاهرة 1998م :101.

ثانياً : العدول في الجنس

من المعروف أن لكل من الألفاظ المذكرة والمؤنثة مواضعها في اللغة العربية، فلا يأتي أحدها في موضع الآخر، إلا في مواضع معينة ولِعِلةٍ ما، وقد يؤثر الذكر الحكيم أن يغلب أحدهما على الآخر لعِلة بلاغية ودلالية يقتضيها المقام.

ويتعرف المذكر بأنه ما يصح أن يشار إليه بـــ (هذا) كـــ (رجل، وكتاب) وهو إما حقيقي وهو مادل على ذكر من الناس أوالحيوان كـــ (رجل، وأسد) أو مجازي نحو " بدر، وليل،وباب "[1]. والمؤنث ما يصح أن يشار إليه بـــ (هذه) كـــ (امرأة وناقة وشمس) [2]،

وللتأنيث علامات قام عليها تعريف الزمخشري وابن الحاجب للنوعين: " يتعرف المذكر بأنه ما خلا من العلامات الثلاث: التاء، الألف، الياء في نحو غرفة، وحبلى وحمراء، وهذي والمؤنث ما وجدت فيه إحداهن" [3]

الكلام في الجنس من المسائل القديمة التي بحثها اللغويون، وخلفوا مؤلفات تحمل عنوان (المذكر والمؤنث) على سبيل المثال: (المذكر والمؤنث) للفراء و(المذكر والمؤنث) لأبي بكر الأنباري وغيرهما. وقد اعتبروا المذكر أصلاً ، والمؤنث فرعاً يجب رده إليه عند الالتباس، كما يقول ابن جني" تذكير المؤنث واسع جداً، لأنه رد فرع إلى أصل، لكن تأنيث المذكر أذهب إلى التنكير والإغراب" [4]

ولكن كون المذكر أصلاً لا يخرج العدول إليه من دائرة الاستثناء لأنه يخالف أصلاً آخر وهو وجوب المطابقة بين أجزاء الكلام، ومن ثم فهو مبحث صرفي بلاغي جدير بالتناول.

---

[1] - مصطفي الغلاييني: جامع الدرزس العربية بالمكتبة العصرية. صيدا: بيروت ط 1980 ص 98.

[2] - المرجع نفسه ص 98 .

[3] - الزمخشري: المفصل في علم العربية، تحقيق محمد عز الدين السعيدي ،دار احياء العلوم بيروت 1990م ص 172 وانظر الكافية 2 ص 161.

[4] - ابن جني: الخصائص، 301/2.

وأما العدول إلى المؤنث فانه يتضمن عدولين، واحداً عن القاعدة المتقدم ذكرها وهي وجوب المطابقة بين أجزاء الكلام، والثاني ترك الأصل الذي هو المذكر إلى الفرع الذي هو المؤنث حسب رأي ابن جني.

وتعد مراوحة الأسلوب القرآني بين التذكير والتأنيث نوعاً من أنواع الترابط النصّي بل تعد أثراً فاعلاً في تجلية المعنى. ومغايرة الأسلوب على هذا النحو طريقة من طرق العرب في كلامهم وأشعارهم، ففي مواضع كثيرة نجد العربية لا تستعمل الأصل ولكنها تغاير فتحدث دوراناً في الكلام بين التذكير والتأنيث.

وللأسلوب القرآني طريقته في هذه المغايرة التي لا تخلو من فائدة أو غرض بلاغي. وقد استخدم الذكر الحكيم كثيراً من الألفاظ مذكراً في موضع ومؤنثاً في آخر، ومن ذلك مثلاً: لفظ " السبيل " فقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف 146).وقال في موضع آخر: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف 108). حيث جاء لفظ السبيل مذكراً في الأولى ومؤنثاً في الثانية.

ولفظ (الفلك) قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (الشعراء 119). وفي آية أخرى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ (البقرة 164). فكان (الفلك) مذكراً في سياق ومؤنثاً في آخر، وغيره كثير مما لا يدخل في موضوع دراستنا.

والعدول في الجنس إما أن يكون عن المؤنث إلى المذكر، أو عن المذكر إلى المؤنث.

العدول عن المؤنث إلى المذكر:

يرد هذا الأسلوب في القرآن الكريم لدواع بلاغية وأسلوبية ودلالية تكتنفها ضرورات السياق والمقام ومن ذلك قوله تعالى في قصة مريم بنت عمران:﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (آل عمران 42-43). موضع العدول في قوله تعالى: (مع الراكعين) وهي من الراكعات، فعدل عن المؤنث إلى المذكر على وجه التغليب، لأن المقام مقام حث لمريم أن تجتهد في عبادتها، وأن تكون في زمرة الطائعين لله. وقال الزمخشري في شأن هذه الآية:"... (واركعي مع الراكعين) أي: في الجماعة أو انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم"[1].

والمأمور بالصلاة هم الرجال والنساء، وإذا اشترك الجنسان في أمرها فالعادة الجارية في اللغة تغليب المذكر على المؤنث، ومن ثمّ ناسب أن يأتي في هذا المقام جمع التذكير لا التأنيث، وذكر الألوسي: "أن الجمع أعمّ إذ يشمل الرجال والنساء على سبيل التغليب، لأن الاقتداء بالرجال أفضل إن قلنا إنها مأمورة بصلاة الجماعة... ولمناسبة رؤوس الآي" [2].

وعلى سبيل النمط من تغليب جانب المذكر على المؤنث نرى لفظ (القانتين) في شأن مريم بنت عمران نفسها في موضع آخر من القرآن، تتجلى فيه البلاغة القرآنية المعجزة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (التحريم 12). موضع العدول في قوله تعالى: (القانتين) معدولاً به عن (القانتات)، فذكر الزمخشري أنه للتغليب كما في الآية السابقة[3].

---

[1] - الزمخشري : الكشاف : 1 / 362.
[2] - الألوسي: روح المعاني:158/13.
[3] - الزمخشري: الكشاف 573/4.

وإلى ذلك ذهب الخطيب القزويني، فإن التغليب ــ عنده ــ باب واسع يجري في أمور كثيرة "... عُدَّت الأُنثى من الذكور بحكم التغليب هذا على أن (من) تبعيضية، ويجوز جعلها ابتدائية على أن المراد بالقانتين آباؤها الأولون كـــ(إبراهيم واسحق). والأول أبلغ؛ لما في التغليب من الإشعار أنها بلغت في طاعتها مبلغ أُولئك الرجال القانتين حتى عُدّت منهم" [1]. أما صاحب(التحرير والتنوير) فيقول:" وهذه الآية مثال في علم المعاني، ونكتته هنا الإشارة إلى أنها في عداد أهل الإكثار من العبادة وأن شأن ذلك أن يكون للرجال، لأن نساء بني اسرائيل كن معفيات من عبادات كثيرة " [2].

ونلحظ أن هذه النكتة البلاغية قد تكون سبباً للعدول في آية سورة آل عمران، لا سيما أن الآيتين تخاطبان شخصية واحدة وهي مريم ــ عليها السلام ــ وتأمرانها بالصلاة والقنوت، بمعنى أنها قد تجاوزت بعبادتها بنات جنسها وأتت من الطاعات ما لم تأت به النساء على عهدها، وهذه تزكية خلدها لها القرآن العظيم، إذ أنها صبرت على العبادة كما صبرت على الحمل وهي عذراء، وعلى مواجهة قومها حيث اتتهم تحمل ابنها بين يديها، كل ذلك جعلها تزكو على بنات جنسها، ولم توصف بأنها من القانتات رفعة من الله لدرجاتها في أوصاف الرجال القانتين وطريقتهم.

و لنبق مع هذه الآية من حيث التذكير والتأنيث مقرونة بآية أخرى، فقد قال تعالى في هذه الآية من سورة التحريم: (فنفخنا فيه)، أتى بالضمير مذكراً عائداً على (الفرج) لا على(مريم)، وجاء في الآية الأخرى من سورة الأنبياء:﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء 91) فقال: (فنفخنا فيها) مغايراً في اللفظ بين المقامين، ولعل الاختلاف بين التذكير والتأنيث في الآيتين يرجع إلى أن السياق في آية سورة التحريم سياق يضرب فيه المثل بمريم التي آمنت بربها محصنة فرجها ومصدقة بكلمات ربها وكتبه، فالقصد في ضرب المثل بإيمان مريم،

[1] - الإيضاح في علوم البلاغة ص 81 ، وانظر بغية الإيضاح ، عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب القاهرة 1999م ج2 ص 192.
[2] - ابن عاشور التحرير والتنوير 379/28..

ومن ثم ناسب ان يرجع الضمير إلى إحصان فرجها إذ يعد صورة من صور الإيمان، ولم يكن القصد فيه التعجب من حالها بالحمل عن النفخ وولادتها[1].

أما السياق في الآية الثانية (الأنبياء) فالقصد فيه إبراز جعل مريم وابنها ــ عليهما السلام ــ آية للعالمين فناسب أن يرجع الضمير إلى مريم على أنها آية من آيات الله إذ أن النفخ فيها جعلها حاملاً، فكأنه قال: والتي احصنت فرجها فصيرها النفخ حاملاً حتى ولدت، فلما كان القصد التعجب من حالها وأنها بالنفخ صارت حاملاً رد الضمير إلى جملتها.

ومن نماذج هذا العدول في قصص القرآن قوله تعالى في قصة توحيد سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ :﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الانعام 77ــ 78) .

فقد أشير إلى لفظ (الشمس) المؤنث باسم الإشارة (هذا) المذكر، وذهب العلماء إلى تأويل ذلك على معنى (الشاخص) أو (الطالع) أي: هذا الشاخص أو هذا الطالع.

وقال الزمخشري: " فإن قلت: ما وجه التذكير في قوله: (هذا ربي) والإشارة للشمس؟ قلت: جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد، كقولهم: ما جاءت حاجتك، ومَن كانت أمّك ــ وكان اختيار هذه الطريقة واجباً لصيانة الرب عن شبهة التأنيث الا تراهم قالوا في صفة الله (علاّم) ولم يقولوا علامة وإن كان (العلامة) أبلغ احترازاً من علامة التأنيث" . [2]

ونجد عند الشعراء مثل هذا العدول كما في قول عمر بن أبي ربيعة:

فكان مِجَنّي دونَ مَن كنتُ اتَّقي * ثلاثُ شُخوصٍ كاعبانِ ومُعصِرْ** [3]

قوله : (ثلاث) بلاء (تاء) يدل على أنه قد أنَّث (شخوص) التي هي جمع (شخص) المذكر.

---

[1] - مصطفي شعبان: الإعجاز اللغوي في القرآن، المكتب الجامعي الحديث ط1 2012م ص 128.
[2] - الزمخشري: الكشاف: ج2 ص32.
[3] - عمر بن أبي ربيعة – الديوان – شرح وتحقيق عباس إبراهيم – دار الفكر العربي: بيروت ط 1 : 1994م ص 85.

ومما ورد بالتذكير صيغة (فعول) في قوله تعالى في حكاية عن مريم بنت عمران ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ (مريم 27ـ)28.

فقد وردت (بغيا) مذكرة مع أنها وصف للمؤنث، وعلل لذلك الزركشي بقوله:" أُسقطت الهاء لأنها مصروفة عن (باغية)، مثلها قوله تعالى: (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) (يس 78). ولم يقل (رميمة) لأنه معدول عن (فاعلة) وكل ما كان معدولاً عن جهته ووزنه كان مصروفاً عن (فاعلة)" [1].

ولفظ (بغيّ) وزنه الصرفي (فعول) والأصل فيه (بغويٌ) فلما التقت الواو والياء سبقت احداهما بالسكون أدغمت الواو في الياء فقيل (بَغيّ) كما نقول امرأة (صبور) بغير (هاء) لأنها بمعنى صابرة [2]. هذا حكم (فعول) إذا عدل عن (فاعله) فإذا عدل عن مفعول جاء (بالهاء) كما في قول عنترة:

فيها اثنتانِ وأربعونَ حلوبةً * سوداً كخافيةَ الغُرابِ الأسحم** [3]

فقال (حلوبة) ولم يقل (حلوب) لأنها معدولة عن مفعول أي محلوبة.

العدول عن المذكر إلى المؤنث:

وهو الأذهب في التنكير والإغراب على حدِّ قول ابن جني [4] لأنه عدول عن أصل إلى فرع، وحقيقته أن يؤنث ما حقه التذكير لفظاً أو معنى. ومنه قوله تعالى حكاية للرسول ــ صلى الله عليه ــ وسلم عن أخبار الرسل السابقين: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (البقرة 253).

فقال (تلك) ولم يقل (أولئك) ، ذكر الزمخشري أنها إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت

---

[1] - الزركشي البرهان، ج 3، 422.
[2] - المرجع نفسه ص 422.
[3] - عنترة بن شداد العبسي، الديوان،شرح الخطيب النبريزي: قدم له مجيد طراد: دار الكتاب العربي بيروت ط 1 1992م ص 154.
[4] - ابن جني: الخصائص: 1:301.

قصصها في السورة، أو التي ثبت علمها عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ [1]. وذهب الألوسي إلى أن الإشارة ب (تلك الرسل) استئناف مشعر بالتّرقي، كأنه قيل: إنك لمن المرسلين وأفضلهم فضلاً، والإشارة لجماعة الرسل الذين منهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وما فيه من معنى البعد للأيذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم [2] وجيء بالإشارة لما فيها من الدلالة على الاستحضار، حتى كأن جماعة الرسل حاضرة للسامع " ... فموقع اسم الإشارة كموقع ضمير الشأن أي: هي قصة الرسل وأممهم... وقرن اسم الإشارة بكاف البعد تنويهاً بمراتبهم كقوله تعالى: (ذلك الكتاب)" [3].

ومنه قوله تعالى في قصة الأحزاب: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (الأحزاب 9). فقال (لم تروها) ولم يقل (لم تروهم) وهو عدول في الجنس والعدد. لأن الجنود جمع جند والمراد بهم الملائكة .

ومما ورد مذكراً مرة ومؤنثاً في آية أخرى قوله تعالى: حكاية عن إهلاك عاد: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ * تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ (سورة القمر 18ــ 20) فقال (كأنهم أعجاز نخل منقعر) بالتذكير، وقال في سورة الحاقة : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾(الحاقة 6ــ 8). فقال: (كأنهم أعجاز نخل خاوية) بالتأنيث.ولقد ذكر علماء العربية والمفسرون أن النخل اسم جنس يذكر نظراً للفظ ويؤنث نظراً للمعنى، وقال السيوطي" كل اسماء الأجناس

[1] - الزمخشري: الكشاف: 1: 382.
[2] - الألوسي: روح المعاني: 3: 2
[3] - ابن عاشور: التحرير والتنوير: ج3:6.

يجوز فيه التذكير حملاً على الجنس والتأنيث حملاً على الجماعة " [1]. وتابعه في ذلك الألوسي وزاد عليه بأنه "وُضِعَت كل صفة بمكانها مراعاة للفاصلة" [2].

ويرى فاضل السامرائي: أن تدمير النخل في سورة الحاقة أكثر منه في سورة القمر، يدل على ذلك السياق ففي سورة القمر (إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً) . وفي سورة الحاقة (بريح صرصر عاتية) فزاد في وصف الريح بـــ (عاتية) فهي أشد مما في القمر لذلك كان تدميرها أكبر وأبلغ واقتلاعها أكثر [3].

كما أنه قال في (القمر): (في يوم نحس مستمر) وقال في (الحاقة): (سخرها عليهم سبع ليال....) فزاد في وقت التدمير والعذاب مما اقتضى تدميراً أكثر فالريح تقتلع وتدمر في سبع ليال أكثر مما تفعله في يوم واحد. ولما زادت الريح عتوّاً وأمداً في الحاقة ذكر أنها استأصلتهم كلهم فلم تبق منهم أحداً « فهل ترى لهم من باقية » ولم يقل ذلك في القمر.

والنخل المنقعر معناه المنخلع من مغارسه، الساقط على الأرض [4]. فما زالت به قوة وصلابة. ومعنى (خاوية) خربة، وقيل: خلت أعجازها بلى وفساداً والخاوية معناها معنى المنقلع وقيل لها إذا انقلعت خاوية لأنها خوت من منبتها الذي كانت تنبت فيه وخوى منبتها منها [5].

ويرى بسيوني عبدالفتاح أن السياق هو الداعي لاستخدام كل من القيدين (الصفتين). وأن تشبيه القوم بأعجاز النخل الخاوية تجلَّى فيه تسخير الريح لأيام وليال حتى أن أجسامهم بليت وتآكلت، لأن النخل الخاوي هو الذي تآكلت أجوافه[6]. فالنخل الخاوية تشمل النخل المنقعر وزيادة، فأنث الخاوي لأنه أكثر من المنقعر وأن دماره أبلغ، وقد كانت العرب تؤنث للكثرة وتذكر للقلة. كما أن هذا التأنيث ينسجم مع الأوصاف المذكورة في السورة الكريمة (الحاقة – القارعة ــ الطاغية ــ العاتية

[1] - السيوطي – الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق فؤاد أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي - بيروت ط 1 : 1999م ج2: 245 وانظر الكافية : 2 : 150.
[2] - الألوسي ، روح المعاني : 27 : 78.
[3] - فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: دار عمار للنشر والتوزيع – الأردن ط1999:1م ص 94.
[4] - الألوسي: روح المعاني 78/27.
[5] - ابن منظور: لسان العرب: مادة (خوى) وابن حبان: البحر المحيط 8: 321.
[6] - بسيوني عبد الفتاح قيود: روافد من نهر الإعجاز البلاغي في القرآن، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ط1 2010م ص 99.

ــ الرابية... طغى الماء...) (هذا التجاوز في الصفات يلائمة الإبعاد في الهلاك) [1] فصاروا كأعجاز النخل الخاوية وهذا ما ليس في سورة القمر فكان الاكتفاء باقتلاع النخل وإسقاطه على الأرض تصويراً لصرعاهم.

ومن أمثلة ذلك ــ أيضاً ــ الآيتان الواردتان في سورة (هود) حيث قال الله تعالى مخاطباً النبي ومخبراً له بقصة نوح وهو د عليهما السلام: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود 49). ثم قال بعد ذكر قصص عدد من الرسل: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ (هود 100) . فأشار مرة بـــ « تلك » ومرة بـــ (ذلك) وذكر جُلَّ المفسرين أن (تلك) يصلح مكانها (ذلك)، أي: تلك الأنباء وذلك النبأ والقصص من أنباء ما غاب عنك [2].

والملاحظ أن أغلب ما ورد في هذا النوع ــ العدول عن المذكر إلى المؤنث ــ متعلق بالجمع وهو ما يتوسع في تذكيره وتأنيثه، ولكن يبقى عدم المطابقة عدولاً عن الأصل، والبحث في دلالته مما يستهدفه الباحث لأن التوسع لا بد أن تكون وراءه غاية ما.

[1] - المرجع نفسه صفحة 99.
[2] - اظر الكشاف: 2: 220 والتحرير والتنوير 12: 92 والجامع لأحكام القرآن 9: 41.

ثالثاً: العدول بين النكرة والمعرفة

الاسم إما نكرة وإما معرفة، والنكرة ما دل في أول أحواله على الشيوع، والمعرفة ما اختص بمسماه، قال صاحب الطراز: " اعلم أن النكرة ما دلت على شيء لا بعينه والمعرفة ما دلت على شيء بعينه"[1] وتتمثل المعرفة في المضمرات والأعلام والمبهمات وما عُرّف باللام والمضاف إلى أُحدها [2] . ويقول ابن مالك :

نكِرةٌ قابلُ أل مؤثرا * أو واقعٌ موقع ما قد ذُكرا**

وغيره معرفةٌ كهُم وذي * وهند وابن والغلامُ والذي** [3]

وتعتبر النكرة هي الأصل لذلك كان محلها التقديم والمعرفة تخصيص للنكرة وحدٌّ من إطلاقها. ويشيع استخدام كل منهما في النظم الحكيم وفق ما يقتضيه المقام من دلالتهما، فنراه يأتي: باللفظ منكراً حيث يمكن تعريفه وذلك للوصول إلى إفهام التعميم وما يتولد عنه من إبهام أو تهويل أو تحقير او تعظيم... الخ بحسب موقع الكلمة من السياق.

العدول عن المعرفة إلى النكرة:

وهو من الوجهة النظرية رد فرع إلى أصل باعتبار المعرفة فرعاً عن النكرة، ولكنه في واقع اللغة ودلالتها يتجاوز هذا التقسيم النظري إلى غايات بيانية وفنية يكشف عنها سياق العبارة ومكانها في النص.

ومن بديع استعمال اللفظ منكراً في القرآن عامة قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هو بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة 96). فلم يقل ــ سبحانه ــ (الحياة) بالتعريف، لأن المراد في هذه الآية ليس الحياة المعهودة التي

[1] - يحيى بن حمزة بن علي العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز مطبعة المغنطف ، مصر 1914م ج2 ص 208.
[2] - علي بن محمد الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات: مكتبة لبنان. بيروت: 1990 ص 231.
[3] - ابن مالك ، الألفية : ص 5.

يعيشونها، إذ هم أحياء بالفعل بدليل حرصهم عليها، وإنما المراد أن يزدادوا منها في مستقبل أعمارهم ومن هنا جاء التعبير بالنكرة معبراً عن رغبتهم، ولو جاء اللفظ معرفاً ما أدّى هذا المعنى.

وقد أوضح عبد القاهر علة تنكير (حياة) هنا بقوله: " المعنى على الازدياد من الحياة لا الحياة من أصلها، و ذلك لأنه لا يحرص عليه إلا الحي، فأما العادم للحياة فلا يصح منه الحرص على الحياة ولا على غيرها."[1] ويرى صاحب التحرير والتنوير أن تنكير (الحياة) التي هي في مقابل الموت قد أشربها معنى آخر، هو أن الكفار يرضون بأدنى أنواع الحياة، وذلك أنه " نكر الحياة قصداً للتنويع أي كيفما كانت تلك الحياة " [2].

ويجوز أنها تعني حياة مخصوصة كما أشار الزمخشري: " فإن قلت: لم قال بحياة على التنكير؟ قلت: لأنه أراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة" .[3] وعلى هذا النحو من تسخير دلالة التنكير لموافقة سياق الحال ما نراه من استعمال اللفظ نفسه في قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة 179) [4]

وتخرج البلاغة القرآنية بالنكرة في بعض الأحيان عن معنى الشيوع إلى معان أخرى اكتسبتها من المقام أوالسياق، ومن ذلك غرض التحقير كما نراه في كلمة (نطفة) الواردة في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهو ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهو يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (الكهف 35 ــ37)

---

[1] - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز:188.
[2] - الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير 1-:617.
[3] - الكشاف : 1 : 155.
[4] - انظر دلائل الإعجاز ص 289.

فالتنكير في لفظة (نطفة) أفاد التحقير لهذا الإنسان الكفور الطاغي الذي نسي أن خلقه كان من نطفة ضئيلة " وقد تكون الكلمة النكرة موحية بمعنى حقير في النفس" [1]. وقال الزمخشري:" أي من شيء حقير مهين" [2]. إن المقام مقام تعجب من كفران الإنسان نعمة خالقه، ونسيان فضله عليه، مع أنه أنشأه النشأة الأولى من شيء حقير صغير لا يغري ــ إذا تذكره الإنسان ــ بهذا التطاول على الخالق جل وعلا وعدم الإقرار بنعمته كما حدث من صاحب الجنتين.

وقد يكون خروج النكرة عن أصل دلالتها للتكثير أوالتعظيم، كلفظ (رسل) في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (فاطر 4)، فالمقام هنا مقام مواساة للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ للتخفيف عنه مما يلقى من تكذيب قومه له وإعراضهم عنه، وقد أفاد تنكير كلمة (رسل) التكثير والتعظيم أي: رسل عظام، ذوو عدد كثير وأعمار طويلة[3]، ويناسب التعظيم ــ أيضاً ــ عظم الآيات، أي ذوو آيات عظام،" فإن عظم آية الرسالة مما يدل على عظمة شأن الرسول وذلك لأنه وقع عوضاً عن قوله: (فلا تحزن وتصبّر) مما يدل على عظم الأمر وتكاثر العدد" [4]

ومما جاء من هذا العدول في قصص القرآن قوله تعالى مخاطباً أهل الكتاب ومذكراً بمصير أصحاب السبت: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آَمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) (النساء 47) موضع العدول في الآية الكريمة في كلمة (وجوهاً) معدولاً عن (وجوهكم) ولو كانت عُرِّفت ما أصاب المعنى أي فساد، ولكنها نُكِرت لغاية بلاغية، فإن مجيء الوعيد في صورة التنكير نسب الوجوه إلى أصحابها، ولكن بصورة غير مباشرة، ومن ثم جاءت مترفعة غير محددة لأصحاب هذه الوجوه من بين أهل

[1] - أحمد بدوي: من بلاغة القرآن. مكتبة نهضة مصر ومطبعتها – ط2 1950م ص 130.
[2] - الزمخشري: الكشاف: 4: 562.
[3] - القزويني ، الإيضاح ص :50
[4] الزركشي: البرهان: 4: 92.

الكتاب، أهم دعاة الكفر فقط ؟ أم هم جميع أفراد الطائفة ؟ " وهكذا يقود التنكير الذهن إلى مسارب للمعنى متعددة وهو ما قصدت إليه الآية " [1] ولعلنا نلحظ ما أفاده التنكير من تعميم وما يتولد عنه من إبهام وتهو يل وتعظيم للموقف، مما يجعل كل واحد منهم يتوقع نفسه مستهدفاً بالطمس.

العدول عن النكرة إلى المعرفة :

وهو على حد اصطلاح اللغويين يكون خروجاً عن الأصل إلى فرعه، ويأتي في القرآن الكريم لأغراض بلاغية وفق داعية الحال، ومنه قوله تعالى في قصة سيدنا يوسف ــ عليه السلام ــ:﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (يوسف11ــ13) . حيث جاء لفظ (الذئب) معرفاً وليس المقصود ذئباً محدداً، بل أُريد به غيرُ مُعيَّنٍ من نوع الذئب، أو جماعة منه، أي: أية ذات من هذا الجنس دون تعيين، ويرى الزمخشري أن هذا التعريف شبيه بالنكرة، إلا أنه مراد به فرد من الجنس، وذكر " ... أن يعقوب ــ عليه السلام ــ كان قد رأى ذئباً في منامه فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة " .[2] وما ذهب إليه الزمخشري ذهب إليه ابن عاشور "... وقيل رأى في النوم أن الذئب قد شدَّ على يوسف فكان يحذره ". [3]

ونرى أن ورود كلمة (الذئب) معرفة ربما تمثل انعكاساً لما كان يجيش في نفس يعقوب من هواجس، وخوف على ابنه مما رآه في منامه.

ومن نمازج العدول من النكرة الى المعرفة ، قوله تعالى في قصة سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ ودعوته لقومه مبدياً لهم البراهين: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (العنكبوت 16،17).فجاءت كلمة (الرزق) معرفة، وقد أفاد هذا

[1] - تمام حسان: البيان في روائع القرآن 356.
[2] - الزمخشري: الكشاف – 2: 306.
[3] - التحرير والتنوير : 5: 231.

التعريف أنه لا رازق إلا الله، لأفادة (ال) معنى استغراق الجنس، وما كان يمكن الوصول إلى هذا القصر في المعنى لو أن (الرزق) قد جاء على صورة النكرة، فلو قيل: (فابتغوا عند الله رزقا) كان هذا القول حائلاً دون فهم التعدد لمصادر الرزق. [1]

وفي ذلك يقول الزمخشري:" فإن قلت: لم نَكَّر الرزق ثم عرَّفه؟ قلت: لأنه أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئاً من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فإنه هو الرازق وحده لايرزق غيره " [2]. وفي ذلك دلالة على توحيد الله .

وحتى في المعرفه يمكن أن يعدل عن نوع من المعارف إلى نوع آخر لغاية بلاغية أو فنية، نحو ما نجده في قصة امرأة العزيز عند اعترافها بمراودة يوسف ــ عليه السلام ــ عن نفسه إذ قال تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (يوسف 51-53) . حيث قالت:(النفس) » وعرَّفتها بالجنس بدل الإضافة، وكان يمكن أن تقول: (إن نفسي لأمارة بالسوء)، فتفوت على نفسها فرصة الاحتماء بالطبيعة الإنسانية ولكنها تؤكد اتهام النفس على إطلاقها في موضع تسعى فيه إلى استخلاص بقية من حسن الظن بها، بواسطة وقوفها موقف التائب المعترف بالخطأ، ومن هنا كان اختيار (النفس) لتعم نفوس البشر جميعاً، ومنها نفسها هي" ... أي أن هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من شهو ات" [3]

وقد استعمل التعبير القرآني اللفظ الواحد منكراً في سياق، ومعرفاً في سياق آخر مشابه للأول بحسب مقتضيات المقام، وما يتطلبه من دلالات تنشأ عن تعريف اللفظ أو تنكيره، ومن ذلك قوله تعالى في حق يحيى بن زكريا ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ

[1] - تمام حسان: البيان في روائع القرآن :358.
[2] - الزمخشري: الكشاف: 3: 203.
[3] - المصدر نفسه: 2: 327.

تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (مريم 12ــ 15). حيث ورد لفظ (سلام) منكراً، ثم عُرِّف اللفظ نفسه في قصة عيسى عليه السلام ــ في قوله عز وجل: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾. (مريم 30ــ33) فوردت اللفظة معرفة (السلام) .

والسرّ البلاغي وراء ذلك أن (سلام) الأولى نُكِّرت لأن السياق إخبار من الله تعالى عن يحيى عليه السلام، وثناء عليه بأنه منح يحيى ــ عليه السلام (سلاماً) كريماً يوم ولادته ويوم يموت ويوم يبعث حياً .

وبما أن المتكلم والمخبر هو الذات العلية فقد جاء (سلام) نكرة، لأن أي سلام من الله لا يحتاج إلى تعريف، وهو كافٍ من كل سلام ومغنٍ عن كل تحية، فهو أشمل وأعم من أن يُحَّد وأدنى سلام منه يستغرق الوصف. وأما في شأن عيسى ــ عليه السلام ــ فإن (السلام) ليس إخباراً من الله، وإنما هو كلام من عيسى عليه السلام نطق به وهو في حضن أمه، وقدّم نفسه وعرّفها، وختم بيانه وكلامه بدعاء الله أن يمنحه (السلام) يوم ولادته ويوم موته ويوم بعثه حياً.ولذلك ناسب أن يكون (السلام) معرفة، فعيسى عليه السلام يريد من الله (السلام) الكثير العام الشامل والتغاير بين اللفظتين فيه إشارة إلى" أن السلام من الله على عيسى أخص من سلام الله على يحيى وأن عيسى أفضل من يحيى عليهما السلام" .[1]

[1] - صلاح عبد الفتاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني دار عمار – عمان الأردن ط1 : 2000م ص 237.

وقد جعل الزركشي الغرض البلاغي لتنكير (سلام) التعظيم،" وإنما لم ينكر سلام عيسى... فإن في قصة دعائه الرمز إلى ما اشتق منه اسم الله ــ تعالى ــ و(السلام) اسم من أسمائه مشتق من السلامة، وكل اسم ناديته به متعرِّض لما يشتق منه ذلك الاسم نحو ياغفور يارحيم" [1]

مما تقدم ندرك سر البلاغة القرآنية في استخدام المفردات في سياقها الملائم فيجيء اللفظ في موقعه لا يسد غيرة مسده . وهذا ما تنبه له البلاغيون من أن الصيغة وما تحويه من إمكانات لغوية مجاوزة تخرق المألوف وتكسر آلية اللغة المعتادة [2] وذلك من خلال العدول الذي يشكل مخالفة لمقتضى الظاهر، وهذا العدول يُعَدَّ تفنناً في الكلام يكسب النص قيمة جمالية وينبه إلى أسرار بلاغية يتعمدها المبدع أو منشيء الخطاب .

وقد أشار ابن قتيبة إلى أن القرآن لم يرد كله ظاهراً مكشوفاً؛ حتى لا تموت الخواطر ويبطل التفاضل بين الناس، فلو كان مكشوفاً لاستوى في معرفته العالم والجاهل "... ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة ومع الكفاية يقع العجز والبلادة ... ولكل باب من أبواب العلم فمنه ما يجل ومنه ما يدق ليرتقي المتعلم فيه رتبه بعد رتبة حتى يبلغ منتهاه ، ويدرك أقصاه ، ولتكون للعالم فضيلة النظر وحسن الاستخراج " .[3]

نلحظ أن ابن قتيبة قد أشار إلى أثر العدول في المتلقي وأنه لا يدرك أسراره إلا من أعمل فكره وما ذهب إليه حدّد ريفاتيير ــ أحد علماء اللسانيات ــ الأسلوب على أساسه فإنه ــ عنده ــ يعتمد على أثر الكلام في المتقبل فيعرفه بأنه : " إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام، وحمل القاريء إلى الانتباه إليها بحيث إذا غفل عنها شوه النص، وإذا حللها وجد لها دلالات تمييزية خاصة " [4]

---

[1] - الزركشي: البرهان: 4:92.
[2] - صلاح فضل ، علم الأسلوب 236.
[3] - تأويل مشكل القرآن : 78.
[4] - المسدي : الأسلوب والأسلوبية 83.

هذه النظرة الأسلوبية عند ريفاتيير سبقه إليها ابن قتيبة، وأشار إلى دور المتلقي في اكتشاف بعض مرامي الخطاب، ولهذا فإن الخطاب القرآني لم يرد كله مكشوفاً وفق قواعد اللغة المثالية، بل كثيراً ما ورد معدولاً؛ لأنه لا يستوي فيه الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

رابعـاً: الالتفـــات

يُعد الالتفات عدولاً عن مبدأ المطابقة الذي التزمه النحاة واللغويون وتتمثل المطابقة في الضمير، وفي العدد، وفي زمن الفعل، كما تتمثل في التذكير والتأنيث، والتعريف والتنكير.وهذه المطابقة تعد المستوى اللغوي المثال الذي ينتهكه الالتفات بوصفه ظاهرة أسلوبية، تتميز بالعدول من أسلوب في الكلام، إلى أسلوب آخر مخالف للأول. وقد عبر عنه البلاغيون بوضع المضمر موضع المظهر وعكسه .

وبذلك يمثل الالتفات خاصية بارزة في حركة الصياغة، تفرز دلالة فيها كثير مما لا يتوقعه المتلقي، وفيها الكثير من إمكانات المبدع في استعمال الطاقات التعبيرية الكامنة في اللغة.

معنى الالتفات :

أ. في اللغـــة :

تدور مادة (الالتفات) في اللغة حول التحول والانصراف من جهة إلى جهة: لفت وجهه عن القوم صرفه، وتَلَفَّت إلى الشيء، والتفت إليه صرف وجهه إليه: ولَفَتَه عن رأْيه: صرفه عنه [1].

ب. في الاصطـلاح:

ربط ابن الأثير بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي بقوله:" الالتفات مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه و شماله ... وكذلك هذا النوع من الكلام لأنه يُنْتَقل إليه من صيغة إلى صيغة أخرى كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب أو من خطاب غائب إلى حاضر" [2] وقد وصفه بأنه "خلاصة علم البيان التى حولها يدندن وإليها تستند البلاغة وعنها يعنعن" .[3]

---

[1] - ابن منظور : لسان العرب ـ مادة (لفت) .
[2] - ابن الأثير / المثل السائر ـ :ص167.
[3] - المرجع نفسه صفحة 167.

وجعله ابن جني من أبواب شجاعة العربية [1]، وكأنه جعل الالتفات دليلاً على وحدة ذهن البليغ، وتمكنه من تصريف أساليب كلامه كيف شاء كما يتصرف الشجاع في حومة الوغى.وعرفه السكاكي قائلاً " ... الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء علم المعاني ... إن الكلام إذ نقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع، وأحسن تطرية لنشاطه وأملأ باستدرار إصغائه " [2].

فالسكاكي أشار إلى القيمة النفسية لأسلوب الالتفات وأثره في نفس المتلقي، كما أنه صنفه من أساليب علم المعاني بقوله (يسمى التفاتاً عند علماء علم المعاني). واعتبره العلوي ــ مثلما اعتبره ابن الأثير ــ من أجل علوم البلاغة، وهو عنده أمير جنودها، والواسطة في قلائدها وعقودها، ولقبه ــ كابن جني ــ بشجاعة العربية وخصه بها " ولا شك أن الالتفات مخصوص بهذه اللغة العربية دون غيرها، ومعناه في مصطلح علماء البلاغة هو العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول" [3].

فنحن نرى العلوي يربط قيمة الالتفات بموقعه من الأسلوب، وبلاغته تكمن في موقعه الحسن في التركيب، كما أنه عرفه تعريفاً عاماً يعم سائر الالتفاتات ولم يقصره على الغيبة والخطاب، ومنحه مفهو ما أوسع ليشمل كل مغايرة في الأسلوب.

ويعتبر الزمخشري أول من حدّد مفهوم هذا الفن، ووضح أقسامه وبين قيمته البلاغية، وعنده أن الالتفات هو مخالفة ظاهر الحال، في حديثه عن قوله تعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة 4 ــ 5). فإن قلت: " ... لم عُدِلَ عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان، وقد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم ... وذلك على عادة أفتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه؛ لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى

[1] - ابن جني / الخصائص.- : 2: 362.
[2] - السكاكي / مفتاح العلوم.- ص296.
[3] - العلوي / الطراز.- ج2: ص131-132.

أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد" [1].

وعرفه الثعالبى مشترطاً فيه تمام معنى الكلام بقوله : " وهو أن تذكر الشيء وتتم معنى الكلام به ثم تعود لذكره كأنك تلتفت إليه" [2]. ومثل له بقول الشاعر:

فَارَقْتُ (شِغْباً) وقَدْ قُوّستُ من كِبَرٍ * لَبِئْسَتَ الخلتانِ الثُكْلُ والكِبَرُ** [3]

فذكر مصيبته بابنه ثم تقوسه من الكبر ثم التفت إلى معنى كلامه فقال: (لَبِئْسَتِ الخلتانِ) .

ومما تقدم نلحظ أن البلاغيين ربطوا الالتفات بالأثر النفسي، والاستجابة للنوازع النفسية الداخلية، فإن إيقاظ نفس السامع وتحريكها وتطرية نشاطها من أهم أغراض النص الأدبي، فالالتفات عندهم جميعاً يمثل ضربة على أوتار النفس يزيدها تنبيهاً وإيقاظاً، وهو بهذا فن تتميز به اللغة العربية كما قال بن جنى" وكلام العرب كثير الانحرافات ولطيف المقاصد والجهات وأعذب ما فيه تلفته و تثنيه" [4]. وحذا حذوهم صاحب البرهان في مراعاة الجانب النفسي للسامع، واستشهد بقول الشاعر:

لا يُصْلِحُ النفسَ ان كانت مُصّرفةً * إلا الّتنقّل من حالٍ إلى حال** [5]

وأن للتكلم والخطاب والغيبة مقامات والمشهور أن الالتفات هو الانتقال من أحدهما إلى الآخر بعد التعبير بالأول[6].

شروط الالتفات :

اشترط البلاغيون شروطاً لتحقيق مفهوم الالتفات منها:

- أن يكون التعبير الثاني على خلاف مقتضى الظاهر وخلاف ما يترقب السامع.

---

[1] - الكشاف.- ج1: ص64.
[2] - الثعالبي / فقه االلغة و سر العربية.- مرجع سابق: ص387.
[3] - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،ط3 : 1997م ص 250 والبيت منسوب إلى عكرسة أبي شِغَب .
[4] - ابن جني / الخصائص.- المرجع سابق: 2:360.
[5] - أبو العتاهية أبو القاسم بن اسماعيل ، الديوان ، دار بيروت للنشر 1986م ص 321.
[6] - الزركشي البرهان.، مرجع سابق: 3:314.

ونرى أن هذا الشرط يحقق الغاية من الالتفات وهى إدهاش المتلقى وتنشيطه وإزالة الرتابة الناشئة عن استمرار الكلام على نمط واحد مألوف.

- أن يكون الضمير المعدول إليه عائداً في نفس الوقت إلى المُتلفت عنه ولكي تتحقق بنية الالتفات لابد من وحدة السياق بين المتلفت عنه والمتلفت إليه لأن تعدد السياق يزيل المخالفة السطحية، ومن ثم تفقد البنية مكوناتها [1].
- أن يكون المخاطب في الحالين واحداً، وأن يكون المتكلم واحداً يتصرف في كلامه على وجوه شتى.

والملاحظ أن كثيراً من علماء البلاغة والباحثين يجمعون بين الالتفات في الضمير، وصور أخرى من العدول تحت أسلوب خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، ومن تلك الصور نقل الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع إلى آخر، والتنقل بين المضارع والأمر والماضي، والتنقل بين الفعل واسم الفاعل واسم المفعول ووضع المضمر موضع المظهر وعكسه.

ورؤيتنا أن الجمع بينهما صحيح ومناسب لأن كل هذه الصور متقاربة بحيث يمكن جمعها تحت مسمى واحد، كما أنها تتفق في الفوائد والأغراض البلاغية، إلا أننا بطبيعة الدراسة وحصرها في الجانب الصرفي سنضع كل نوع من هذه الأنواع في موضعه المناسب حسب نوعه فعلاً كان أم أسماً.

الالتفات في الضمير :

ويقصد أن يكون الكلام بصيغة المخاطب وهو موجه إلى غائب، أو بلفظ الغائب ومقصود به المخاطب الحاضر، أوان يكون الكلام عن فردٍ أو جماعةٍ بلفظ الغائب، ثم يترك له المجال ليتكلم عن نفسه بضمير المتكلم. ويتحدد العدول بين الضمائر في النص عندما يتطلب السياق واحداً من

[1] - محمد عبد المطلب / البلاغة العربية: قراءة أخرى: ص396.

الضمائر الثلاثة(تكلم، خطاب، غيبة) ليطابق عَجْزُ الكلام صَدْرَه فيعدل عن ذلك إلى ضمير آخر لا يتطابق مع ما تقدمه.

إن العدول في الضمير يكسر آلية عملية التوصيل، وإذا لم يتنبه المتلقي إلى هذ العدول عن مقتضى الظاهر حدث لديه خلل في مرجعية الضمير وفقد تواصله مع النص وقل بالتالي انفعاله به وإدراكه لمراميه و جمالياته كما يتيح الالتفات في الضمائر للمبدع حرية كبيرة في إضفاء الحيوية على النص من خلال التحولات والانحرافات [1]. وهو ضرب من التعبير معروف في كلام البلغاء " إذ من سنن العرب أن تخاطب الشاهد ثم تحول الخطاب إلى الغائب، وتخاطب الغائب ثم تحوله إلى الشاهد، وهو الالتفات" [2].

قال النابغة :

يا دارَ ميّةَ بالعلياءِ فالسّنَدِ * أقْوَتْ وَطالَ عليها سالفُ الأَمَدِ** [3]

فقد عدل عن نداء دار مية ومخاطبتها إلى الإخبار عنها، إذ خلت من سكانها، وبارحوها من منذ زمن طويل ولعل في ذلك سر بلاغي وهو حرصه على إظهار الأسى على هذا الإقواء و رحيل محبوبته مية. ففي البيت إلتفات من المخاطب إلى الغائب، وفيه وإنتقال من الخطاب الإنشائي في النداء إلى الخبر الابتدائي والغرض الحسرة كما ذكرنا .

أقسام الالتفات وصوره :

تتمثل صور الالتفات حسب نوع الضمائر ست صور :

1. الالتفات عن التكلم إلى الخطاب:

ومنه قوله تعالى في حكاية مقالة الرجل المؤمن الذى جاء من أقصى مدينة أنطاكية يدعو قومه نصرة الرسل الثلاثة: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا

[1] - أسامة بحيري.- ص306

[2] - ابن فارس/ الصاحبى.-: ص356.

[3] - النابغة الذبياني / الديوان ،تحقيق كرم البستاني ، دار صادر،دار بيروت 1963م ص 30.

وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يس: ٢٠ – ٢٢) . حيث قال (ترجعون) ولم يقل (أرجع)، وقد بدأت الصياغة بضمائر المتكلم (مالي ــ أعبد ــ فطرني) الدالة على الذات المتكلمة الحريصة على المصلحة وجلب المنفعة، ثم جاء الانتقال إلى ضمير الخطاب (ترجعون)؛ لتفيد التلطف في توجيه قومه وإعلامهم وحدة مصيره مع مصائرهم وتنبيههم إلى أنه مثلهم في وجوب عبادة من إليه المرجع والمآل. [1] وقد حقق الالتفات غرضاً بلاغياً، وهو شدة تحذيريهم وتنبيههم إلى أنهم صائرون إلى الله، وراجعون إليه ولا يأتى ذلك لو قال: (أرجع).

وقال ابن الأثير " إنما صرف الكلام من خطاب نفسه إلى خطابهم لأنه أبرز لهم الكلام في معرض المناصحة، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم، ويداريهم لأن ذلك أدخل في إمحاص النصح حيث لا يريد لهم (إلا ما يريد لنفسه)" [2].

ومن ذلك قول أبي تمام :

إذا العِيس لاقَتْ لى أَبادلفٍ فَقَدْ * تَقطَّع ما بَيني وبين النَّوائب**

هنالك تَلْقَى الجُودَ حيثُ تَقطعتْ* تمائِمه والمُجْدُ مُرْخَى الذَّوائبِ** [3]

بدأ الشاعر بضمائر التكلم (بي ــ بيني) ثم انتقل إلى ضمير الخطاب (تلقى) للمدح، فقد كنّي عن اكتمال الكرم والمجد باكتمال الرجولة لمن ولد هناك وشب و بلغ أشده فتحويل المدح من التكلم إلى الخطاب قصد إلى تقوية المدح بقوة والإخبار عنه. ومما قوى المعنى استخدام الشرط إذا مع الماضي وحرف التحقيق (قد) مع الماضي ايضاً .

2. الالتفات عن التكلم إلى الغيبة :

ومن نماذج هذا الالتفات قوله تعالى في قصة سيدنا موسى ــ عليه السلام ــ : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ

[1] - السيوطي / الإتقان: 3: 253، والزركشى / البرهان: 3 : 315.
[2] - ابن الاثير / المثل السائر : 2 : 172.
[3] - أبو تمام حبيب بن أوس / الديوان بن اوس ؛ شاهين عطية (تحقيق).- بيروت: شركة الكتاب اللبنانى،1968 م: ص41.

الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف:١٤٢).لم يقل (ميقاتنا) لأن في أضافته (سيدنا موسى) تشريفاً له وللتعريض بتحميق بعض قومه حين تأخر مغيب موسى عنهم في المناجاة بعد الثلاثين فزعموا أن موسى هلك في الجبل [1].

ونلحظ الغرض التشريفي نفسه في قوله تعالى حكاية عن سيدنا أيوب ــ عليه السلام ــ ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾(ص: ٤١).حيث قال (نادى ربه) و لم يقل (نادانا)، وواضح كذلك أن العدول مكن من إظهار لفظ (الرب) ليضاف إلى ضمير النبى أيوب عليه السلام – إضافة تشريف.والملاحظ على هذه الصورة من العدول أنها غالباً ما تتعلق بالذات الإلهية، وتقترن في مواضع كثيرة بالعدول عن الإضمار إلى إظهار الذات الفاعلة بأحد أسماء الله الحسنى ومن شواهد ذلك قوله تعالى مخبراً رسوله الكريم: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (يونس: ٩٣).موضع الشاهد الالتفات في قوله تعالى{إن ربك يقضي} بصيغة الغيبة عنه سبحانه وذلك بعد قوله (ولقد بوأنا) وكذا (ورزقناهم) كلاهما بصيغة التكلم وكان مقتضى السياق (إننا) بدل قوله تعالى{ إن ربك}. ورغم أن الصيغة للغيبة عنه سبحانه إلا أن الأسلوب يحمل خطاباً لسيد لمرسلين ــ صلى الله عليه سلم ــ فأتت كلمة (رب) يضاف إليها ضميره ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ولذلك غرض بلاغى وهو مواساة النبى صلى الله عليه وسلم، فيطلب الرب سبحانه و تعالى من نبيه ترك أمره لحكمه العدل الناشئ عن علمه التام وقدرته الشاملة [2]. وهذا القضاء والعدل من الحق تبارك وتعالى لأمر لا يقدر عليه غيره و كان هو الداعى لتغير الأسلوب إلى الغيبة في كلمه (ربك) .

[1] - ابن عاشور : التحرير والتنوير: 8: 97.
[2] - البحر المحيط: 6: 105.

3. الالتفات عن الخطاب إلى الغيبة:

ومنه قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهو ي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (إبراهيم: ٣٧ ــ ٣٨).حيث قال {على الله} و لم يقل {عليك}، ففي ذلك تعليم لأهله وأتباعه بعموم علم الله تعالى، حتى يراقبوه في جميع الأحوال ويخلصوا النية إليه.يقول ابن عاشور:" وجملة (ما يخفي على الله من شيء) تذييل لجملة أنك تعلم ما نخفي وما نعلن". [1] ولكونها تذييلاً ، أي : تذييل (جاري مجرى المثل) وهو من وسائل الإطناب أظهر فيها اسم الجلالة ليكون التذييل مستقلاً بنفسه بمنزلة المثل والكلام الجامع "والالتفات من الخطاب إلى اسم الذات المستجمعة للصفات لتربية المهابة والإشعار بعلة الحكم ... والإيذان بعمومه لأنه ليس بشأن يختص به أو بمن يتعلق به بل شامل لجميع الأشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدأ الكل" [2] .

ومنه قوله تعالى :﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ (مريم: ١١ ــ١٢). فقال (آتيناه) بعد أن قال: (خذ) والسياق يقتضى {آتيناك}. إلا أن جل المفسرين لا يشيرون إلى الالتفات هنا، وإنما يرون في الكلام حذفاً تقديره: فوُلِدَ له (سيدنا زكريا) ولد و قال الله تعالى للمولود: (يا يحي خذ الكتاب بقوة) وهذا اختصار يدل عليه الكلام[3].

ومن شواهد هذه الصورة قوله تعالى على لسان سيدنا يعقوب ــ عليه السلام ــ مخاطباً سيدنا يوسف ــ عليه السلام ــ في أمر رؤياه: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

[1] - ابن عاشور / تفسير التحرير والتنوير.- ج13، ص234.
[2] - أبوالسعود / إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن لكريم، دار إحياء التراث العربي ، بيروت د ت ج5، د.ت: ص53.
[3] - انظر الجامع لأحكام القرآن 86/ 11 والتحرير والتنوير 16/76.

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾(يوسف: ٤ ــ ٥).

التفت من الخطاب الموجه إلى سيدنا يوسف ــ عليه السلام ــ خطاب أب لابنه؛ ليدل على القرب من القلب ــ إلى الغيبة والذي أكد القرب بأسلوب النداء ، يا بني والتصغير مما يدل على الحب والقرب من القلب، فقد أخبره ألا يقص رؤياه على إخوته، والالتفات إلى الغيبة تمثل في قوله تعالى: (إن الشيطن للإنسان) حيث عقب به سيدنا يعقوب لئلا يثير في نفس يوسف ــ عليه السلام ــ حقداً على أخوته، فأراد أن ينسب أسباب الكيد إلى عداوة الشيطان للإنسان ليؤكد ليوسف أن كيد إخوته ــ فيما لوحدث ــ ليس صادراً عن طبع فيهم و سجية، بل إنه من وساوس الشيطان فيدفع بذلك ما قد يثار في نفس يوسف على إخوته [1] ، فجاء الالتفات إلى الغيبة ليكون مناسباً للمقام.

4. الالتفات من الخطاب إلى التكلم:

وله في قصص القرآن نموذج وحيد وهو قوله تعالى على لسان سيدنا شعيب ــ عليه السلام ــ عندما استبد به عناد قومه وهو يدعوهم بلين وحكمة: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هو دٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ *وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (هود: ٨٩ ــ ٩٠). حيث كان الخطاب منه ــ عليه السلام ــ صريحاً في قوله تعالى(واستغفروا)، (توبوا) ثم عدل عن الخطاب إلى التكلم فقال: (ربي) ولم يقل (ربكم) وهو نفسه ما أكده في الآية اللاحقة حيث قال:﴿ان ربى بما تعملون محيط)، بعد أن قال: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (هود: ٩١ – ٩٢).

[1] - التحرير والتنوير:214/12.

وفي ذلك يقول الألوسي: " وتفنن في إضافة الرب إلى ضمير نفسه مرة وإلى ضمير قومه أخرى لتذكيرهم بأنه ربهم كيلا يستمروا على الإعراض و للتشرف بانتسابه إلى مخلوقتيه" [1].

وفي الالتفات من الخطاب (ربكم) إلى التكلم (ربي) سرٌّ بلاغى، وهو الإشارة إلى أن ربي وربكم واحد، من نماذج هذه الصورة في الالتفات من الشعر قول علقمة بن عبدة :

طَحابِكَ قَلْبُ في الحسان طَرُوبُ ** بُعَيْدَ الشبَابِ عَصْرَ حانَ مَشِيْبُ**

يكَلّفُني لَيْلَى وقَدْ شَطّ وَلْيُها ** وعَادَتْ عوادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ** [2]

إذ أجرى الكلام في البيت الأول على طريق الخطاب: (طحابك قلبٌ) ، ثم انتقل إلى التكلم في قوله (يكلفني) وحسن هذا الالتفات هو أن التكليف بليلى ــ والحال كما وصف ــ مقطع مهم من مقاطع المعنى ووقوعه على نفسه وقوعاً واضحاً ومباشراً مما يقوى به الكلام.

5. الالتفات عن الغيبة إلى التكلم:

ومنه قوله تعالى إخباراً عن أصحاب الكهف : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾(الكهف: ١٢ ــ١٣)

حيث التفت (من آمنوا بربهم) إلى التكلم (زدناهم) لأن (بربهم) فيه إضافة (الرب) وهو السيد والناظر في مصلحة عبيده، ولم يأت التركيب (آمنوا بنا) للإشعار بتلك الرتبة وهى أنهم مربوبون له مملوكون، ثم قال (وزدناهم) لم يأت التركيب: (وزادهم)؛ لما في لفظة (نا) من العظمة والجلالة. وزيادته تعالى لهم هدى هو تيسيرهم للعمل الصالح والانقطاع إليه، ومباعدة الناس والزهد في الدنيا، وهذه زيادة على الإيمان الذي حصل لهم[3] . وقيمة الالتفات البلاغية للإشعار بعلية وصف الربوبية لإيمانهم و لمراعاة ما صدر منهم من المقالة.

---

[1] - ابن عاشور :التحرير والتنوير / مصدر سابق: 147/12.
[2] - علقمة بن عبدة الفحل ، الديوان ، شرح الأعلم الشنتمري ، تحقيق نصر حنا الحتي ، دار الكتاب العربي ، ط1 1993م ص 23.
[3] - أبو حيان محمد بن يوسف / تفسير البحر المحيط- القاهرة: دار الفكر.ط2.، 1978:ج6 ص 100.

ومنه قوله تعالى على لسان سيدنا موسى ــ عليه السلام ــ : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ (طه: 50 – 53) . يقول الزمخشري: " (فأخرجنا) انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع، ... والإيذان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره و تذعن الأجناس المتفاوتة لمشيئته" [1]. فهو يشير إلى أن فائدة الالتفات إلى التكلم هي التخصيص بالقدرة واستحضار الصورة البديعية الدالة عليها.

ومنه قوله تعالى حكاية عن سيدنا موسى مع العبد الصالح : ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (الكهف: ٧٨ – ٧٩). انتقل الخطاب من الغيبة وهو مناسب للمقام حيث كان العبد الصالح يخبر سيدنا موسى ــ عليه السلام ــ بقصة السفينة ثم انتقل إلى التكلم؛ لينسب العبد الصالح عيب السفينة إلى نفسه ولم ينسبها إلى الله تعالى تنزيهاً له ــ تعالى ــ عما لا يليق. يقول الزمخشري: (ولقد تأملت من فصاحة هذه الآي والمخالفة بينها في الأسلوب عجباً ألا تراه في الأولى أسند إلى ضميره خاصة بقوله : " فأردت أن اعيبها .... من باب الأدب مع الله " [2]

كما أن الأدب يقضي إسناد الخير إلى الله تعالى والشر إلى العباد، وذلك لقصد بلاغي هو الاهتمام والعناية بإرادة إغاثة السفينة، حيث كان عملاً ظاهره الإنكار وحقيقته الصلاح، وزيادةً في تشويق موسى ــ عليه السلام ــ إلى علم تأويله؛ لكل ذلك قال: (أعيبها) ولم يقل:"(عبتها) ؛ ليدل على أنه فعلها عن قصد وتأمل" [3].

[1] - الزمخشري : الكشاف / ج2: ص20. وأنظر إرشاد العقل السليم 6 : 21 .
[2] - الزمخشري : الكشاف : 2: 399.
[3] - ابن عاشور : التحرير والتنوير 12/16.

6. الالتفات عن الغيبة إلى الخطاب:

ومثاله من القصص قوله عز وجل في سورة التحريم إخباراً عن إفشاء أم المؤمنين حفصة ــ رضي عنها ــ سراً للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِنْ تَتُوبَا إِلى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هو مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾(التحريم: ٣–٤) . يقول ابن عاشور: " التفات في ذكر القصتين موعظة من تعلقت بهما ــ أي: القصتان المذكورتان في الآية : (وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا) فهو استئناف خطاب وجهه الله تعالى إلى حفصة وعائشة، لأن إنباء الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعلمه بما أفشته، القصد منه الموعظة والتحذير والإرشاد، وإذ قد كان ذلك إثماً ــ لأنه إضاعة لحقوق الزوج، وخاصة بإفشاء سره، ذكرها بواجب التوبة منه" [1].

وذكر الألوسي أنه التفات من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في المعاتبة؛ فإن المبالغ في العتاب يعتبر المعاتب أولاً بعيداً عن ساحة الحضور، ثم إذا اشتد غضبه توجه إليه وعاتبه بما يريد2 .

ومن هذا العدول قول الشاعر عنترة:

حَلّتْ بأرضِ الزائرين فأصْبَحَتْ * عسراً عليّ طِلابُكِ ابنة مَخْرَمِ** [3]

فقد أضرب عن الخبر {الغيبة} بقوله {حلّت} إلى{الخطاب} في قوله {طلابك } أبنة مخرم {على سنن العرب في كلامهم والتي نزل بها الوحى الأمين}. والغرض البلاغي في بيت عنترة هو التحسر على بعد محبوبته .

---

[1] - ابن عاشور : التحرير والتنوير: 27/ 357.
[2] - الألوسي : روح المعاني : 28: 152.
[3] - ديوان عنترة ص 151.

ومن نماذج ذلك قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ :﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ (إبراهيم: ٣٩ ــ ٤٠). موضع الالتفات في قوله تعالى(رب اجعلني) بصيغة الخطاب؛ وذلك بعد ذكره سبحانه وتعالى بصيغة الغيبة عند قوله تعالى{إن ربي}، ونكتته أنه ــ عليه السلام ــ لما تذكر أن ربه ــ جلّ وعلا ــ سميع الدعاء شرع في مناجاته ودعائه بما يريد[1]. وكان الخطاب في قوله تعالى(إن ربى لسميع الدعاء) ــ وهي صيغة للمبالغة التي تعمل عمل الفعل ــ أُضيف إلى مفعوله بإسناد السماع إلى الله تعالى مجازاً، وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر، فهو له تعالى بأن ذلك الجميل سنته المستمرة، تعليل على طريقة التذييل للهبة التي وهبه إياها. وفي ذلك إيذانٌ بتضاعيف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بصيغة الغيبة في قوله تعالى(وهب لي) من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة[2].

مما تقدم من صور الالتفات وشواهدها نرى أن مزيته البلاغية تختلف من أسلوب إلى آخر، إلا أن فائدته العامة هي التي أبانها الزمخشري ألا وهي تطرية نشاط السامع وإيقاظ إصغائه.

[1] - الزمخشري : الكشاف : 2 : 561.
[2] - ابن عاشور : انظر التحرير والتنوير 13 /346 ، أبو السعود : إرشاد العقل السليم 5/ 54.

المبحث الثـــاني

العدول في صيغ المشتقات

الاشتقــاق

يعد الاشتقاق من أهم الوسائل اللغوية التي تسهم بدور فاعل وإيجابي في ثراء اللغة، وإمداد مستعمليها بالمادة المعجمية والصرفية الكفيلة بنقل المعاني المختلفة والتمييز بين معنى وآخر في المادة الواحدة.

إن عودة المشتقات إلى أصل واحد معناه التقارب الدلالي بينها مما يجعل العدول عن واحد منها إلى الآخر مقبولاً عندما تدعو إليه الحاجة البيانية أو الفنية، فقد نقل السيوطي عن ابن فارس أنه "من سنن العرب التعويض، وهو إقامة الكلمة مقام الكلمة، كإقامة المصدر مقام الأمر نحو:(فضرب الرقاب) أي : اضربوا، والفاعل مقام المصدر نحو(ليس لوقعتها كاذبة) أي : تكذيب، والمفعول مقام المصدر، نحو(بأيكم المفتنون): أي الفتنة، والمفعول مقام الفاعل نحو(حجاباً مستوراً) أي : ساتر"[1].

تعريف الاشتقاق اللغوي :

عرفه السيوطي بأنه " أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لِيُدَل بالثانية على الأصل بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة كـــ (ضارِب) من (ضَرْبَ) و(حَذِر) من (حَذِرَ) "[2].

وعرفه ابن عصفور بأنه : " إنشاء فرع من أصل يدل عليه " [3]. بمعنى أن في كل اشتقاق أصلاً مشتقاً منه وفرعاً مشتقاً، وهي قضية اختلف حولها البصريون والكوفيون في اعتبار الأصل أهو المصدر ؟ أم الفعل؟.

ولكننا ستتجاوز ذلك لأنه ليس من اهتمامات هذه الدراسة وستعتبر أن " الأصل في الاشتقاق أن يكون من المصادر "[1]، وهو رأى البصريين باعتبار المصدر صيغة يعدل عنها أو إليها نسبة لكثرة الأساليب المتضمنة عدولاً بين المصادر والمشتقات، أو بين المصادر المتقاربة دلالياً.

---

[1]- السيوطى / المزهر : 1:276.

[2]- المصدر السابق نفسه.- ص 275.

[3]- أبن عصفور علي بن مؤمن بن محمد الأشبيلي/ الممتع فى التصريف ، تحقيق فخر الدين قباوة. ليبيا : دار الكتب العربية، 1983م.- ط5 ج1 ص41.

أنواع الاشتقاق :

1. **الاشتقاق الصغير أو الأصغر:** وهو ما تماثلت فيه الأحرف الأصلية للمشتق بأعيانها وبنفس ترتيب مواقعها وذلك كاشتقاق الخِبْرة من (خَبِر) والكتاب من (كتب).
2. **الاشتقاق الكبير :** وهو ما تماثلت فيه الأحرف الأصلية للمشتق ولكن اختلف ترتيب الحروف، مثل جبر،جرب، بجر، برج.
3. **الاشتقاق الأكبر :** وهو ما لم تتماثل فيه كل أحرف الكلمتين إنما تماثل بعضها وتقارب بعضها الآخر مثل : نهق، نعق.
4. **الاشتقاق الكبار أو النحت :** مثل (بسمل) من بسم الله الرحمن الرحيم.

والذي يعنينا هنا من بين هذه الأنواع هو الاشتقاق الصغير(الأصغر) لأنه أهم الأنواع عند الصرفي، وهو المحتج به [2]، فضلاً عن أن المشتقات هي نتيجة إعمال الاشتقاق الأصغر دون غيره من الأنواع والمشتقات التي ستتناول الدراسة نماذج من العدول فيها هي :

5. **اسم الفاعل :** " اسم مصوغ من المصدر لما وقع منه الفعل أو قام به دالاً على أصل الحدث على وجه الحدوث" [3] أو" هو ما اشتق من مصدر المبني للفاعل لمن وقع منه الفعل أو تعلق به"[4]

ويختص أسم الفاعل بتضمنه معنى الفعل والذات الفاعلة معاً أي : يجمع بين الفعل وفاعله في لفظ **واحد.**

6. **اسم المفعول:** "هو الاسم المشتق من مصدر الفعل المبني للمجهو ل لمن وقع عليه الفعل". [5]

---

[1]- السيوطى / المزهر : 1:278.
[2]- المرجع نفسه. 1:375.
[3]- عبد المنعم هريدى / تصريف الأسماء ـ القاهرة : دار أبو المجد، 1998 : ص198.
[4]- الشيخ أحمد الحملاوى / شذا العرف في فن الصرف ـ مكة المكرمة : المكتبة الفيصلية، د.ت :ص74.
[5]- المصدر السابق / ص75.

7. **الصفة المشبهة باسم الفاعل :** " وهى ما اشتق من فعل لازم لا يتعدى بحرف الجر ويدل على ملازمة الصفة للموصف واستمراريتها [1].

8. **صيغ المبالغة :** هي الأبنية المصوغة للدلالة على التكثير في حدث اسم الفاعل، وهى صور لفظية خاصة، تضيف معنى صرفياً زائداً على اسم الفاعل، وهو الكثرة والمبالغة في الوصف. يقول ابن جني: " في المبالغة لابد أن تترك موضعاً إلى موضع، إما لفظاً إلى لفظ وإما جنساً إلى جنس فاللفظ كقولك (عُراض) فهذا قد تركت فيه لفظ (عريض)، فعُراض إذاً أبلغ من عريض" . [2] ومن أشهر أوزانها فعّال، مِفْعال، فعيل، فعول، فَعِل.

والأصل في المشتقات أن يفيد كل واحد معنى لا يفيده غيره، ولذلك عندما يعدل عن مشتق إلى آخر لابد أن يكون في المشتق المعدول إليه معنى المشتق المعدول عنه وزيادة. ويكون العدول بين المشتقات بنيابة صيغة عن صيغة أخرى في أداء المعنى، كنيابة مصدر عن آخر، أو المصدر عن اسم الفاعل أو المفعول، أو نيابة اسم الفاعل عن اسم المفعول أو غير ذلك مما سيرد في هذا المبحث.

[1]- شذا العرف ، ص 75.
[2]- أبن جني / الخصائص :46:3.

العدول في المصدر

المصدر : لغةً : مأخوذ من مادة (ص د ر) ومعناه رجع والمصدر نقيض المَوْرِد والمصدر الأصل الذي تصدر عنه الأفعال [1].

واصطلاحاً : عرفه سيبويه :بـــ "المصدر هو الحدث" [2]

والمصدر :" اسم الحدث الجاري على المعنى، ويعني بالحدث معنى قائماً بغيره سواء صدر عنه كالضرب والمشي أو لم يصدر عنه كالطول والقصر" [3].

وهو الاسم الذي اشتق منه الفعل أو صدر عنه، وهو اسم الحدث الذي تحمله الكلمة في أصولها الصامتة [4].

كل هذه التعريفات تدور حول محور واحد، وهو أن المصدر اسمٌ دالٌ على الحدث خال من الزمان . يقول ابن مالك :

المصدر اسمُ ما سوى الزمانِ من * مدلولي الفعل كأمنٍ من أمِنْ** [5]

والمصادر أنواع منها المصدر الصريح ، والمصدر المؤول، والمصدر الميمي ....الخ إلا أننا سنقتصر هنا على المصدر الصريح .

ولكل صيغة من الأفعال ــ في الغالب ــ وزن يرد عليه مصدرها، ولكن النظم الحكيم قد يؤثر وضع أحد المصادر موضع مصدر آخر، تلبيةً لما يقتضيه المقام من دلالات هذا المصدر المعدول إليه، ومن ذلك ما ورد في قصة أصحاب الكهف حيث قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ

---

[1] - الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 1 2003م مادة (ص د ر) .وانظر لسان العرب المادة نفسها .

[2] - سيبويه ، الكتاب ج1 ص 36.

[3] - الإستراباذى / الكافية :2 : 191.

[4] - عبد الصبور شاهين / المنهج الصوتى للبنية العربية.ـ بيروت : مؤسسة الرسالة، 1980.ـ ص109 وانظر الشريف الجرجانى كتاب التعريفات ص181.

[5] - الألفية : ص 20 .

كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٢٢). فعدل عن مصدر الفعل المزيد (تُماري، مماراة) إلى مصدر الفعل المجرد (مارى) (مراء)، وقد آثر النظم الحكيم هذا العدول للإيحاء بالنقص فيما يعلمه أهل الكتاب عن فتية الكهف، إذ لا يعلمون عنهم إلا ما أخبر الله به ومع ذلك يجادلون في حقيقتهم وعددهم، ولم يَطلع الله أحداً على ذلك وفق ما حكاه القرآن الكريم ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾ الكهف: ٢١ فكان جدالهم من غير علم رجما بالغيب. لذلك أمر الله نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ الآ يتحدث عنهم إلا بالقدر الذي أخبره به عنهم غير متجاوز لهذا القدر جدالاً ظاهراً غير متعمق فيه، وهو أن تقص عليهم ما أوحى إليك فحسب ولا تزد من غير تجهيل لهم، ولا تضق بهم في الرد عنهم[1].

فلما نهاه ــ سبحانه وتعالى ــ عن ذلك وكان أهل الكتاب لا يعلمون عنهم إلا القليل، عبّر عن ذلك النقص في العلم باسم المصدر، أو المصدر المجرد دون المزيد؛ ليوحي ــ بنقص مادته على المصدر الأصلي المستحق له الكلام ــ بهذا النقص فيما يعلمه أهل الكتاب عن حقيقة الفتية وحقيقة عددهم، وليطابق اللفظ المعنى ويتفق ومقتضى الحال.

ومن نماذج العدول في المصادر في قصص القرآن أيضاً قوله تعالى في قصة سيدنا نوح ــ عليه السلام ــ وهو يدعو قومه للإيمان بالله مستشهدا لهم بعظيم قدرته وبديع خلقه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (نوح: ١٥ ــ ١٧) . حيث عدلت الآية الكريمة ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ عن المصدر (إنباتاً) إلى(نباتا) وقد علل أغلب المفسرين للاختيار في (أنبتكم) أنه ضمنه معنى الإنشاء والخلق الظاهر فاسم المصدر

[1] - الزمخشري : الكشاف :2:714.

(نبات) محسوس مشاهد لبيان قدرة الله وبديع صنعه [1]. ويرى صاحب البحر المحيط أن" انتصاب (نباتاً) ب(أنبتكم) مصدر على حذف الزائد أى إنباتاً أو على إضمار فعل، أي : فنبتم نباتاً [2]".

وعلى كل فقد اختار النظم الحكيم هذا العدول عن مصدر الفعل المزيد "إنباتاً" إلى مصدر المجرد "نباتاً" دلالة على المطاوعة فالمعنى (أنبتكم فنبتم نباتا) أي : طاوعتم أمره فجمع بين معنيي الإنبات والنبات. وقد يكون (نباتاً) أسم ذات تحقيقاً لما يهدف إليه المقام من إبراز قدرة الله في صورة حسية مشاهدة عساها تقنع قوم نوح وتهديهم إلى الإيمان، فقد خاطبهم إليه مبرزاً قدرته سبحانه وتعالى في صورة يشاهدونها بأعينهم فلا يستطيعون إنكارها قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾(نوح: ١٥ – ٢٠) . وفي إطار هذا التصوير جاء التعبير بالمصدر المجرد أو اسم الذات الذي شبه فيه خلقهم من الأرض بالنبات الذي يخرج ــ هو أيضاً ــ من الطين المخلوق منه الإنسان نفسه "والنبات أمر مشاهد محسوس فيمكن الاستدلال به على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقاً للمقام... فالإنبات أنما ينظر فيه إلى صنع الله عز وجل وهو خفيُ فعدلت الآية عنه إلى ما هو ظاهر وهو النبات حيث تتجلى فيه مظاهر الإبداع والقدرة فكان ذلك أقوى مناسبة لمقام بيان قدرة الله ولطف صنعه" [3]

ومن إعجاز القرآن الكريم أن يرد المصدر نفسه في قصة ميلاد مريم بنت عمران ونشأتها في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هو مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران: ٣٦ ــ ٣٧). فقال جل وعلا (أنبتها نباتا) ولم يقل (إنباتاً) لأنه تعالى أراد أن

[1] - انظر روح المعاني 57:26، والكشاف 124:4.
[2] - محمد بن يوسف بن حيان / تفسير البحر المحيط- ، دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت ط 2 ، 1978 : ج8ص334.
[3] - عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي / الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، المكتبة العصرية،بيروت ، 2008م ص168.

يثني على مريم وعلى معدنها الكريم، فقد أنبتها تعالى فنبتت نباتا حسنا، أى : فطاوعت وقبلت بمعنى أن لها فضلاً في هذا، ولو قال الله تعالى(إنباتاً) لكان كله عمليه لله تعالى وحده، وليس لمريم أي فضل فيه. ومعنى أنبتها نباتاً حسناً :" أنشاها إنشاءً صالحاً وذلك في الخلق ونزاهة الباطن" .[1] وقد جمع الله تعالى بين الأمرين: خلقه لها كما يشاء وجعل فضل لها في ذلك من طيب معدنها وطواعيتها فقال:(وأنبتها نباتاً).

وقد جعل بعض المفسرين قوله تعالى"وأنبتها نباتاً" من المجاز فشبه إنشاؤها وشبابها بإنبات النبات الغض، أو هو مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها[2]. ويرى ابن عاشور أن (نبات) مفعول مطلقاُ (لأنبت) وهو مصدر (نبت) وإنما أُجري على أنبت للتخفيف[3].

إذن العدول بين المصادر له غايات ومرام بلاغية يحكمها السياق، إذ تؤدي كل صيغة للمصدر معنى دقيقاً لا تؤديه الصيغ الأخرى في مقامها.

العدول بين المصدر والمشتقات :

العدول بين المصادر والمشتقات كثير مطرد في القرآن الكريم وفصيح كلام العرب قال ابن مالك :

ونَعتَوا بمصدرٍ كثيرا * فالتزموا الإفراد والتذكيرا** [4]

وذلك لأن المصادر لا تُثَنَّى ولا تُجْمَع ولا تُؤَنَّث؛ لأنها تدل على معنى هو الحدث ولا دلالة له على الذات. وقال سيبويه : " إن العرب تقول (ماء غَوْر) ومجازه : غائر ورجلُ عَدْل وصَوْمُ ومجازه : عادل وصائم و" أتيته ركْضا" أي : راكضاً (ومفازة قفر) أى : مُقفرِة ..." [5] وأنشد بيت الخنساء

تَرْتَعُ ما رتَعَتْ حتّى إذا ادّكَرَتْ * فإنما هي إقبالُ وإدبارُ** [6]

---

[1] - ابن عاشور / التحرير والتنوير :3:235.
[2] - انظر الكشاف 1:427، التحرير والتنوير 3:235.
[3] - التحرير والتنوير 3 : 235.
[4] - ابن مالك / الألفية ص 37.
[5] - سيبويه / الكتاب.- 1:337.
[6] - الخنساء تماضر بنت عمر / الديوان ـ بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر،1986م.ص48.

وعلق عليه : " فجعلُها الإقبال والإدبار وصفاً مجاز على سعة الكلام كقولك (نهار صائم وليل قائم)"[1].

وقولها إقبال وإدبار : أي مُقبلة ومُدْبرة، فقد استُعمِل المصدران بدلالة أخرى وصف بها الحدث، والشاهد فيه التجوز في الإخبار عن اسم العين بالمصدر، أو هي ذاتِ إقبال وذات إدبار [2].

والأصل ألاّ يوصف بالمصدر وإنما انصرفت العرب عنه في بعض الأحوال لأمرين : أحدهما صناعي، والآخر معنوي " (أما الصناعي فليزيدك أنساً بشبه المصدر بالصفة التي أو قعته موقعها، وأما المعنوي فلأنه إذا وُصِفَ بالمصدر صار الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل : وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه... فقولك : أن هذا رجل (دَنِف) بكسر النون أقوى إعراباً لأنه هو الصفة المحضة غير المتجوزة، وقولك : رجلُ (دَنَف) أقوى معنى، لما ذكرناه من كونه كأنه مخلوق من ذات الفعل وهذا معنى لا نجده ولا نتمكن منه مع الصفة الصريحة". [3]

ومن وضع المصدر موضع المشتق لتمكين المعنى وتوكيده كلمتا "رضى" و(عدلُ) فى بيت زهير:

متى يشْتَجِرْ قومٌ تَقِلُّ سراتُهم * همُ بيننا فَهُمْ رضىً وهم عدلُ** [4]

فإذا قيل : رجل عَدْلُ فكأنه وصف لجميع الجنس مبالغة، والوصف بالجنس ــ هنا ــ أجمع تمكينا لهذا الموقع وتوكيداً.

مما تقدم ندرك أن التناوب بين المشتقات والمصدر ظاهرة شائعة في العربية، إذ قد يأتي اسم الفاعل واسم المفعول على صورة المصدر، وقد يأتي المصدر على صيغتيهما، وهذا من سنن العربية التي أيدها القرآن ونزل بها، فكثيراً ما عُدِل عن اسم الفاعل ــ مثلا ــ إلى المصدر لغايات أهمها التوسع والمبالغة في الوصف. وسنتناول بعض الأمثلة لهذه الظاهرة في قصص القرآن الكريم.

---

[1] - سيبويه / الكتاب :1:337.
[2] - القرطبي / الجامع لاحكام القرآن.، 2:160.
[3] - ابن جني / الخصائص : 3:259.
[4] - زهير بن ابي سلمى / ديوان زهير ؛ شرح حمدو طماس.ـ ط2.ـ بيروت دار المعرفة، 2005م.ـ ص49

قال تعالى في قصة سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠). موضع العدول في المصدر (سعيا) (فقد استخدم بمعنى اسم الفاعل، وانتصب على أنه مصدر في موضع الحال أي: ساعيات مسرعات والنكتة البلاغية هي المبالغة في تصوير سرعة سعي الطير إلى إبراهيم عليه السلام " والسعي هو الإسراع في الشيء ... وكان إتيانهن مسرعات أبلغ في الآية إذ إتيانهن إليه من الجبال يمشين مسرعات على خلاف المعهود لهن من الطيران، وجعل سيرهن إليه سعيا إذ هو مشية المُجِدِّ الراغب فيما يمشى إليه، لإظهار جدها فى قصد إبراهيم وإجابة دعوته " [1].

ومن هذه النماذج في قصص القرآن خاصة لفظة (غور) في قصة صاحب الجنتين وحواره مع رجلٍ مؤمنٍ في سورة الكهف قال الله على لسان مؤمن : ﴿ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ (الكهف 40ــ41) فقد جاءت (غوْرا) بمعنى (غائراً)، والإخبار به من باب الوصف بالمصدر للمبالغة. ومعنى (الغَوْر) في اللغة المُنْهَبِط من الأرض.[2] ثم استعمل في كل ما انخفض، وكل استعمالات مادة (غور) يلحظ فيها معنى الانخفاض وهو الذهاب سفلاً.

وتكاد كلمة المفسرين تجتمع على أن العدول إلى المصدر (غوراً) والوصف به بدلاً عن اسم الفاعل (غائراً). غايته المبالغة في الوصف، وكأن الماء صارت حقيقتة (غورا)[3]؛ ولتحقيق المبالغة جُعل نفس المصدر، فقال (غوراً) أي نازلاً في الأرض بحيث لا يمكن نيله بنوع حيلة، فهو غائر منقطع ذاهب لا تناله الأيدي ولا الدلاء.[4]

---

[1] - أبوحيان / البحر المحيط :2:300.
[2]- لسان العرب ، مادة (غ و ر).
[3]- تفسير الطبرى 10: 225.
[4]- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة للنشر،الرياض 1412هـ 5: 173.

وقد أدى المصدر تلك الدلالة لأنه أصل المعنى وجرثومته وعنه تنشق سائر المشتقات، ومن ثم فإن الوصف به وصف بكل ما يشتق من، فإذا قيل : (زيدٌ رضًى) فانه يحتمل وصفه بأنه : راضٍ، مرضيٌ عنه، رضيٌ، ذو رضى ونحو ذلك.ولذلك جاء الوصف بالمصدر في الآية الكريمة للمبالغة في الرجاء الصادر مصدر الدعاء فجيء بحرف توكيد النفي (فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا) زيادة في التحقيق والمبالغة. ونلحظ أن سياق القصة اقتضى هذا العدول بسبب الجدال الذي كان بين الرجلين. ومنه قول عمرو بن كلثوم:

تَظَلُّ جيادُه نَوْحاً عليه ** مُقَيَّدَةً أعنَّتُها صُفونا** [1]

فقال جياده (نوحاً) :أي : نائحات، وذلك مبالغة في الوصف لوضع المصدر موضع المشتق فيستوى فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع [2].

ومن نماذج هذا العدول لفظ (نجيًّا) في قوله تعالى حكاية عن أخوة يوسف ــ عليه السلام ــ :﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ * فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهو خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (يوسف: ٧٨ ــ ٨٠). النَّجِيّ : قد يكون أسما ومصدرا [3].

وذكر الألوسي : "أن (نجيا) جاء مفرداً وكان الظاهر جمعه، لأنه مصدر بحسب الأصل كالتناجي أطلق على المتناجين مبالغة أو لتأويله بالمشتق، والمصدر ولو بحسب الأصل يشمل القليل والكثير، أو لكونه على زنة المصدر لأن (فعيلا) من أبنية المصادر، وهو فعيل بمعنى مُفَاعِل كجليس بمعنى مُجَالِس... أي : مُنَاجٍ بعضهم بعضا فيكون متناجين" . [4] واستحسن الزمخشري كونها

[1] - عمرو بن كلثوم التغلبي ، الديوان ، تحقيق أميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1991م ص72.
[2] - القرطبي / الجامع لأحكام القرآن :10:266.
[3] - ابن منظور/ لسان العرب مادة (ن ج و).
[4] - الألوسي / روح المعانى : ص13:35.

مصدراً: " ... وأحسن منه أنهم تمخضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كأنهم في أنفسهم صورة التناجي وحقيقته، وكأن تناجيهم في تدبير أمرهم على أي صفة يذهبون وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم" [1].

ويرى عبد الحميد هنداوي: أن (نجيّا) مصدر لأنه يدل على صوت المناجاة، والغالب في المصدر الآتي على زنة فعيل أن يدل على صوت كزئير، وخرير، وزفير، وأنين....الخ، كما أن السياق نفسه يقتضي استحسان المصدر وترجيحه لدقة وصفه حال أخوة يوسف ــ عليه السلام ــ حتى كأنهم صاروا بذلك حقيقة التناجي نفسها، وفيه من تصوير المعنى وتقريره ما فيه.

إن وصفهم بصيغة المفرد تجعلهم كالشخص الواحد في تناجيهم واجتماع أمرهم لتدبر المخرج مما نابهم بسبب احتجاز أخيهم، وقد أخذ أبوهم عليه موثقاً من الله ليأتُنّه به لتفريطهم في يوسف من قبل، ولما كان هذا يهمهم جميعاً، لأن المسؤولية مشتركة بينهم فقد اجتمعوا كأنهم رجل واحد لتدبر الخلاص مما نزل بهم [2]. ولذا فأن تأويل(نجيا) بمناجيين أو متناجين يفقدها ذلك المعنى، وليس كذلك المصدر؛ "لأن المقصود منه ليس الدلالة على العدد، وإنما على الحقيقة والماهية". [3]

والنكت البلاغية والمقاصد للوصف بالمصدر أهمها المبالغة وشدة الوصف ــ على ما رأينا في الآيات السابقة ــ والتوسع. واستخدام المصدر بمعنى اسم الفاعل مظهر من مظاهر هذا التوسع وهو أمر شائع في العربية. وهذا ما أشار إليه ابن عقيل في شرحه لقول ابن مالك:" ونعتوا بمصدر كثيرا" من أن النعت بالمصدر على خلاف الأصل، لأنه يدل على المعنى لا على صاحبه، فيقولون : رجل عدلٌ، وامراةُ عدلٌ، وامراتان عدلٌ، ونساءُ عدلٌ " ملتزمين الإفراد والتذكير" وهو مؤول إما "بوضع

[1] - الزمخشري / الكشاف : 2:336.
[2] - عبد الحميد هنداوي/ الإعجاز الصرفى : ص 188.
[3] - المصدر نفسه . الصفحة نفسها ..

(عدل) موضع (عادل) أو على حذف مضاف وإما على المبالغة بجعل العين نفس المعنى مجازاً وادعاءً ". [1]

ومن صور العدول إلى المصدر في العربية استعمال المصدر بمعنى اسم المفعول، قال سيبويه:"العرب تقول في اللبن حَلْب ومجازه (محلوب) وهذا الدِّرهم ضَرْب الأمير ومجازه (مضروب الأمير) أو كقولهم الخَلْق ومجازه (مخلوق)". [2]

ومنه في الحديث الشريف قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ للنهي عن الخديعة في البيع: "الخديعة في النار ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردُ" .[3] العدول في كلمة (ردٌ) أي : مردود، فقد عبر ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن اسم المفعول بالمصدر للمبالغة في النهي عن الخديعة في البيع وتعظيم أمرها.

ومن نماذج هذا العدول في قصص القرآن قوله تعالى في قصة سيدنا يوسف ــ عليه السلام ــ :﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ * وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف: ١٧ ــ ١٨). العدول في قوله (كذب) أي: مكذوب، فوصف الدم بالكذب مبالغة في ظهو ر كذبهم في دعوى أنه دمه، حتى كأنه هو الكذب بعينه. والكذب (مصدر) سد مسد اسم المفعول (مكذوب) للمبالغة وفي ذلك يقول الزمخشري: " (بدم كذب) أي : ذي كذب، أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه، والزور بذاته" [4] وقال الزركشي :" بدم كذب

[1] - بهاء الدين عبد الله بن عقيل / شرح بن عقيل على الفية ابن مالك ؛ تحقيق محمد محى الدين.ـ ط2.ـ دار التراث، القاهرة ط 21980 ج 3 :ص20.
[2] - سيبويه / الكتاب 43:4.
[3] - ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني / فتح الباري بشرح صحيح الامام البخاري ؛ تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز.ـ مصر : مكتبة الايمان، د.ت.ـ ج4 ص407.
[4] - الزمخشري / الكشاف :308:2.

أي : مكذوب فيه، وإلا لو كان على ظاهره لأشكل، لأن الكذب من صفات الأقوال لا الأجسام".[1] فقد دل المصدر على موصوف بالحدث هو اسم المفعول الذي أدى المصدر معناه ووظيفته.

ومنه قوله تعالى في قصة ذي القرنين وبناء السد :﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا* قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ (الكهف: ٩٤ ــ ٩٥). فقد جاء المصدر (قوة) بمعنى أسم المفعول أي: ما يُتَقوَّى به على المقصود من فَعَلةٍ وصُنَّاع يحسنون العمل بالآلات،(ألا ترى أنه أراد منهم زبر الحديد والنفخ عليها).[2]

كما يُعْدَل عن المشتقات إلى المصدر كذلك يحدث العكس ، فإن من سنن العربية، أن يأتي المصدر على صيغة اسم الفاعل مثلاً أو اسم المفعول، أو الصفة المشبهة، أو اسم المرة ... الخ .

ومما جاء من المصادر على صيغة اسم الفاعل الثلاثي في كلام العرب: (واقية)، إذ يقال:(وقاه الله وَقْياً ووِقاية، ووَاقِية، أي: صانه[3] و(واقِية) مصدر جاء على زنة اسم الفاعل ومثل ذلك (كاذِبة) .أي: (كذِب). [4]

وقد أيد القرآن هذا التناوب بين اسم الفاعل والمصدر كما في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة :13). وقال الزمخشري: " قوله على خائنة، على خيانة، أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة .... وقرئ على خيانة" [5]. نلحظ أن اسم الفاعل هنا قد خرج عن دلالته إلى دلالة المصدر أو إلى تقدير مصوف محذوف كما أشار الزمخشري.

---

[1] - الزركشي / البرهان فى علوم القرآن :2:288.
[2] - المرجع السابق نفسه ص 287 وانظر تفسير الطبري 19:16 وروح المعانى 40:16 والبحر المحيط 162:6.
[3] - لسان العرب مادة (وقى) .
[4] - لسان العرب مادة (كذب).
[5] - الزمخشري / الكشاف : 616/1.

والعدول إلى اسم الفاعل يبرره تضمنه معنى الفعل والذات الفاعلة معاً، أي : أنه يجمع بين الفعل وفاعله في لفظ واحد، وهو ما يمثل إيجازاً لغوياً وبلاغياً يبرر العدول إليه في كثير من الأساليب البليغة.

ومن نماذج العدول عن المصدر إلى اسم الفاعل في قصص القرآن قوله تعالى حكاية عن أقوام بائدة: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ *سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (الحاقة: 5 ــ 8). العدول في (الطاغية) و(الباقية) فقد دلت اللفظتان على المصدر، (بالطاغية): أي بطغيانهم يؤيد ذلك ما ذهب إليه الفراء ما معناه : الطاغية مصدر كالعاقبة فكأنه قال : بطغيانهم، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴾(الشمس: ١١) أي: بطغيانها إلا أن الطغوى أشكل برؤوس الآيات.[1] وباقية معناها معنى المصدر (بقاء) [2].

وتستعمل العرب اسم المفعول بمعنى المصدر ومن ذلك قولهم: "حلفت محلوفاً .... ومرجوع وموعود" [3]. ووصف ابن مالك مجيء المصدر على زنة اسم المفعول من الثلاثي بالقلة وفي غير الثلاثي بالكثرة ووافقه الرضي وذكر من ذلك ميسور ومقسور ومجلود ومفتون [4]

ويتم العدول إلى اسم المفعول من المصدر لغايات ونكت بلاغية ودلالية وأسلوبية، أي أن يرد اللفظ بصيغة اسم المفعول ومعناه معنى المصدر والعرب تقول للكذب مكذوب وللْجَلَد مجلود وعليه قول الشاعر الراعي النميري:

حتى إذا لم يتركوا لِعِظامِه * لحماً ولا لِفؤادِه مَعْقُولاً** [5]

أي عقلاً : الشاهد فيه ورود المصدر (عقل) على صيغة اسم المفعول (معقول).

---

[1] - أبوزكريا يحيى بن زياد الفراء / معاني القرآن.- ط2.- بيروت : عالم الكتب .- ج1980،3م ص18 وانظر البحر المحيط / 8:321.
[2] - المصدر السابق نفسه، ص267.
[3] - سيبويه / الكتاب : 4:37.
[4] - الإستربادي / شرح الشافية :1:175
[5] - الراعي عبيد بن حصين النميري ، الديوان ، شرح د. واضح الصمد ، دار الجيل ، بيروت ط1 : 1995م ص 210.

وقد خرج المفسرون على هذا العدول في قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ (القلم: ٥ــ٦) أي: بأيكم الفتنة[1] و(مفتون) هنا بلفظ اسم المفعول لا بمعناه، اذ اكتسبت دلالة المصدر وأدت معناه في السياق. ومن ذلك في قصص القرآن ما ورد في قصة سيدنا صالح ــ عليه السلام ــ قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ * فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ (هو د: ٦٤ – ٦٥) العدول في (مكذوب)، إذ أنه مصدر جاء على وزن مفعول أي: غير كذب، وقيل غير مكذوب فيه[2]. وذهب الزمخشرى وأبوحيان إلى أن المغزى من هذا العدول الاتساع بإجراء الضمير مجرى المفعول به؛ لأن الأصل (غير مكذوب فيه) أو على أن (مكذوب) مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصِّدْق[3].

ومن نماذج هذا التناوب بين المصدر واسم المفعول ما ورد في قصة سبأ، ونزول العقاب عليهم جراء جحودهم ونكرانهم نعم الله عليهم؛ ففرقهم الله وجعلهم أحاديث ومضرباً للأمثال، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (سبأ: ١٨ ــ ١٩) موضع العدول في (مُمَزَّق) أي: تمزيق بمعنى تفريق فــ (ممزق) مصدر جاء على زنة اسم المفعول[4]. والتمزيق : تقطيع الثوب قطعاً، استعير هنا للتفريق، تشبيهاً لتفريق جامعة القوم بتمزيق الثوب قطعاً، وأشارت الآية إلى التفريق الشهير الذي أُصيبت به قبيلة سبأ، أذ حملهم خراب السد وقحولة الأرض إلى مفارقة تلك الأوطان مفارقة وتفريقاً ضربت به العرب المثل في قولهم: "ذهبوا، أو تفرقوا أيدي سبأ أو أيادي سبأ" [5].

---

[1] - الطبري / تفسير الطبرى :14:29.
[2] - القرطبي / الجامع لاحكام القرآن :41:9.
[3] - الكشاف : 279:2 والبحر المحيط 240:5.
[4] - الألوسي / روح المعانى :108:22
[5] - ابن عاشور / التحرير والتنوير 178:11.

وقد عدل الذكر الحكيم من المصدر إلى اسم المرة [1] .في صيغتي (ضلال وضلالة) وذلك في قوله عز وجل في الإخبار عن قوم نوح وتكذبيهم له عليه السلام وجدالهم معه: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إلى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٩ – ٦١) . موضع العدول في (ضلالة) إذ كان مقتضى السياق أن ينفي نوح ــ عليه السلام ــ تهمة الضلال عن نفسه بصيغة المصدر (ضلال) التي وردت بها تلك التهمة، على لسان قومه، لكنه عدل عنها إلى صيغة اسم المرة (ضلالة) مبالغة في النفي، وذلك لأن المصدر يدل على القليل والكثير، أما اسم المرة فلا يدل إلا على الفعلة الواحدة، ونفي الأدنى أو الأقل أبلغ من نفي الأكثر[2].

لقد جاء الاتهام بالضلال على لسان قوم نوح موكداً عن طريق التعبير بفعل الرؤية ــ المفيد لمعنى التثبت واليقين، وتأكيده بإن واللام ثم تعديته بحرف الجر (في) المفيد لمعنى الإحاطة والظرفية، وقد اقتضى ذلك أن يسلك نفي هذا الاتهام ــ على لسان نوح ــ عليه السلام ــ مسلكاً آكد وأبلغ من إثباته، فكان العدول عن صيغة المصدر إلى اسم المرة، وإيقاعها وهي نكرة في سياق النفي، ثم إيثار حرف الجر (الباء) حتى ينفي على نحو قاطع أن يكون قد علق به أدنى قدر مما يسمى ضلالة[3].

مما ورد من نماذج ندرك مدى الاشتراك بين المصدر والصيغ الصرفية الأخرى مما يجعل التناوب بينها أو العدول عن صيغة إلى أخرى أمراً جائزاً لغوياً، لكنه عدول لا يُلْجَأ إليه اعتباطاً وإنما لغايات بلاغية يقتضيها السياق والمقام.

---

[1] - اسم المرة اسم يصاغ للدلالة المرة الواحدة نحو: ضرب، ضُرْبةً ، انظر : الحملاوي :ص73.
[2] - حسن طبل / أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية : ص71.
[3] - المرجع السابق : ص72.

العدول بين اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة

يمثل العدول في هذه الصيغ ــ أو بينها ــ ظاهرة تكشف عن الطاقات التعبيرية والقيم الجمالية والدلالية للصيغ اللغوية، حيث تستجيب للسياق فتخرج عن منطق اللغة المألوف، وهذا ما أشار إليه ابن الأثير " إن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك" [1]. فهو هنا يشير إلى القيمة الفنية والجمالية للتناوب بين الصيغ مؤكداً أن ذلك لا يكون إلا لدواعٍ وخصوصية تقتضيه.

ومن صور العدول بين هذه المشتقات العدول إلى اسم الفاعل عن اسم المفعول، وهو أن يكون الملفوظ اسم الفاعل والمقصود اسم مفعول، أي أن تُشَرَّب صيغة اسم الفاعل معنى اسم المفعول، يقول الثعالبي:" ومن سنن العرب أن تأتي بالمفعول بلفظ الفاعل نحوسر كاتم أي : مكتوم، وماء دافق: أي: مدفوق، وعيشة راضية، أى : مرضيّ بها وحرماً آمناً : أي : مأمون فيه" [2]. وقد جعله القزويني من المجاز العقلي بإسناد ما هو للفاعل إلى المفعول به، والعلاقة فيه الملابسة بالمفعولية [3]

والقرآن المعجز نزل بلسان عربي مبين وعلى وفق سنن العرب في كلامها إمعاناً في التحدي، لذلك نلحظ كثيراً من الآيات تمثل فيه هذا التناوب بين الصيغ منها ما ذكره الثعالبي سالفاً.

إن خروج دلالة الصيغة عن الفاعلية إلى المفعولية أمر يفرضه السياق، ومن ذلك في قصص القرآن، قوله تعالى في قصة الطوفان الذي أغرق قوم نوح، وذكر مناداته لابنه حتى يكون من الناجين : ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ (هود: ٤٢ – ٤٣). العدول في (عاصم) أي (لا معصوم) أو (لا ذو عصمة)، والتعبير

[1] - ابن الأثير / المثل السائر :2:180.
[2] - الثعالبي / فقه اللغة : ص361.
[3] - الإيضاح ، ص 32.

باسم الفاعل بدلاً عن اسم المفعول جعل صيغة اسم الفاعل دالة على الحدث بدلا عن الدلالة على فاعله، لأن صيغة اسم الفاعل تدل على الحدث والذات الفاعلة.

قال الزمخشري : "لا عاصم اليوم وهو يشير إلى الجبل إلا من رحم، أي : إلا مكان من رحم الله من المؤمنين وأنما قصد بذلك عصمة من فيه على الكناية فإن السفينة إذا عُصِمَت عُصِمِ من فيها" [1].

ويقتضي السياق أن (عاصم) يقصد به (معصوم) لأن المهدد بانتقام الله لا يقوى على عصمة نفسه، فضلاً عن أن يعصم غيره، فالتعبير عن اسم المفعول بلفظ اسم الفاعل يعطي اللفظ قوة دلالية معنوية، لكون اسم الفاعل هو صاحب الأثر ومحدث الفعل. والفعل (عصم) متعدٍّ بمعنى أنه حيث لا عاصم فإنه حتماً لا معصوم، لأن لكل معصوم عاصم، إذن التعبير باسم الفاعل أعطاه قوة دلالية مفادها لا ناجٍ من الطوفان إلا من رحم الله، وهذا ما أشار إليه أبو السعود: "... وكذلك لم يقل (لا يعصمك منه) مفيداً نفي وصف العصمة عنه فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره، ولا لنفي الموصوف أصلاً ولكنه ــ عليه السلام ــ حين قال : (لا عاصم اليوم من أمر الله) سلك طريقة نفي الجنس لنفي جميع أفراد العاصم ذاتاً وصفة للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما " [2].

إن استعمال لفظ (عاصم) أشمل من استعمال لفظ (معصوم)، لتحدد المعنى بشيء واحد إذا ما استخدم هذا الأخير، لكنه لما ذكر العاصم استدعى معصوماً مفهو ماً من السياق، ودل هذا اللفظ باختصاره وجلالته وفصاحته على نفي كل عاصم سواه وعلى نفي كل معصوم سوى من رحِمَه الله. ومن شواهد هذا العدول في الشعر البيت الذي ذكره ابن منظور ونسبه لنائحة عربية :

لَقَدْ عَيّلَ الأيتامَ طَعْنَةُ ناشِرة * أنا شَرَةَ لازالتْ يَمِيْنُكَ آشِرةً** [3]

---

[1] - الزمخشري / الكشاف :2:375.
[2] - أبوالسعود / إرشاد العقل السليم.4:211
[3] - لسان العرب مادة (أشر).

موضع العدول في (آشرة) فاللفظ في معنى اسم المفعول، أي : ذات أشر أو مأشورة (والأشْر معناه : الحزُ والقطعُ وذلك أن القائلة إنما دعت على ناشرة لا له).[1]

ويمثل البلاغيون للعدول عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل ببيت الحطيئة في هجاء الزبرقان بن بدر :

دَعِ المكارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِها * واقْعُدْ فإنك أنت الطّاعِمُ الكاسي** [2]

أي : (المُطْعَمْ والمَكْسُو). والشاهد فيه العدول عن دلالة الطاعم والكاسي، وخروج معناهما إلى معنى اسم المفعول، لأن المقام هو الذي وجه هذه الدلالة وفرضها، فالمقام مقام هجاء وليس مدحاً، وإنما أراد الشاعر تحقير المهجو والسخرية منه.

وقد أشار السيوطي إلى أنه لم يأت عند العرب فاعل بمعنى مفعول إلا قولهم: " تراب سافٍ إنما هو مَسْفِيٌّ لأن الريح سفته، وعيشة راضية بمعنى مرضية، وماء دافق بمعنى مدفوق، وسر كاتم بمعنى مكتوم، وليل نائم بمعنى قد ناموا فيه" [3]. ونرى أن ما أشار إليه السيوطي لا يمنع من استحداث صيغ جديدة والعدول إليها لتوليد دلالات وإيحاءات ومرامٍ يقتضيها المقام، والشاهد على ذلك النماذج المذكورة، واللغة ولود ولا تحدها حدود.

وتعدل اللغة عن الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل لأنها وإن كانت فرعاً عنه باعتبارها ــ أساساً ــ مشبهة به، فإنها تختلف عنه في كونها تفيد اتصاف موصوفها بالثبوت؛ لذلك فإن العدول عنها إلى اسم الفاعل يكون رغبة عما فيها من ثبوت ودوام إلى ما في اسم الفاعل من معنى الحدوث والطروء وتمثل لذلك قوله تعالى مخاطباً النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (هود: ١٢). حيث عدلت الآية الكريمة عن (ضيّق) إلى(ضائق) وحاشا أن يتصف صدر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بدوام الضيق وقد قال تعالى: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) (الشرح: ١). فكيف

---

[1] - المصدر السابق وانظر الخصائص :152:2.

[2] - الحطيئة جرول بن أوس / الديوان .- برواية وشرح ابن السكيت ؛ ضبط حنا نصر الحتي - بيروت : دار الكتاب العربى،1995 : ص53.

[3] - السيوطي / المزهر :93:2.

يضيق صدر شرحه الله تعالى، ومن ثم فهو ضيق عارض من معاناته ــ صلى الله عليه وسلم ــ في تبليغ الدعوة، وهذه الدلالة تغيب في الصفة المشبهة، وتتحقق في صيغة اسم الفاعل، جاء في الكشاف" فان قلت : لم عدل عن ضيّق إلى ضائق ؟ قلت ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت" [1].إنها البلاغة القرآنية والبيان المعجز يختار ألفاظه بدقة بحيث تكون مناسبة للسياق والمقام مما أذهل أساطين الفصاحة وأعجزهم عن أن يأتوا بآية من مثله.

ويمكن أن يكون العدول بين صيغ اسم الفاعل نفسها، وذلك ما نلمسه في العلاقة بين الصيغة ومعناها بحسب التجرد والزيادة، فمن المعلوم أن كل زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى، وذكر سيبويه أن غرض الزيادة هو الدلالة على المبالغة والتوكيد ".... كما أنه إذا قال : اعشوشبت الأرض فإنما يريد أن يجعل ذلك كثيراً عاماً قد بالغ" [2] وحذا حذوه ابن جني[3]. وأما ابن الأثير فقد أوضح العلاقة بين اللفظ ومزيده، وسماها قوة اللفظ لقوة المعنى" اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بد أن يتضمن المعنى أكثر مما تضمنه أولاً لأن الألفاظ أدلة على المعاني وأمثلة للإبانة عنها فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني" [4]. ومما جاء من ذلك في قصص القرآن قوله تعالى في حكاية عن آل فرعون : ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٤١ – ٤٢). (فمقتدر) هنا أبلغ من (قادر) وإنما عدل إليه للدلالة على التفخيم للأمر وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب، أو للدلالة على بسطة القدرة، فإن المقتدر أبلغ في البسطة من (القادر) وذلك أن (مقتدر) اسم فاعل من اقتدر و(قادر) اسم فاعل من قدر ولا شك أن (افتعل) أبلغ من (فعل)[5] وعلى هذا جاء قول أبي نواس :

---

[1] - الزمخشري / الكشاف :186:3.
[2] - سيبويه / الكتاب :241:2.
[3] - ابن جني / الخصائص : 155:2.
[4] - ابن الأثير : المثل السائر :241:2 وانظر البرهان 34:3.
[5] - المثل السائر.ـ المرجع السابق :241:2.

فَعَفَوتُ عنّي عَفْو مُقْتَدِرَ* حَلَّتْ له نِقمَ فألغاها [1]**

أي : عفوت عني عفو قادر متمكن القدرة لا يرده شيء عن إمضاء قدرته، ولو قال عفو قادر ما أفاد هذا المعنى.

ومن سنن العرب العدول إلى اسم المفعول عن اسم الفاعل ومن ذلك قولهم: " سيل مُفْعَم ومجازه مفْعِم، وقوم مَوْطُوؤون بالطريق ومجازه واطئين "[2]. وجاء منه في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾(مريم: ٦١). أي : آتياً، قال الطبري :" قال بعض نحويي الكوفة خرج الخبر على أن الوعد هو المأتي، ومعناه هو الذي يأتي، ولم يقل : (وكان وعده آتيا) لأن كل ما أتاك فأنت آتيه.... ألا ترى أنك تقول : أتيت على خمسين سنة، وأتت على خمسون سنة وكل ذلك صواب" [3]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (الإسراء: ٤٥) ــ أي : ساتراً .

ومن أمثلة هذا العدول في قصص القرآن ما جاء على لسان فرعون مخاطباً موسى ــ عليه السلام ــ ومنكراً لمعجزاته إذ قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ (الإسراء: ١٠١). جاءت (مسحورا) بمعنى (ساحر) فوضع المفعول موضع فاعل، قال الطبري: "وإنما قالوا ذلك لأن المعنيين محتملان ففرعون يرى موسى ــ عليه السلام ــ ساحراً بسبب ما رآه منه من قلب العصا ونحوه، ويراه مسحوراً بسبب كلامه الغريب عن نهج فرعون في قومه فكأنه قال له : سحرت واختلط عقلك" [4]. وقد عبرت الآية الكريمة بصيغة (مفعول) المؤهلة في هذا السياق لحمل المعنيين دون فاعل، فوُسِّع المعنى بالعدول إليها منه وتحتمل

[1] - أبو نواس الحسن بن هاني ، الديوان ، دار صادر بيروت ، 1972م ص 684.
[2] - ابن جني / الخصائص :2:488.
[3] - الطبري / تفسير الطبرى :16:10.
[4] - المصدر السابق : 15: 173-174

ــ أيضاً ــ معنى النسب ففرعون ينسبه بغريب أفعاله إلى المسحورين أو السحرة، أي : أنه ذو سحر مصاب به أو ذو سحر يسحر به الناس.

ويمثل العدول إلى الصفة المشبهة أو عنها مؤشراً أسلوبياً مهماً في دلالات صيغ المشتــقات؛ وذلك لأنها تفيد اتصاف موصوفها بالثبوت، فيُعْدَل إليها عند إرادة هذا المعنى، وعند العكس يُعدَل عنها.

ومن نماذج العدول إلى الصفة المشتبهة قوله تعالى في قصة قوم نوح واستكبارهم وعنادهم ورفضهم دعوته ومن ثم عقابهم باغراقهم :﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾(الاعراف 63 ــ 64) (عمين) صفة مشبهة معدولة عن اسم الفاعل (عامين)، يقول الألوسي:" أي عمى القلوب عن معرفة التوحيد والنبوة ، وقرئ (عامين) والأول أبلغ، لأنه صفة مشبهة فتدل على الثبوت".[1]

وجاء في الكشاف:" والفرق بين العمي والعامي أن العمي يدل علــى عمىً ثابــت والعامي على عمىً حادث"[2]. ويستفاد من قول الزمخشري أنه عُدِل عن اسم الفاعل (العامي) إلى الصفة المشبهة (العمي)، للدلالة على الثبوت، فإن المعنى في اسم الفاعل طارئ متجدد وفيها ثابت دائم، وهذا الوصف أنسب لقوم نوح لما عُرِف عنهم من عناد ومكر واستكبار، حتى جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم؛ لئلا يسمعوا دعوته لهم للتوحيد، حتى عميت قلوبهم. و(عمين) من عمى القلب، " أي: غير مستبصرين ويدل على ثبوت هذا الوصف كونه جاء على فَعِل ولو قُصِدَ منه الحدوث لجاء على فاعِل كما جاء ضائِق في ضَيّق" [3]

[1] - الألوسي : روح المعاني :222:6
[2] - الزمخشري : الكشاف :86:2
[3] - أبو حيان: البحر المحيط :374:5.

ومن الأوزان المشتركة بين الصفة المشبهة وصيغ المبالغة وزن (فعيل)، إلا أنه في الصفة المشبهة يدل على الثبوت، وفي المبالغة يدل على معاناة الأمر وتكراره، حتى أصبح كأنه خلقة في صاحبه وطبيعة فيه كـــ(عليم)، فهو لكثرة نظره في العلم، وتبحره فيه، أصبح العلم سجية ثابتة في صاحبه.

والسياق ــ غالباً ــ هو الذي يحدد معنى الصيغة الواردة فيه فمثلاً لفظ (رجيم) الوارد في القرآن الكريم في شأن إبليس يدل على أنه صفة مشبهة معدول إليها عن مفعول، فقد قال تعالى في قصة هذا اللعين وعدم سجوده لآدم، وطرده من الجنة ولعنته :﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (ص 75 ــ77). فقال (الرجيم) بدلاً من (المرجوم)؛ لإثبات الدوام في صفة رجم إبليس اللعين، وعُدل إلى الصفة المشبهة من اسم المفعول لتلك الغاية، يقول ابن منظور:" الرجيم أي المرجوم بالكواكب، صُرِفَ إلى فعيل عن مفعول وقيل رجيم مرجوم باللعنة مُبْعَد مطرود" [1]. والذكر الحكـــيم المعجز يختار المفردة في سياقها المحكم المتناهي في المناسبة والملاءمة، نلحظ ذلك في صيغة (فعيل) هنا فقد أفادت معنى الثبوت والدوام الذي لاتفيده صيغة مفعول، يدل على ذلك الآية التالية (وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) (ص 78) .

ولنبين الفرق بين الصيغتين دعنا نقرن لفظ (رجيم) هنا في شأن أبليس، ولفظ (مرجوم) في سورة الشعراء حكاية عن تهديد قوم نوح ــ عليه السلام ــ له بالرجم : ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ (الشعراء 116). إن اختلاف الصيغة ينم عن اختلاف في المعنى، فوصف الشيطان بالرجيم أبلغ من وصفه بالمرجوم؛ لأن رجيم تدل على أن هذا الوصف ثابت له لا يتغير

[1] - لسان العرب مادة (رجم) .

إلى قيام الساعة. أما قول قوم نوح : (المرجومين) فإن قولهم خرج مخرج التهديد والوعيد الذي لم يقع بعد، فلا يصح أن يقولوا رجيماً. وصيغة مفعول تحتمل الحال والاستقبال وتحتمل غيرها .

وقد أشار صلاح فضل ــ بصفته أحد رواد علم الأسلوب ــ إلى أثر اختيار المفردة المناسبة في التركيب، واعتبر الإجراءات الاستبدالية للوحدات اللغوية منهجاً علمياً يفيد في إدارك أسرار التركيب وجمالياته وغاياته، ويسمح بفهم الاختيار الأسلوبي للمبدع، والأنماط اللغوية التي كان بوسع المؤلف أن يختار منها في عملية الإنتاج[1]. ولكنا نعلم أن كل ألفاظ القرآن تقع موقعها الذي لو بدلت فيه بلفظة أخرى لنبت عنه ورفضها السياق، إنه النص المثالي البياني المعجز .

[1] - د. صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته : 233:30.

العدول في صيغ المبالغة

صيغ المبالغة وصف لإيقاع الحدث، لكثرة القيام به أو لشدة الاتصاف به، وهي أبنية مصوغة للدلالة على التكثير في حدث اسم الفاعل، فتضيف معنى صرفياً زائداً عليه هو الكثرة والمبالغة في الوصف . والمبالغة وظيفة تواصلية تتطلب بنية جديدة خاصة تابعة لها، فهي خروج عن أصل البنية والمعنى المعتاد بتكثيره والزيادة فيه، وكلها إجراءات تترك أصلاً أو أثراً، وعليه تكون الغاية من صيغ المبالغة إيضاح ما طرأ على اسم الفاعل من تغيرات دلالية .

ويكون العدول إلى إحدى هذه الصيغ ــ صيغ المبالغة الست ــ قصداً للمبالغة في التعبير ومن ذلك في قصص القرآن الكريم ما ورد في سورة يوسف في قوله تعالى ــ على لسان سيدنا يوسف عليه السلام وهو يعرض على العزيز توليته أمور خزائن الأموال ــ: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف 54 ــ55) فقد سأل يوسف ــ عليه السلام ــ أن يُوَلَّى خزائن المملكة؛ ليحفظ الأموال ويعدل في توزيعها، وعلل طلبه ذلك بقوله : " إني حفيظ عليم " مؤكداً أنه اتصف بصفتين يعسر حصولهما في الناس، وهما الحفظ لما يليه، والعلم بتدبير ما يتولاه " وصف نفســه بالأمانه والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه. وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى وإقامة الحق وبسط العدل، والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أن أحداً غيره لايقوم مقامه في ذلك، وطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا" [1] .

وقد جاء التعبير بصيغتى (حفيظ عليم)؛ ليعلم الملك أن مكانته لديه وائتمانه إياه قد صادفا محلهما وأهلهما، وأنه حقيق بهما؛ لأنه متصف بما يفي بواجبهما وذلك صفة الحفظ المحقق للائتمان،

[1] - الزمخشري : الكشاف 2 : 328 . انظر : التحرير والتنوير 13 : 4-5 وروح المعاني 13 :5.

وصفة العلم المحقق للمكانة، فدلت الصيغتان على كفاءته ــ عليه السلام ــ في تسيير شؤون مصر، دلت عليهما وقائع التاريخ وأحداثه حيث حافظ على اقتصاد البلاد طيلة السنين العجاف.

وقد تغايرت الصيغتان اسم الفاعل (ساحر) وصيغة المبالغة (سحَّار) في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون وسحرته في سياقين الأول في قوله تعالى في سورة الاعراف :﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (الآعراف 109 ــ 112) والثاني في سورة الشعراء ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾(الشعراء 34 ــ 37). وقد أشـــار الزمخشري لسبب تخصيص كل صيغة في تركيبها :" فإن قلت قد عزي هذا الكلام إلى فرعون في سورة الشعراء وأنه قال للملأ وعزي ههنا إليهم، قلت : قد قاله هو وقالوه هم فحكى قوله ثم وقولهم ههنا، أو قاله ابتداءً فتلقنه منه الملأ فقالوه لأعقابهم أو قالوه عنه للناس عن طريق التبليغ ...." بكل ساحر " وقرئ سحّار " أي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة أو بخير منه "[1] . واما في قوله تعالى: " بكل سحّار" فإن قوم فرعون قد عارضوا قوله: " إن هـــذا لســـاحر بقولهم : "يأتوك بكل سحّار عليم " "فجاءوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ليطمئنوا منه نفسه وليسكنوا بعض قلقه"[2] .

نلحظ أن الزمخشري قد عزا سبب العدول عن اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة للسياق؛ لأن صيغة (سحّار) جواب لقول فرعون فيما استشار فيه قومه من أمر موسى ــ عليه السلام ــ بعد قوله: " إن هذا لساحر عليم "، فأجابوه بما هو أبلغ من قوله، رعاية لمراده بخلاف صيغة (ساحر) فإنها جواب قولهم فتناسب اللفظان .

[1] - الكشاف 2 : 102.
[2] - المرجع السابق 3 : 112.

وقد يكون مجيء صيغة المبالغة (سحّار) في آية سورة الشعراء لتقدم (بسحره) في قوله تعالى:﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الشعراء35) . أما في آية سورة الأعراف فلم يرد لفظ (بسحره) في قوله تعالى:﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الأعراف 110) فناسب مجيء (ساحر).

أما ابن عاشور فيرى اتحاد المعنى في الصيغتين" كل مستعمل في معنى الكثرة أي بجمع عظيم من السحرة وقرأ بعضهم بكل سحّار على المبالغة في معرفة السحر فيكون وصف عليم تأكيد لمعنى المبالغة لأن وصف عليم الذي هو من أمثلة المبالغة للدلالة على قوة المعرفة بالسحر وحذف متعلق عليم لأنه صار بمنزلة أفعال السجايا. والمقام يدل على أن المراد نسب قوة علم السحر له وسحّار مرادف لساحر في الاستعمال لأن صيغة فعّال للنسب دلالة على الصناعة ... ولذلك اتبع هنا وهناك بوصف عليم " [1]. وفرّق الألوسي بين الصيغتين، " فالساحر للمبتديء في صناعة السحر والسحّار هو المتمرس في السحر والمنتهي الذي يتعلم منه ذلك ، ... وهو كثير العمل بالسحر ولكون المهم هنا (الشعراء) هو العمل أتوا بما يدل على التفضيل فيــه" [2] .

وحاصل دلالة التغاير بين الصيغتين أن الفاعل من السحر (ساحر)، لسياق قوله تعالى: (وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ) (الأعراف 120). أما (سحّار) فقد وصف بلفظ (عليم)، ووصفه يدل على تناهيه في السحر وحذقه به؛ فناسب لذلك أن يُذكروا بالاسم الدال على المبالغة في السحر .

وقد عدل عن صيغة (فعيل) إلى اسم الفاعل في قوله تعالى حكاية عن نبيه يحيى عليه السلام:﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾(مريم 12ــ14). موضوع العدول في (عصياً) فقد جاءت بمعنى (العاصي). يقول

[1] - ابن عاشور . التحرير والتنوير 8 : 45 ، 19 : 125.
[2] - الألوسي : روح المعاني :9 : 23 ، 19 : 76.

ابن عاشور : "العصي: فعيل من أمثلة المبالغة. أي : شديد العصيان والمبالغة منصرفة إلى النفي لا إلى المنفي أي لم يكن عاصياً بالمرة "[1]

وماذهب إليه ابن عاشور هو ما رآه الألوسي:"... وهو فعول وقيل فعيل والمراد المبالغة في النفي لا نفي المبالغة" [2] . والسياق يقتضى أن وزن (فعيل) هنا بمعنى (فاعل)، لأن الثناء على سيدنا يحيى ــ عليه السلام ــ لا يكون بنفي المبالغة في العصيان عنه، ولكن يكون بنفي كونه عاصياً أصلاً، وعليه فإن اسم الفاعل هو المراد.

إن وزن (فعيل) مشترك بين الصفة المشبهة وصيغ المبالغة لكن الغالب فيه الدلالة على الثبوت لا المبالغة إلا في أمثلة قليلة، فالكثرة صفات مشبهة والقلة صيغ مبالغة[3]. وخير دليل على ثبوت فعيل وقلة دلالتها على المبالغة أنه إذا أريد المبالغة من (فعيل) حوّل إلى (فُعال) [4]

ويصاغ اسم المفعول ــ أيضاً ــ على وزن (فعيل) نحو (قتيل) أي مقتول و (جريح) بمعنى مجروح. ومما جاء (فعيل) به بمعنى مفعول دالاً على المبالغة والتكثير لفظ (كظيم) والكاظم:الممسك على ما نفسه من الغيظ وفي التنزيل :" والكاظمين الغيظ "(آل عمران134) . ويكون الكظيم بمعنى المكظوم. ومن ذلك ما ورد في قصة يوسف عليه السلام وحزن أبيه عليه في قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهو كَظِيمٌ ﴾ (يوسف 84) . جاء في الكشاف:".... فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولايُظهِر ما يسوءهم وفعيل بمعنى مفعول بدليل قوله : وهو مكظوم" [5]

ومن نماذج ذلك لفظ (صريم) في قصة أصحاب الجنة في قوله تعالى: (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ* وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ

[1] - التحرير والتنوير 16 -77 .
[2] - روح المعاني : 16 : 73 .وانظر أبو السعود : إرشاد العقل السليم : 3: 259.
[3] - فاضل صالح السامرائي : معاني الأبنية في العربية . دار عمار الأردن ، ط 1 ، 1981 ص 62
[4] - ابن جني . الخصائص : 3 : 276.
[5] - الكشاف : 2 :33 .

كَالصَّرِيمِ) (القلم 17ــ 20) فهي بمعنى المفعول أي : المصروم، يقول الطبري:" كالشيء المصروم الذي ذهب ما فيه" [1] . وهو ما ذهب إليه ابن حيان، فالصريم مفعول بمعنى مصروم[2]. ويقول الراغب الأصفهاني:" أصبحت كالأشجار الصريمة أي المصروم حملها "[3].وفي اللسان: كالشيء المصروم[4]. وكلها تدل على أنها بمعنى مفعول. ونلحظ أنه قد تم العدول عن(مفعول) إلى(فعيل) لأن الثانيـــة أبلغ من الأولى فـــــقد تدل(فعيل) على المبالغة أو الدوام والثبوت وهذا لا يتحقق في (مفعول)، وهذا مما يدل على تمام هلاك هذه الجنة جزاء عمل أهلها.

ويحدث أن يعدل السياق عن بناء من أبنيه المبالغة، إلى آخر يحمل دلالات تنسجم ودلالة العبارة بوجه عام، كما في العدول بين صيغتي (عجيب) و (عجاب) في قوله تعالى في سورة ص ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾(ص 4ــ5) وفي سورة ق: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾(ق2). حيث عدل عن صيغة (عجيب) القياسية إلى صيغة (عُجاب)؛ وذلك لأن الثانية أكثر مبالغة من الأولى، يقول ابن جني:" في المبالغة لابد أن تترك موضعاً إلى موضع إما لفظاً إلى لفظ وإما جنساً إلى جنس فاللفظ كقولك (عُر اض) فهذا قد تركت لفظ (عريض) (فعُراض) إذاً أبلغ من(عريض) ... و(كُرام) أبلغ من (كريم) لأن (كريماً) من (كرُم) وهو الباب و(كُرام) خارج عن بابه فهذا أشد مبالغة من كريم" [5]

إذن إذا أُريد المبالغة من (فعيل) حوِّل إلى(فُعال) ولهذا قيل: إن العجب في آية سورة(ص) أكثر مما في آية سورة (ق)، فافتتح الحق عز وجل الآية بالاستفهام الإنكاري وأكده بـــ (إن) و (اللام)، وعدل عن (عجيب) إلى(عُجاب). ففي سورة (ق) كان العجب من مجيء منذر من بينهم،

---

[1] - تفسير الطبري : 23 :245 ،
[2] - الجامع لأحكام القرآن 18: 157.
[3] - الراغب أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، تحقيق صفوان عدنان – دار العلم دمشق – الدار الشامية بيروت ط3 1423 هـ، 1 : 280.
[4] - لسان العرب مادة (صرم) .
[5] - ابن جني الخصائص 3 : 276 .

أما في سورة (ص) فيُظهِر المشركون عجبهم من توحيد الآلهة ونفي الشرك، ولاشك أن عجبهم في الثانية أبلغ؛ لآنهم قوم عريقون في الشرك وجاء الإسلام ليردعهم عنه ويهديهم إلى التوحيد .[1]

ويرى تمام حسان أن هذا العدول قد تم لسببين الأول رعاية الفاصلة وهذا سبب أسلوبي، والثاني أن صيغة (فُعال) من صيغ الأدواء مثل الصُّداع فلربما أراد القائلون بأن ماجاء به النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الأمر بالتوحيد كان مكروها عند المشركين كراهية الداء .[2]

ونموذج آخر نلحظ فيه العدول إلى صيغة مبالغة جديدة تحقيقاً للمزيد من المبالغة في قصة نوح عليه السلام عندما يئس من إيمان قومه، قال تعالى ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ (نوح 21 ــ 22). حيث عدل عن (كبير) إلى(كُبّار). والعدول عن (فعيل) إلى(فُعّال) غايته المبالغة لأن (فُعَّال) في معنى فعيل إلا أنه أبلغ منه[3]. إذن (كُبار) أكبر من (كبير) و(كُبّار) أكبرمن (كُبار)[4]. إن هذه الصيغة وهي صفة للمكر تفيد بلاغة في المعنى ووقعاً شديداً على النفس تعبيراً عن شدة مكر الكفار وعتوهم .

و(كُبّار) بالتشديد للمبالغة، مثل عجيب وعُجاب وعُجّاب . يقال : رجل حسنٌ وحُسّان ووُضّاء للوضيء : قال الشاعر :-

والمَرْءُ يُلحِقُه بِفِتْيان النّدى * خَلَقُ الكريم وليس بالوُضَّاء** [5]

الشاهد فيه ورود(وُضَّاء) على وزن (فُعّال) لبيان شدة المبالغة .

واخْتُلِفَ في مكر قوم نوحٍ هذا الذي وصف بالكُبّار، فقيل: هو تحريشهم سفلتهم على قتل نوح ــ عليه السلام ــ وقيل : هو ما جعلوه لله من الصاحبة والولد ... الخ .

---

[1] - السامرائي : معاني الأبنية : ص98.
[2] - تمام حسان : البيان في روائع القرآن : 433.
[3] - ابن جني: الخصائص 3 : 276 .
[4] - الزمخشري : الكشاف : 4 : 164.
[5] - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن 18 : 198 ، ولم ينسب البيت لقائل . ونسبه ابن منظور لشاعر اسمه أبو صدقة الدبيري في لسان العرب مادة (و ضأ)

وهذا التعبير القوي بالصيغة القوية عن مكر قوم نوح، يرد نفسه في كل من لفظ "ديَّارا" وكفَّاراً " في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح 26 ــ27) فوزن (ديّاراً وكفّاراً) هو (فعّال)، وهي صيغة تفيد المبالغة، وأن ديّاراً من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال : مافي الدار ديّار وديّور[1]. والمعنى العام للصيغتين قوِيً فإن دعاء نوح كان نابعاً من صدق تجاربه مع أهل الشرك، وعندما ينطق لسانه بالدعاء تنبعث منه نغمة الصدق وقناعة في اليأس منهم، فقد(مكروا مكراً كُبّارا) ومن كانت هذه صفته فلا خير يرتجى منه؛ ولذلك كان الإيقاع ينمّ عن ضربات حادة تعززه نغمة صوت الراء وحركته داخل الآية .[2]

إنه دعاءٌ نابع من القلب دافعه اليأس والقنوط من قوم لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ولهذا جاءت الصيغ التعبيرية ملائمة لمحتواه. ولعلنا نلحظ هنا مؤشراً أسلوبياً بإنشاء صيغ جديدة للمبالغة تحمل دلالات تنسجم ودلالة الموقف والمقام بوجه عام مثل ما في صيغة (عجاب) و(كبّار) فهما ليستا من صيغ المبالغة القياسية.

من كل ما تقدم نستنتج أن العدول في صيغ المشتقات يشكل ظاهرة بلاغية وأسلوبية في الذكر الحكيم عامة، والقصص بصفة خاصة. وأن الموقف والمقام وداعية الحال وظروف الإنشاء كانت السبب الأساس لهذا العدول، فجاء التناوب بين المصادر، أو بينها وبين الصيغ الأخرى ولحظنا صوراً للعدول من صيغة مشتقة إلى أخرى، ودلالة الوزن الواحد على معان مختلفة، وتوليد صيغ جديدة للمبالغة إذا دعا المقام إلى تعظيم الأمر أكثر. كل ذلك يدعو الباحثين لتناول هذه الظاهرة بالدراسة حتى يخرجوا للناس جواهر هذا الكنز البيانى المكنونة.

---

[1] - الزمخشري : الكشاف :4 : 165.

[2] - عمر السلامي : الإعجاز الفني في القرآن الكريم ، مؤسسة عبد الكريم عبد الله ، تونس 1980م . ص 230 .

الفصـــل الثـــالث

العدول الفعلي

المبحـث الأول

العدول في صيغ الأفعال من حيث الزمن

المبحث الثاني

العدول عن صيغة فعلية إلى أخرى

المبحـــث الأول

أولاً : العدول في صيغ الأفعال من حيث الزمن

مدخـــل:.

يُعرّف الفعل بأنه : (ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الازمنة الثلاثة، ومن خواصه دخول قد، والسّين وسوف، والجوازم ، ولحوق تاء فعلتُ وتاء التأنيث الساكنة)[1]. يقول ابن مالك :

بتا فعلْتَ وأتَتْ ويا افعلي * ونون أقبِلَنَّ فعلٌ ينجلي** [2]

وصيغته تدل على أمرين هما الحدث والزمن، أي: أن المعنى الصرفي للأفعال عامة هو الدلالة على الحدث و الزمن معا. ودلالة الفعل على الزمن دلالة ضمنية ومعنى الزمن أو الحدث هو جزء من معنى الصيغة الفعلية وهما بلا شك وظيفتا الفعل الصرفية.

وليست الدلالة على الحدث والزمن الوظيفة الصرفية الوحيدة للفعل، بل تتعدى وظائفه إلى أكثر من ذلك عندما تتصل به (مورفيمات)، هي ما يسمى بالزوائد فالتعدية، والصيرورة، والمشاركة، والموالاة، والطلب والتحول وغير ذلك، كلها وظائف صرفية معينة يؤديها الفعل عند اتصاله بالمختار من اللواصق، و الزوائد ولهذا قال علماء اللغة الأقدمون:" إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى" [3] . وتتمثل بنية الفعل في أمرين صيغته الدالة على زمنه الصرفي من حيث كونه ماضياً أو حالاً أو مستقبلاً، ووزنه الذي له أكثر من دلالة حسب التجرد والزيادة.

وقد يعمد الأسلوب القرآني إلى استعمال هذه الصيغ للأفعال ، في سياق معين مؤثراً إياها على غيرها؛ لتحقيقها معنى معيناً يقتضيه المقام لا يتحقق بغيرها. ولهذا تشكل ظاهرة العدول في صيغ الأفعال أهمية بارزة في الدراسات البلاغية والأسلوبية، لأنها تحمل بعداً جمالياً ودلالياً وأبعاداً بلاغية يعمد إليها المبدع فيفاجئ المتلقي بما فيها من مخالفة للقواعد المألوفة في العرف النحوي، لكنه خروج لا يؤدي إلى عدم الصحة اللغوية بل إلى خيار ليس المشهور، وهذا العدول ليس خرقاً لنظام

---

[1] . الإستراباذي ، الشافية ، 2: 223.
[2] - متن الألفية ص 3.
[3] - الزركشي : البرهان : 3: 116.
* المورفيم : هو أصغر وحدة لغوية مجردة لها معنى .

العربية، وإنما هو نظامها في أعلى درجاته الإبداعية البلاغية؛ لتؤدي اللغة معاني لا تُؤَّدى إلا في أنظمة العربية المختلفة: الصرفي والنحوي والبلاغي وغيرها، وهو أحد وجوه إعجاز القرآن البلاغية التي نزل بها وفق سنن العرب في كلامها .

الجملة العربية تتركب وفق قواعد و قوانين لغوية، ولكن قد ينحرف التركيب عما هو مألوف بسبب سياقي ما، فيأخذ معنى غير المعنى الظاهر، متجاوزاً إلى دلالات أخرى ذات وظيفة بلاغية لا تفهم إلا من خلال القرائن الحالية والسياقية . وقد عني اللغويون والبلاغيون القدماء بهذا العدول في التركيب وصرحوا به كثيراً في أثناء تحليلاتهم للظاهرة اللغوية حيث يقع العدول على المستوى الاستبدالي كالعدول من صيغة فعل إلى صيغة فعل آخر يحل محله على خلاف القواعد الموضوعة في العرف اللغوي، فقد ألمح عبد القاهر بهذا اللون من العدول عند كلامه عن جملة الحال الفعلية. فذكر:" أن وقوع الفعل مضارعاً مثبتاً فالغالب أن يؤتى بدون واو، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾(المدثر 6) فأن جاء بالواو لم تكن الجملة حالاً وإنما هي لعطف مضارعٍ على فعل ماضٍ بغرض بلاغي هو حكاية الحال الماضية "[1]. كما سنرى في ثنايا هذا المبحث.

والزمخشري تناول هذه الظاهرة الأسلوبية البلاغية في القرآن الكريم، وأبان أنها جاءت لغايات بلاغية قصدية وخير مثال لذلك وقوفه عند قوله تعالى:﴿قَالُوا يَا هودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (هو د: ٥٣ ــ ٥٤). فالقواعد اللغوية تقتضي كون (اشهدوا) فعلاً مضارعاً ليصبح العطف على الفعل الخبري (أشهد)، والدلالة السياقية تقتضي خلاف ذلك فعُدِلَ به عن معنى المضارع إلى معنى الأمر. وسنورد تحليله للآية الكريمة في محله إن شاء الله .

[1] - دلائل الإعجاز : ص140.

إن الأفعال في السياق اللغوي قد تتبادل أزمنتها، فالماضي قد يدل على المستقبل إذا دل على الدعاء أو رُكَب مع إن الشرطية، ويصبح زمن المضارع المركب مع (لم) الجازمة دالاً على الماضي. وهو ما أشار إليه ابن الأثير:" إن الأفعال تتبادل أزمنتها كالرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر" [1]. إن السياق يعين على تحديد زمن الفعل، فالزمن في الصيغة المفردة لا قيمة له خارج السياق، أما في حال التركيب فيصبح للفعل زمن يسمى بالزمن السياقي التركيبي، تحدده القرائن اللفظية والحالية، فيظن في التركيب الشكلي اللفظي أن الفعل ماضٍ وتكون حاله كذلك غير أن معناه يكون مخالفاً اللفظ وهذا هو معنى الفعل السياقي [2]

إن السياق يلعب دوراً في تأسيس جماليات التركيب اللغوي ودلالاته، لأن الفعل على صيغة(فَعَلَ) قد يدل في السياق على المستقبل، والذي على صيغة المضارع قد يدل فيه على الماضي وقد يكون اللفظ شيئاً ودلالته شيئاً آخر، ومن هنا تنشأ قواعد عدة تخرج على القاعدة الأم تسمى فروعاً أو تحولاً أو انحرافاً، مثل الاختلاف في توافق الفعلين وتطابقهما في أسلوب العطف وغيره، واستعمال الماضي والمضارع أو الأمر في اللفظ والمقصود ضده في المعنى." إن انغلاق الفعل على دلالة زمنية محددة ليست خاصية مطردة، فالدلالة الزمنية للفعل تتسم بالمرونة والطواعية مما يؤهله لاستفراغ دلالته الزمنية الخاصة (الماضي أو الحاضر أو المستقبل) و استيعاب دلالة الزمن المطلق" .[3].

وهذه حقيقة لا يكتنزها الفعل في بنيته الصرفية الإفرادية وإنما تتشكل من خلال التفاعل الإيجابى بين صيغة الفعل وشبكة الدوال اللغوية والقرائن السياقية في السياق اللغوي. ومن هنا نصل إلى أن للفعل زمناً صرفياً وآخر نحوياً، فالأول: ــ الصرفي ــ زمن محدد ثابت، أما الثاني ــ النحوي ــ فهو جديد طارئ على البنية الدلالية لصيغة الفعل وهو يشير إلى اكتساب صيغ الأفعال

[1] - أبن الأثير ، المثل السائر : ص 2:179.

2 – تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مبناها : ص 104

3 – المرجع نفسه : ص105.

وظائف مغايرة في السياق، أو دلالات زمنية جديدة نتيجة تفاعلات السياق والملابسات وقرائن الأحوال [1] .

أقسام الفعل :

تكون أقسام الفعل تابعة للمعنى أو اللفظ، أما تقسيمه تبعاً للمعنى فمنه: الماضي، والمضارع، والأمر ومنه المتعدي واللازم، ومنه المبني للمعلوم والمبني للمجهو ل، ومنه المتصَرِّفْ والجامد .وأما تقسيم الفعل تبعاً للفظ فمنه الثلاثي والرباعي والمجرد والمزيد، ومنه أيضاً ــ الصحيح والمعتل .

وسنقتصر في هذا الفصل على دراسة العدول في صيغ الأفعال من حيث دلالتها على الزمن . والعدول عن صيغة فعلية إلى أخرى؛ وذلك لاتساع الموضوع وتشعبه بحيث لا يمكن الإحاطة به هنا، كما أن هذه الأقسام تعتبر الأقرب لعلم الصرف موضوع الدراسة .

[1] - أسامة بحيرى / تحولات البنية فى البلاغة العربية : ص 320.

العدول في صيغ الأفعال من حيث دلالتها على الزمن

ينقسم الفعل باعتبار زمانه إلى ماضٍ ومضارع وأمر :

"**الماضي** : هو الدال على اقتران حدث بزمان غير زمانك . والمضارع: ما تعتقب في صدره الهمزة والنون والتاء والياء (أفعل ــ نفعل ــ تفعل ــ يفعل) ويشترك فيه الحاضر والمستقبل. واللام في قولك : إن زيداً ليفعل مخلصة للحال، والسين أو سوف للاستقبال، وبدخولهما عليه قد ضارع الاسم فأعرب بالرفع والنصب، والجزم مكان الجرّ " [1]

والأمر: ما دل على طلب وقوع الفعل من الفاعل المخاطب بغير لام الأمر، وعلاقته أن يدل على الطلب بصيغته مع قبوله ياء المؤنثة المخاطبة مثل: اجتهد ــ اجتهدي [2]

وهذه الأقسام يعبر عنها النحاة بالماضي والمستقبل والحال، فأما الماضي والمستقبل فلا خلاف فيهما، كما أنه لا خلاف في زمنهما، وأما الحال ففيه خلاف بين النحويين فمنهم من أنكره، ومنهم من أثبته، أما من أنكره فحجته أنه إما قد وقع وإما لم يقع، فإن كان الأول فهو ماضٍ، وإن كان الثاني فهو مستقبل، ولا ثالث لهما. وردّ ابن عصفور على ذلك بأن: " زمن الحال لقصره يتعذر الإخبار عنه، لأنه الزمن المتوهم الفاصل بين الماضى و المستقبل" [3] .

أما البلاغيون فيرون أن زمن الفعل في جميع صوره يدل على التجدد مع اختلاف معناه باختلاف بنية الفعل، قال بهاء الدين السبكي: " الفعل يدل على التجدد ماضياً كان أم مضارعاً أم امراً، غير أن التجدد الذي يدل عليه الماضي المراد به الحصول، والمضارع يدل على التجدد، بمعنى أنه من شأنه أن يتكرر ويقع مرة بعد أخرى" [4]. ويضاف إلى هذه الدلالة التي يدل عليها الفعل المضارع دلالة

---

[1] - الزمخشري : المفصل في علم العربية : ص 292.
[2] - الغلاييني جامع الدروس العربية : 1، 30 .
[3] - علي بن محمد بن عصفورالأشبيلي : شرح جمل الزجاجي ، تحقيق فواز الشعار ، دار الكتب العلمية 1998م :1 : 58..
[4] - أبو حامد بهاء الدين أحمد بن علي السبكي : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ط 1 2003م ج 1 : 557 .

الاستمرار، وهي خاصة بالمستقبل دون الحال: " واعلم أنه يستثنى من قولنا: المضارع دال على الاستمرار ما إذا أُريد به زمن الحال خاصة فإن الاستمرار مع إرادة زمن الحال فقط لا يجتمعان، إلا أن يقال : يدل على وقوع الحدث في الحال وأنه يستمر في المستقبل" [1]

وقد تؤدي بنية المضارع معنى آخر وهو استحضار صورة الشيء المراد في الذهن، قال صاحب الطراز: " الفعل المستقبل يوضح الحال ويستحضر تلك الصورة حتى كأن الإنسان يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي، إذا عُطِفَ لأنه لا يعطي هذا المعنى ولايدل عليه" [2].

هذه هي الدلالات التي تؤديها بنية الفعل وتتعلق بزمنه الصرفي، وقد يؤثر التعبير القرآني استعمال بعض هذه المباني في مواضع معينة وفق ما يقتضيه المقام؛ فيأتي بصيغة الماضي في مواضع وصيغة المضارع في مواضع أخرى، نحو ما نراه في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة: ٢١٢). فجاءت الجملة الأولى في هذه الآية مصدرة بالفعل الماضي (زُيِّنَ) و جاءت الثانية مصدرة بالمضارع (يسخرون) في تنويع بديع بين الصيغ، وعلة ذلك أن تزيين الدنيا في عين الكافرين بل في عين أغلب الناس أمر واقع لا يتغير فطرت عليهم طبائعهم ونفوسهم كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآَبِ﴾ (آل عمران: ١٤). فجاءت صيغة الماضي بما توحي به من التحقق وموافقة لسياق الحال. أما مجيء المضارع في الثانية فلأن السخرية أمر يختلف من وقت لآخر ليست النفوس مفطورة عليه، يتجدد بتجدد الموقف الذي يقتضيه. وكان الكفرة يسخرون ممن لاحظ لهم في الدنيا أو ممن يطلب غيرها، لذا كانت صيغة المضارع هي المناسبة لهذا المعنى، وهذا ما استشرفه ابن حيان بنظرته البلاغية الواعية " وصُدِّرت الأولى بالفعل الماضى، لأنه أمر مفروغ

[1] - المصدر نفسه ، صفحة 557.
[2] - العلوي : الطراز 2 : 267.

منه، وهو تركيب طباعهم على محبة الدنيا فليس أمراً متجدداً ، وصدرت الثانية بالمضارع لأنها حالة تتجدد كل وقت" [1].

وتتمثل صور العدول في التركيب الفعلي في ست صور:

العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة المضارع :

وهو نوعان : نوع يستعمل فيه المضارع للدلالة على حدث قد مضى وانقضى، ونوع أمر يستعمل فيه المضارع للدلالة على حدث يقع في الحال أو الاستقبال .

في النوع الأول : قرر علماء البلاغة أن المضارع في هذه الحالة يقصد به استحضار صورة (ما) في الماضى وكأنه أمر بارز مشاهد للعيان وهذا من البلاغة، وقد أشار إليه عبد القاهر الجرجاني في ثنايا كلامه عن جملة الحال الفعلية إذا جاء فيها الفعل مضارعاً مثبتاً لم يكد يجيء بالواو بل تجيء الجملة عارية من الواو، كقولك: جاءني زيد يسعى غلام بين يديه[2] ، وكقول الشاعر :

وقد عَلَوْت قَتودَ الرحلِ يسفَعُني * يومٌ تجي به الجوزاءُ مسمومُ** [3]

وإن جاء الفعل بالواو يمنع عبد القاهر أن تكون للحال، وإنما هي لعطف مضارع على فعل ماض، لغرض بلاغى كقولك: (قمتُ وأصك وجهه) فليست الواو للحال وإنما لحكاية الحال الماضية ومثله:

ولَقدْ أَمرُّ على اللئيمِ يَسُبُّني * فمضيت ثمت قلت لا يعنيني** [4]

فكما أن (أمر) هنا في معنى (مررت) كذلك يكون (أصك) في معنى (صككتُ) [5]. وحذا حذوه ابن الأثير والزمخشري. يقول ابن الأثير: " إن الفعل المستقبل إذ أُتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي" [6] وهذا ما أطلق

---

1 - ابن حبان : البحر المحيط 2 : 139.
2 - دلائل الإعجاز 141.
3 - علقمة الفحل ،الديوان : ص 48.
4 - البيت للشاعر شمّر بن عمرو الحنفي ، وهو شاعر جاهلي من بني حنيفة ، انظر الإيضاح ص 47 . والكتاب 3 : 24 .
5 - دلائل الاعجاز ص 141
6 - المثل السائر : 2 : 141 .

عليه الزمخشري مصطلح (حكاية الحال). ويعد من روائع البيان في القرآن الكريم الذي عمد إلى صور مغرقة في القدم فاستدعاها إلى الزمن الحاضر لتصبح كأنها شاهدة ماثلة للعيان ومن ذلك قوله تعالى مخاطباً اليهو د :﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهو ى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: ٨٧). فقد عدل عن الماضي (قتلتم) إلى المضارع (تقتلون) وكان مقتضى السياق يوجب المطابقة الزمنية بين الأفعال(ففريقاً كذبتم وفريقاً قتلتم﴾ لا سيما أنه يتحدث عن أمر حدث في الماضي، لكن السياق تحول إلى المضارع لأن قتل الأنبياء أمر فظيع فأراد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب[1].

كما أن دلالة الفعل (تقتلون) تفيد تجدد محاولة الفعل من اليهود والاستمرار، فالجمع بين الدلالتين يعد من بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، أذ تم توظيف القيمة الزمنية في صياغة الفعل للحصول على فروع تتعدد فيها دلالات الفعل و تتسع، فإن (تقتلون) باق على زمنه وهو المستقبل، لأن اليهود مستمرون في قتل الأبرياء، وكانوا يحومون حول قتل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ، أما التكذيب فقد حدث وانقضى.

ونموذج آخر نجده في قوله تعالى حكاية عن إهلاك قوم لوط ومجادلة إبراهيم ــ عليه السلام ــ ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (هو د: ٧٣ – ٧٤) .إن معرفتنا بزمن هذه القصة يجعلنا ندرك أن الزمن الذي ينتظم جميع الأفعال الواردة فيها في بنية العمق هو الزمن الماضي لأنها تحدثنا عن إهلاك قوم لوط ــ عليه السلام ــ، الذين فشت فيهم المنكرات و كثرت الموبقات، وأُشربت قلوبهم حب الفاحشة، فأوحى الله تعالى إلى لوط ــ عليه السلام ــ أن يدعوهم إلى عبادة الله وينهاهم عن اقتراف هذه الجرائم، فأذن فيهم بدعوته ولكن آذانهم صُمت، وعيونهم عميت وتمادوا في طغيانهم، وسوّلت لهم

[1] - الكشاق :1: 295.

نفوسهم الأمارة بالسوء أن يخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم. سأل لوط ــ عليه السلام ــ ربه أن ينصره على هؤلاء المعتدين ويعاقبهم على بغيهم وفجورهم، استجاب الله دعاءه وبعث ملائكته على هذه القرية الظالم أهلها، فعاجوا أولاً بدار إبراهيم عليه السلام، وأخبروه أنهم مرسلون إلى القوم الذين لم يستجيبوا لدعوة لوط، وسينزلون بهم عذاباً أليماً وبأساً شديداً جزاء ما اقترفوه من فجور. عظم حزن إبراهيم ــ عليه السلام ــ وأخذ يجادلهم في قوم لوط ويرجو تأخير البلاء أملاً في إنابتهم إلى الله[1].

إذن السياق الأصلي المفترض للآية يسير على النحو الأتي :

ذهب ماضٍ

جاءته ماضٍ

جادلنا ماضٍ

لكن الصورة الفعلية لهذه الأفعال في بنية السطح، تشير إلى حدوث عدول زمني في بنية الفعل الثالث (يجادلنا)

ذهب ماض

جاءته ماض

يجادلنا مضارع

يقول الزمخشري في سر هذا العدول: "يجادلنا هو جواب (لما) وإنما جيء به مضارعاً لحكاية الحال" [2]، فالغرض منه استحضار الصورة أمام المتلقي، وهي وظيفة حيوية يؤديها الفعل المضارع بما يحمل من حركية وتجدد وقدرة على رسم مجريات الأحداث. كما أن الفعل المضارع يقدم كيفية استشعار الراعي المسؤول لمسؤوليته تجاه رعيته حين يحس بالخطر يوشك أن يحدق بهم، لاسيما

[1] - محمد جاد المولي / قصص القرآن الكريم .- بيروت : دار المعرفة .- ط2 ،1998 : ص66-68.
[2] - الكشاف : 412/2.

حين يكون هذا المسؤول رسول الله وخليله. فالفعل (يجادلنا) رسم صورة انفعالية حادة عنصرها الفاعل سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ الذي ألجأه النبأ الفاجع الذي أنبأه به الملائكة عن عزمهم على إهلاك قوم لوط إلى الدخول معهم في جدلٍ عنيف وحوار ساخن.

إن المتلقي ليكاد يدرك ملامح هذه الصورة بعينيه وأذنيه وكأنه ينظر إلى الماضي فيتراءى له سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ وقد صدرت عنه إشارات الاعتراض وعبارات الرفض القلق لهذا القرار المفاجيء الذي ربما ذهب ضحيته أنصاره وأتباعه، بل وأقرباؤه وأهله " لأن سيدنا لوط هو ابن أخت سيدنا إبراهيم عليهما السلام" [1]. وهذه المحاولات التي يبذلها نبي الله إبراهيم ــ عليه السلام ــ في سبيل حماية رعيته وأقربائه لم تكن مجرد انفعال عابر، بل هي عاطفة مسيطرة، فهو لم يعترض مرة واحدة، بل ظل يحاول ويكرر المحاولة، ويقدم حجج هذا الاعتراض، وهذه الدلالة يمنحنا إياها الفعل المضارع بدلالته على التكرار والتجدد.

العدول عن صيغة المضارع إلى صيغة الماضي :

ذكر العلوي: " أن بناء الماضي والعدول إليه دال على مبالغة في الثبوت والاستقرار " [2]، فيكون التعبير بلفظ الماضي عن معنى المضارع؛ وذلك احتياطاً للمعنى فيجيء بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه، حتى كأن هذا قد وقع واستقر لا إنه متوقع مترقب[3]، وذلك أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له، ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ (هو د: ٩٧ــ ٩٨). لقد تحول السياق عن المضارع (يقدم) إلى الماضي (فأوردهم)، ولو جرى على مقتضى الظاهر لكان على النحو التالي : (سيقدم قومه يوم القيامة وسيوردهم النار) لأن الحديث عن زمن مستقبل هو يوم القيامة، والتحول إلى الماضي (فاوردهم) فيه دلالة على القطع والتأكيد بوقوع

[1] - الكشاف : 451/3.
[2] - العلوي / لطراز .- ج2: ص40.
[3] - ابن جني / الخصائص : ج3 ص 7.

الحدث وحصوله وصُدّر الفعل بحرف (الفاء) ليدل على سرعة الورود، لما في ذلك من التهديد والتخويف.

والتعبير بالفعل الماضي عن المستقبل هو أسلوب من البلاغة بمكان، يقول عنه ابن الأثير:" والإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل فائدته أن الماضى إذ أُخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل و إيجاده لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد وأنما يفعل ذلك إذ كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها" [1]. ومن شواهد ذلك من غير القصص قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل: 87). فقد تحول السياق القرآني من المضارع (ينفخ) إلى الماضي (ففزع) للإشعار بتحقيق الفزع وأنه كائن لا محالة لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به [2].

وكما يفيد العدول عن الماضي إلى المضارع استحضار صورة من الماضي السحيق، فإن العدول عن المضارع إلى الماضي، يفيد استحضار الصورة من المستقبل البعيد، إلا أن الأول استرجاع للزمن والثاني استباق للزمن لإفادة تحقق وقوع الحدث. ونلحظ أن هذا التحول إلى الماضي، يخبر عن نتائج محققة لأحداث سابقة لها تحمل طابع الدهشة والمفاجاة، ففزع من في السموات والأرض حدث مفاجيء مترتب على النفخ في الصور وكذلك ورود فرعون وقومه النار يعقب مشهد تقدمه لهم إلى ساحة الحشر بذلة وصغار. وغالباً ما يرد هذا النوع في مشاهد البعث والقيامة والحشر لتأكد تحققها وحصولها.

ومن نماذج هذا العدول في القصص القرآني قوله تعالى حكاية عن خبر سيدنا سليمان ــ عليه السلام ــ مع الهدهد : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ

[1] - المثل السائر : 185/2 .
[2] - المصدر السابق : الصفحة 185.

امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (النمل: ٢٢ – ٢٣). تأتي بنية العدول في الآية الكريمة في سياق خطاب الهدهد لسيدنا سليمان ــ عليه السلام ــ وهو يقدم له مبررات تأخره وتغيبه عن معسكر الطيور التي احتشدت لاستقباله، ولما كانت عقوبة التخلف صارمة قال تعالى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (النمل: ٢٠ ــ٢١) فقد كان من حسن حظ الهدهد أن يجد مبرراً لتغيبه، بما أخبره به عن ملكة سبأ وعظمة ملكها ومظاهر أبهتها. ومن المعلومات المثيرة أن الذي يحكم مملكة سبأ امرأة، وأن هذه المرأة قد أوتيت من كل شئ، وهذا من الغرابة والإثارة بمكان في ذلك الزمان. والسر في العدول من المضارع (تملكهم) إلى الماضي (أوتيت) لغرض إعادة ترتيب الأحداث زمنياً لأن فعل الإتيان سابق على فعل (التملك) وهذا يعني أن أهلية هذه المرأة للتملك كانت مبنية على أسس و مؤهلات[1].

وقد يكون العدول من المضارع بقرينة لفظية للدلالة على الثقة بوقوعه كقول الطرماح بن حكيم :

وإني لآتيكم تَشَكُّر ما مضى * من الأمرِ واستيجاب مَا كان في غد** [2]

أي ما يكون ، وذكر ابن جني أن عذره فيه أنه جاء بلفظ الواجب تحقيقاً له وثقة بوقوعه، أي أن الجميل منكم واقع متى أُريد وواجب مني متى طُلِبَ [3]. وقد عزز تأكيد المعنى وتقويته بـــ(إنَّ واللام). لا شك أن مثل هذا العدول يجيء لغرض بلاغي وأسلوبي دلالي ينتج عنه توليد قواعد نادرة ومخالفة، ويمكن أن يكون توسعاً في القاعدة الأم، أو قد يكون أنزياحاً وخرقاً للقواعد كما يرى الأسلوبيون.

---

[1] - الألوسي : روح المعانى : 195/19

[2] - الطرماح بن حكيم ، الديوان ، تحقيق د. عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت ط2 1994م ص 126.

[3] - ابن جني الخصائص ج3 س. ص 335 .

العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة الأمر:

من المعهود أن تُعْطَف الجملة الخبرية على مثيلتها وكذلك الإنشائية، وهذا من مواضع الوصل للتوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع[1]، نحو قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (يونس 31) وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف 31). فإذا جاء التركيب مخالفاً لهذه القاعدة عُدَّ خروجاً عن الأصل، ولا يكون ذلك إلا لتحقيق أغراض بلاغية، تعرف من السياق، قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾(البقرة: ٢٤٢ – ٢٤٣) . اختلفت الروايات حول قصة هؤلاء الألوف، فقيل إنهم قوم فروا من بلدهم هرباً من الطاعون، فأماتهم الله ثم أحياهم؛ ليعتبروا وليعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه. وقيل إنهم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذراً من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم.

يقول الزمخشري :" فإن قلت ما معنى قوله (فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا) قلت معناه (فأماتهم) وإنما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة، وكانهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالاً من غير إباء ولا توقف" [2]. فالغرض البلاغي هو التشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وأن الموت أذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون في سبيل الله ،والتذكر بأن الحذر لا يؤخر الأجل وأن الجبان قد يلقى حتفه مظنة النجاة.

ومن دلالات هذا العدول الدلالة على سرعة تحقيق الحدث وحصوله ومن ذلك قوله تعالى مخاطباً بني إسرائيل : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ

[1] - عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح مكتبة الآداب ومطبعتها ، القاهرة 1999م ج2 ص 85.
[2] - الزمخشري : الكشاف : 1 : 378 .

اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (البقرة: ٦٤ – ٦٥). نجد السياق كله يدل على أن الأحداث قد حدثت في الماضي بقرائن لفظية (لقد علمتم ــ اعتدوا ــ فقلنا) ولكن تحول السياق إلى الأمر (كونوا قِردة) لأن في صيغة الأمر شداً للانتباه مما جعل الأمر مركزاً على بؤرة الحدث المهمة وهي تحول ذواتهم إلى قِردة خاسئين، وفيه دلالة على سرعة تحقق الحدث وحصوله مستمدا ذلك من قدرة الآمر عز وجل قال تعالى:﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهو الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (يس: ٨١ – ٨٢). وكأن ذواتهم قد انفعلت بهذا الأمر، واستجابت له فأصبحوا قردة، ففي الأمر دلالة على قوة إيقاع الحدث وتحققه لا تكون في الماضي فيما لو كان السياق على نحو: (فجعلناهم قردة خاسئين) لأن الأمر يدل على شدة غضب الجبار عليهم وصدور الأمر منه على وجه السرعة والجبروت.

ومنه قوله تعالى:﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ * وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾: (البقرة ١٢٤ ــ ١٢٥). تمثل صيغة الأمر (اتخذوا) عنصراً عدولياً في هذه البنية الوصفية التي تستوعب أحداثاً وقعت في الزمان الماضي " وإذ ابتلى إبراهيم ربه ــ وإذ جعلنا البيت ــ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل..." ويبدو أن البنية العميقة للآية شهدت إقصاءً لفعل ماضٍ كان لصيقاً بفعل الأمر، وتقديره (وقلنا). يقول الزمخشري :" (واتخذوا) على إرادة القول أي : وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه" [1].

[1] - الزمخشري :الكشاف : 1 : 185.

ويرى الإمام السيوطي أن العدول في هذه الآية من الأمر (اتخذوا) إلى الماضي (عهدنا)[1]، ولكن هذا غير متحقق لأن الضمير في المنتقل إليه ليس هو في المنتقل عنه لأن الأمر (اتخذوا) لعموم المسلمين في حين أن صيغة الماضي قصد بها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام [2].

العدول من صيغة المضارع إلى صيغة الأمر :

يُعْدَل عن المضارع إلى الأمر للدلالة على اختلاف الفعلين في المعنى، و من ذلك قوله تعالى في قصة عناد قوم سيدنا هود ــ عليه السلام ــ واستكبارهم : ﴿قَالُوا يَا هو دُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾هود: (٥٣ ــ ٥٤). تُجلي هذه الآية جانباً من عناد قوم هود ــ عليه السلام ــ في عبادتهم للأصنام التي اتخذوها آلهة، يتوجهو ن إليها بالشكر كلما وقعوا على خير، ويستنصرونها كلما أصابهم ضير ، فدعاهم هود ــ عليه السلام ــ إلى عبادة الله الذي منحهم خيرات جليلة، وآتاهم مالم يؤت أحداً من العالمين . فأعرضوا واتهموه بالسفه وقالوا له: لاشك أن واحداً من آلهتنا قد مسك بسوء فخولطت في عقلك فأصبحت تهزي بكلمات لا حقيقة لها، فقال: إني أُشهد الله أني قد بلغت واشهدوا أني بريء ...

بدأت الصياغة في الآية الكريمة بصيغة المضارع (أشهد) حين ذكر لفظ الجلالة، لإفادة أن إشهاد الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت، ووسيلة لتثبيت دعائم اليقين وشد معاقد التوحيد. ثم تتباعد المواقف و تتسع الهوة بين الطرفين فيكون الانتقال إلى صيغة الأمر (واشهدوا) التي تستلزم طرفين: آمر مطاع مهيب (هود) ــ عليه السلام ــ ، ومأمور ضعيف مهين (قومه)[3] وأفاد الانتقال إلى صيغة الأمر حدوث الجفاء التام والتهاون بدينهم وآلهتهم المزعومة ومعتقداتهم الباطلة. وفي ذلك يقول الزمخشري :" إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وأما

[1] - السيوطي : الإتقان : 2/ 86.
[2] - انظر : تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص 327.
[3] - تحولات البنية في البلاغة العربية : ص326.

إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ..... فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة تهكماً واستهانة "[1]، وهناك غرض بلاغى آخر لصيغة الأمر (اشهدوا) لأن في أمرهم أن يشهدوا ببراءته من دينهم ضرباً من التحدي المغيظ.

ونجد أن الزمخشري يخرج قوله تعالى:﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (مريم٤٥ ــ ٤٦) يخرجهم من هذا الباب، فمنع عطف، (واهجرني) على (لأرجمنّك) لأن المعنى مختلف فهو معطوف على محذوف يدل عليه (لأرجمنك) أي: (فاحذرني واهجرني) لأن لأرجمنك تهديد وتقريع [2].

ونرى أن مثل هذا العدول يتم لغرض بلاغي، تخرج فيه اللغة عن قواعد النحو المعياري، فتتولد قواعد إضافية تعّبر عن أوضاع دلالية جديدة، لا يتوصل إليها إلا بمثل هذا العدول. كما رأينا التهكم والتقريع في آية سورة هو د والتهديد والتقريع في آية سورة مريم

العدول عن صيغة الأمر إلى صيغة المضارع :

ومن دلالات العدول هذا المبالغة في الطلب للتنبيه على سرعة الامتثال، وقد حوى القرآن الكريم بعضاً من هذه الدلالات فعندما علق الزمخشري على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (البقرة: ٨٢ ــ ٨٣). قال (لا تعبدون) إخبار في معنى النهي ، أي: (لا تعبدوا) إلا الله؛ فجاء التكليف بصيغة الخبر وبعبارة الفعل المضارع للإشعار بلزوم فورية الامتثال، كما تقول: تذهب إلى فلان وتقول له كذا، تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي، لأنه كأنه سُورع إلى الامتثال والانتهاء، فهو يخبر عنه [3].

[1] - الزمخشري: الكشاف : 2 : 221.
[2] - نفسه 3: 21.
[3] - الزمخشري : الكشاف :1: 159.

العدول عن صيغة الأمر إلى صيغة الماضي :

هنالك كثير من التراكيب قد تبدو للوهلة الأولى خبرية في بنيتها السطحية، لكنها تحمل في معناها العميق معنى إنشائياً يقتضيه ظاهر المقام، فيعطي التركيب الخبري دلالة ومعنى لا يتوافران في التركيب الانشائي لو صُرِّحَ به، ولهذا يعدل المتكلم في حديثه أو خطابه عن الإنشاء إلى الخبر، لدلالة يرمي منها عن قصد إلى تحقيق أمرها. ومن أهم الدلالات التي تفرزها ظاهرة العدول عن الأمر إلى الماضي ــ أي إنزال الإنشاء منزلة الخبر ــ التفاؤل بوقوع الطلب وإظهار الحرص (الرغبة) في وقوع الطلب، كقولنا حين نذكر الرسول الكريم نقول:(صلى الله عليه وسلم) أي : صلِّ وسلِّم [1]. ولكننى لم أعثر على آية من قصص القرآن تنطبق عليها هذه الصورة من صور العدول.

ونلحظ أن في قصص القرآن يكثر التعبير بالمضارع عن الماضي، للإخبار عن الامم السابقة وقصصها وقصص أنبيائها. وأن كثيراً من الآيات التي وردت فيها صور للعدول تكمن فيها أسرار بلاغية لا تظهر إلا بتأمل وتدبر، وقد حثنا الكتاب الكريم على التدبر في آياته والنظر في مكنونه للوصول إلى ما أودع فيه من أسرار .

[1] - انظر السكاكي : مفتاح العلوم 324.

المبحث الثاني

العدول عن صيغة فعلية إلى أخرى

مدخــل :

يقصد بهذا النوع من العدول تجلية اللفظة المفردة في سياقها الاصيل، فقد استخدم القرآن الكريم ألفاظه وتراكيبه استخداماً ينم عن أسرار إعجازه. إن للقرآن الكريم طريقته في اختيار الفاظه وربطها وتأليفها وتنظيمها فاذا غيرنا هذا النظام الدقيق تغير المعنى . ومن صور هذا الاختيار ما نلحظه في استخدام الذكر الحكيم لصيغ الأفعال، بين التجرد والزيادة أو صيغتين مزيدتين مختلفتين في الوزن، أو فعلين مختلفين في الصيغة ومتقاربين في الدلالة ...الخ . وسنعرض في هذا المبحث لبعض النماذج لكل نوع من هذه الأنواع :ــ

أولاً : العدول من حيث التجرد والزيادة :

يختلف مدلول بنية الفعل باختلاف ما يطرأ عليها من مورفيمات زائدة، لواصق كانــت أو مقحمات، فصيغة (فعل) على سبيل المثال تختلف عن صيغة (أفعل) وهما يختلفان بدورهما عن (انفعل) و (تفاعل) و(فعّل) بالتشديد.

والفعل المجرد: هو ماكانت جميع حروفه أصلية لا يسقط واحد منها في أحد تصاريفه، نحو: (سَمِعَ) و(دَحْرَجَ) ويقابله الفعل المزيد.والمجرد نوعان الثلاثي المجرد والرباعي المجرد.

والفعل المزيد: هو كل فعل زيد على أحرفــه الأصلية حرف أو أكثر من أحرف الزيادة (سألتمونيها)[1]نحو أكرم، وشارك وانجذب ، واستخرج، وتدحرج، أو كُرِّرَ حرف من حروفــه الأصلية من دون أن يكون هذا الحرف من أحرف الزيادة. نحو (شرّب)[2].

الزيادة في الأفعال تؤدي معاني فرعية إلى جانب معناها وفي ذلك يقول: الزركشي " واعلم أن اللفظ إن كان على وزن من الأوزان تم نقله إلى وزن آخر أعلى منه فلا بد أن يتضمن من المعنى

[1] - راجي الأسمر : المعجم المفصل في علم الصرف ، راجعه د. إميل بديع يعقوب . دار الكتب العلمية . بيروت 1991م ص 325
[2] - المرجع نفسه :313

أكثر مما تضمنه أولاً لأن الألفاظ أدلة على المعاني ، فإذا زيدت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة" [1]

إن النظم الحكيم بأسلوبه المتفرد، يختار لكل بنية من المباني المختلفة المقام الذي يليق بها ويقتضي معناها الدقيق، فعندما يأتي بصيغة مثل (فعل) المجردة في موضع، ثم يأتي بصيغة (أفعل) الدالة على المعنى نفســـه في موضع آخر نجده يفرق بينهما في المقامات المختلفة وفق مدلول كل منهما . وسنقتصر هنا على تناول بعض النماذج المزيدة لصيغة (افتعل) على سبيل التمثيل ــ فقط ــ لظاهرة العدول بين المجرد والمزيد؛ لأنها من الصيغ التي يُسخِّر فيها التعبير القرآني الزيادة لتوليد دلالات تتفق وسياق الحال، فإن صيغة (افتعل) تدل في بعض معانيها كما يذكر الإستراباذي على الاجتهاد والاضطراب في تحصيل أصل الفعل[2] .

(صبر ـ اصطبر):

أتى لفظ (اصْطَبْر) في قوله تعالى في سورة مريم : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا * رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾(مريم: ٦٤ – ٦٥). وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه: ١٣٢). دالاً على الاجتهاد في أصل الفعل . فقد آثر النظم الحكيم أن يأتي بهذه الصيغة الدالة على الافتعال في هذين الموضعين، دون الصيغة المجردة (اصبر)؛ وذلك لأن المقام فيهما مقام حث على العبادة والمداومة عليها دون إخلال بها، أو تقصير فيها، وفي ذلك ما فيه من المشقة على النفس، إذ تأبى طبيعتها المداومة على الشيء، والاستمرار فيه على مدى عمرها، وهو ما استشرفه الألوسي بقوله في آية سورة طه :" (واصطبر عليها) أي: وداوم عليها فالصبر مجاز مرسل على المداومة لأنها لازم معناه، وفيه إشارة إلى أن العبادة في رعايتها حق الرعاية مشقة على

[1] - الزركشي : البرهان : 3 : 116.
[2] - الاستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب : 1 : 110.

النفس" [1]. وإذا خلا المقام من هذه الدلالة جاء بالصيغة المجردة التي لا تدل على هذا التكلف والاجتهاد، نحو ما نراه في قوله تعالى:﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الروم: ٥٩ ــ٦٠)، وقوله ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهو مَكْظُومٌ﴾ (القلم: ٤٧ ــ ٤٨) ، وقوله ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آَثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ (الإنسان:٢٣ ــ ٢٤). فالمقام فيها جميعاً مقام حث للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على الصبر في أمر الدعوة على الكافرين معرضاً عنهم متأسياً بمن قبله من الرسل فلم يكن في الاعتراض والتأسي ما في المداومة والمواظبة على العبادة من مشقة واجتهاد، لذا كانت الصيغة المجردة أنسب للمقام أو سياق الحال.

(غرف-اغترف):

ومن صور العدول إلى صيغة (افتعل) لفظة (اغترف) الواردة في سورة البقرة، في ثنايا آيات قصة الملك طالوت، الذي بعث إلى ملأ من بني إسرائيل بعد موسى : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آَيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آَلُ مُوسَى وَآَلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هو وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٨ – ٢٤٩). فقد عدل عن (غرف) إلى (اغترف) على وزن (افتعل)، للدلالة على حدوث الفعل من صاحبه بجد وإصرار وسعي، وذلك لأن الإنسان الظمآن يصعب عليه التحكم في كمية شربه وقت عطشه، لذا امتحن الله الجماعة من بني اسرائل بعد موسى ــ عليه السلام ــ بهذا الاختبار الصعب

[1] - الألوسي / روح المعاني : 16: 416.

عندما خرجوا للقتال مع طالوت، وكان الحر شديداً ، وطلبوا منه الماء، فما استطاع اجتيازه إلا قلة من أتباعه استجابوا لأمر الله.

فعدل إلى هذه الصيغة، للدلالة على قوة عزم المؤمنين من أتباع طالوت ولو جاء بصيغة (فعل) لدلت على حدوث الفعل فقط ولم تفد ما صاحب صيغة (افتعل) من دلالة إضافية توضح المعنى.

(تَبِع-اتّبع):

وتشير صيغتا (تَبِعَ) المجردة (واتّبَع) المزيدة إلى قيمة تعبيرية، يشير إليها الملحظ الدلالي المستفاد من اختلاف الوحدة الصرفية في الفعلين تبعاً لسياقهما، حيث وردت الصيغة الأولى في غواية الشيطان لأبينا آدم وزوجته وإخراجهما من الجنة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلى حِينٍ *فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هو التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة 36 ــ 38) .ووردت الثانية في القصة نفسها في سورة طه قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى* قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه 120ـــ 123) . وجاءت آية البقرة بلفظ (تَبِعَ) على وزن (فَعِل)، وجاءت آية طه بلفظ (اتّبَع) على وزن (افتعل)، وقد يكونان بمعنى واحد وهو ما تردد في قول سيبويه: " وقالوا: قرأتُ واقترأتُ يريدون شيئاً واحداً ... وكذلك قلع واقتلع وجذب واجتذب بمعنى واحد"[1]، وكان هذا التعليل اللغوي خليقاً بأن يجد لنفســه أثره في توجيه

[1] - سيبويه : الكتاب : 4 :74.

هاتين الصيغتين في سياقهما، فاستقى الراغب الأصفهاني وجهته الدلالية من كلام سيبويه، إذ " تَبِعه واتّبعــه قفا أثره بالارتسام والائتمار"[1]

ويكرر ابن منظور هذا الملحظ الدلالي لوجــه المناسبة بين المبنيين :" أتبعتُ القوم مثل أفعلتُ اذا كانوا قد سبقوك فلحقتَهم، واتّبعتُهم مثل: افتعلتُ اذا مرّوا بك فمضيتَ وتبِعتَهم تبعاً مثله، تبِعْتُ فلاناً واتّبعتُه وأتْبعتُه، سواء " [2]

ويستغل الكرماني السياق اللغوي لتأكيد هذا المعهود اللغوي لمبنى الصيغتين، فيرى أن ما جيء في سورة طه بلفظ (اتّبع) لموافقة قوله تعالى قبل ذلك (يتبعون الراعي) (طه 108) [3] . وأن آية سورة البقرة على الأصل، وأن السياق في آية سورة طه لما بني على التأكيد بقوله عز وجل : (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) (طه 115). ناسب أن تختص بالزيادة التي تفيد التأكيد، (اللام وقد) .

ويبدو أن لكل من الصيغتين تمايزاً عن الأخرى، لأن صيغة (تَبِعَ) للثلاثي وهو الأصل، وصيغة (اتّبع) للمزيد وهو الفرع . وزيادة المبنى تستلزم زيادة المعنى ــ كما ذكرنا ــ فإذا اشتركت الصيغتان في دلالتهما على الاتباع، فإن (تَبِعَ) تدل على الاتباع الذي لاتكلف فيــه ولا مشقــة، وأما (اتّبع) فإنها تنبيء عن تكلف ومشقة، وتحميل للنفس طاقة أخرى .

وقد أثر سياق الحال الوارد في القصة في صيغتي الفعلين، لأن سورة البقرة لم يذكر فيها من كيد إبليس كما ذكر في سورة طه فلم يرد في البقرة من كيد إبليس إلا قوله تعالى:(فأزلهما الشيطان عنها) (البقرة 36). من غير تفصيل وبيان لهذا الإضلال والإغواء، فكانت المناسبة الدلالية لمعنى(تَبِعَ) التي تعني مجرد الاتِّباع من غير تحمّل ولا تكلّف ولا مشقة. وأما في سورة (طــه)

[1] ـ الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داروني – دار العلم ـ دمشق ـ الدار الشامية ـ بيروت ط 3 : 1423هـ ص 72.
[2] ـ ابن منظور : لسان العرب ، مادة (ت ب ع).
[3] ـ محمود بن حمزة الكرماني ـ البرهان في متشابه القرآن ،تحقيق محمد عز الدين عبد الله ـ دار الوفاء . المنصورة مصر ط 2 : 1418هـ ج1 ص 115.

فكان التفصيل، حيث ذكر كيفية الإغواء في قول الله عز وجل: " هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى" (طه 120). وذكر فيها قوة اللعين وإحكام قبضته وحيلته حتى احتنك كثيراً من البشر وأخلهم عن الصراط المستقيم ومن ثم أصبح تمييز الحق لايكون إلا بتحمّل ومشقة، لذا ناسب (اتّبع). وجاء كلٌ على ما يناسب معنى ونظماً، وإيجازاً وإطالة، مراعاة لسياق الحال في الآيات محل القصة القرآنية [1].

ويعتمد السامراني سياق الحال لإظهار الفرق بين صيغتي الفعل في مقامها فقصة آدم ــ عليه السلام ــ في (سورة البقرة) مبنية على تكريمــه وتشريفــه، حيث ذكر فيها استخلاف آدم ــ عليه السلام ــ في الأرض وتفضيله على الملائكة بتعليمه الأسماء كلها وجهل الملائكة بها، وكذلك تكريمه بسجود الملائكة له " فاكتفى في سورة البقرة بالصيغة الأخف مبنى (تَبِعَ)، ولم يشدد على بني آدم تخفيفاً عليهم مراعاة لمقام التكريم والتشريف، وأما في سياق آية سورة طه جاء (اتّبَعَ) بالتشديد لإفادة المبالغة" [2].

ويربط السامرائي بين سياق الحال والسياق اللغوي حيث جاء في أول البقرة قوله تعالى:" قلنا اهبطوا فالفعل (قلنا) أُسند إلى الله تعالى فناسبه التخفيف الذي يفيد تلطف المولى سبحانه بعباده فجيء بالفعل (تبع) كما أن الفعل (تبع) تردد في سورة البقرة أكثر من أى سورة أخرى فكان ذلك مناسباً لمجيئه هنا". [3]

وبالجملة فإن سياق الكلام هو الذي يعين المتلقي على فهم سر المغايرة بين الأبنية الفعلية بحسب ما يمليه منطق التعبير، وتظهر قيمة التحول في الأسلوب باستخدام صيغة بدل أخرى لاستشراف قيم دلالية، وهي تكثيف دلالة التركيب بتعدّدها واختلافها من متلقٍ إلى آخر، ومن مقام إلى آخر؛ لإبراز سر بلاغي ربما لا يتضح تمام الوضوح بصيغة واحدة .

---

[1] - أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتأويل، تحقيق محمود كامل دار النهضة العربية بيروت 1405 هـ ج 1 : 193.

[2] - فاضل السامرائي . التعبير القرآني دار عمار الأردن ، ط4 2006م 276.

[3] - المرجع نفسه ص 276.

إن مثل هذه الصور من العدول يشدّ ذهن المتلقي ويلفت انتباهه تفكيراً وبحثاً عن أسراره وأغراضه، حتى يصل إلى الغاية الفنية للسياق ومن ثم الغاية الدينية والتربوية للقصة القرآنية لأنها ــ كما ذكرنا ــ لم ترد لمجرد الإمتاع، وإنما لغايات كثيرة، أهمها تهيئة النفوس والعقول لتقبل ما تتضمنه من حكم ومواعظ وعبر ولما ترغّبها فيها من مثل عليا وقيم.

ثانياً : العدول بين صيغتين مزيدتين

ومن ألوان بلاغة هذا الكتاب المبارك، ووجوه إعجازه، ورود الأبنية المتماثلة بدلالات مختلفة وفقاً للسياق وذلك ــ مثلاً ــ في بناءين متفقين في الأصل ومختلفين في الصيغة، مثل فعّل ، وأفعل كـــ (وصّى، وأوصى . ونزّل ، وأنزل ....الخ) فنحن نجد أن كل صيغة قد وردت في الذكر الحكيم بمعنى مغاير للأخرى وفقاً للمقام.

إن مثل هذا التحول في الصيغ في السياق القرآني، أو العدول من صيغة إلى أخرى يُعَد مدخلاً من مداخل التحليل اللغوي للنص، للوصول إلى المضمون أو الغاية الدلالية من تشاكل الألفاظ وهو ــ كما يقول ابن الأثير :" لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارها، وفتش عن دفائنها ولا نجد ذلك في كل كلام، لأنه من أشكل ضروب علم البيان وأدقها وأعمقها طريقاً " [1].

والبحث في دلالة الأبنية المتماثلة بحث في التنوع الأسلوبي، فالمغايرة بين الألفاظ ظاهرة أسلوبية خاضعة للسياق، ومتى كان المقام مقتضياً للمغايرة، ومراوحة الأسلوب بين صيغة وصيغة وجدنا النظم القرآني منسجماً مع هذا التغاير، والمخالفة التي تتمثل في اللغة الفنية عامة وفي لغة القرآن الكريم خاصة لنكت بلاغية وأسرار بيانية يفتقدها السياق لو لم تكن تلك المخالفة.

[1] - المثل السائر : 2: 24.

ومن صور العدول بين الصيغ الفعلية ذات الأصل الواحد، استخدام التعبير القرآني للصيغتين(فعّل وأفعل) في :

(نجّى ، أنجى)

المعلوم أن (فعّل) تفيد التكثير والمبالغة ــ غالباً ــ[1] .ومن مقتضيات التكثير والمبالغة في الحدث استغراق وقت أطول، وأنه يفيد تلبثاً أو مكثاً . وعلى وفق هذه الدلالة وردت الصيغتان متغايرتين في القرآن الكريم، فإنه كثيراً ما يستعمل(نجّى) للتمهل في التنجية، ويستعمل (أنجى) للإسراع فيها ويتجلى ذلك على سبيل المثال في قصص القرآن في قوله تعالى ــ في سياق تذكير بني إسرائيل بنعمه عزّ وجلّ عليهم ــ :﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة 49ــ 50). فقد استعملت الآية الأولى (نجّى) والثانية (أنجى) والمعنى اللغوي الذي تؤديه اللفظتان واحد وهو تخليص الإنسان مما يهدده من أخطار [2] ، ولكن يبقى بعد ذلك أن لكل منهماخصوصيتها في تأدية هذا المعنى، وكما ذكرنا فإن الفرق بين (فعّل) و(أفعل) هو أن الأولى تنفرد دون الثانية بالدلالة على تكثير المعنى وتأكيده والمبالغة في إثباته، وهذا الفارق هو سر العدول عن (نجّى) إلى(أنجى) في الآيتين السابقتين .

فنحن نلحظ أن التخليص المدلول عليه بفعل التنجية (نجّى)، كان من شرور آل فرعون التي تعددت، فشملت بني اسرائيل في ذواتهم تعذيباً، وفي أبنائهم تذبيحاً، وفي نسائهم استحياءً، وأما التخليص بفعل الإنجاء (أنجى) في الآية الثانية، فقد كان فقط من خطر الغرق والنجاة من البحر، التي لم تستغرق وقتاً طويلاً ، ولا مكثاً . وقد ذهب إلى هذا المعنى أبو السعود بقوله :"أنجيناكم: أي من الغرق بإخراجكم إلى الساحل كما يُلوِّح به العدول إلى الإفعال بعد إيراد التخليص من فرعون بصيغة

[1] - الإستراباذي : الشافية : 1: 92.
[2] لسان العرب مادة (ن ج و)

التفعيل"[1]. فهو هنا يشير ضمناً إلى أن (أنجى) (أفعل) الذي مصدره (الإفعال) . إلا أن كلا من الزمخشري والقرطبي جعل الصيغتين بمعنى واحد ، " ... أنْجيتُ غيري ونجّيته ، وقرئ بهما" [2] .

وبملحظ للفارق بين دلالتي الصيغتين كذلك ورد العدول في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس 103). وفي قوله تعالى في قصة سيدنا يونس ــ عليه السلام ــ: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء 87 ــ 88) . فعلى هذا الأساس كان التحول عن الصيغتين المشددتين إلى المخففة، فكل منهما تفيد معية الله عز وجل للمؤمنين به في كل زمان ومكان، وتكفله بتخليصهم من كل ما يتهددهم من أخطار " غير أن في إيثار الصيغة المشددة مع الرسل والمؤمنين من معاصريهم ما يضفي فضل تأكيد على تحقق ذلك لهم مصداقاً لقوله تعالى:(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (غافر 51) " [3]. وعلى هذا فإن إيثار تلك الصيغة مع هؤلاء يكون دافعاً للدعاة ومطمئناً لقلوبهم في كل العصور وتثبيتاً لهم في مواجهة ما يعانون في سبيل الدعوة من عنت المتعنتين وكيد الكائدين.

(نبّأ ـ أنبأ)

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (التحريم: ٣) ، فقد عدلت الآية الكريمة عن (أنبأ) إلى(نبّأ)، ونبّأته أبلغ من أنبأته، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (التحريم: ٣) ولم يقل (أنبأني)، بل عدل إلى نبَأني الذي هو أبلغ تنبيهاً على

[1] - إرشاد العقل السليم : 1: 101.
[2] - أنظر : الكشّاف :1: 279 والجامع لأحكام القرآن 1: 264.
[3] - حسن طبل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية 68 ص .

تحقيقه، وكونه من قبل الله.[1] ومن المعلوم أن صيغة (فعّل) بالتشديد تفيد معنى المبالغة والتأكيد دون صيغة (أفعل) .

ولقد سيقت الآية الكريمة لبيان سماحة مسلكه ــ عليه الصلاة والسلام ــ في عتاب إحدى أزواجه وهي حفصة ــ رضي الله عنها ــ على إفشائها سراً قد أستكتمها إياه، إذ أنه بعد علمه، ــ بطريق الوحي ــ بحقيقة ما حدث من تلك الزوج تفصيلاً، لم يظهر علمه إلا بجانب منه، إذ(عرّف بعضه وأعرض عن بعض)، غير أنها ــ رضوان الله ــ عليها لم تدرك ذلك في بدء عتابها على هذا الإفشاء. وهذا ما يوحي به العدول الأول في الآية (نبّأها به ــ أنبأك) " فاذا كانت الصيغة الأولى المشددة تدل على علمه اليقيني ــ عليه الصلاة والسلام ــ لما أعلنه عتاباً، وما أخفاه سماحةً وترفقاً، فإن الصيغة الثانية تدل على أن تفكيرها آنذاك كان محصوراً في هذا الجانب المعلن الذي تساءلت عمن يكون وراء إنبائه به، فالبشر لا يتجاوز علمهم ظواهر الأمور، ومن ثم كان في العودة إلى الصيغة المشددة مرة أخرى على لسانه ــ صلى الله عليه وسلم ــ (أنبأك – نبّأني) لفتاً لها إلى ما غفلت عن إدراكه ــ رضي الله عنها ــ في بداية العتاب" [2].

وفي حذف المفعول الثاني بعد الصيغة الأولى (أنبأك هذا)، من الصيغة الثانية، (نبّأني) ما يدعم دلالة العدول عن الأولى إلى الثانية فهو يدل على أن (مانبّأه) به المولى عزوجل في هذا الموقف تتسع دائرته و تتجاوز هذا الذي سألته زوجه عمّن أنبأه به .

(وصَّى ـ أوصى)

كل ما ورد في القرآن الكريم من { وصَّى } بالتشديد فهو في الدين والأمور المعنوية، وكل ما ورد من { أوصى } فهو في الأمور المادية ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة 131ــ 132) .

[1] - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي / بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ؛ تحقيق عبد العليم الطحاوي .- بيروت : المكتبة العلمية .- ج5 ، د.ت ، ص 14-15.
[2] - حسن طبل / أسلوب الالتفات فى البلاغة القرآنية ، ص3.

وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (الشوري 13) وقال:﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ (النساء :131). في حين قال الله تعالى:﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١١).

ولم ترد (أوصى) في القرآن الكريم للأمور المعنوية إلا في موطن واحد، اقترنت فيه بأمر مادي، وذلك في قصة سيدنا عيسى ــ عليه السلام ــ عندما كلّم الناس وهو في المهد صبيا، قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (مريم: ٢٩ ــ ٣١) . ويرد السامرائي أن السّر في هذا العدول إلى الفعل (أوصاني) لاقتران الصلاة ــ الأمر المعنوي ــ بالزكاة وهى أمر مادي [1].

وقد عزا ابن الأثير استعمال مثل هذه الألفاظ كل في سياقه إلى مراعاة السبك "ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن واحد وعدة واحدة إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه بل يفرق بينهما في مواضع

[1] - السامرائي / التعبير القرآني ، ص15- 16 .

السبك" [1]. فالسبك هو الذي يحدد مناط التوظيف لكل مفردة، وهذا السبك لا يدرك إلا بالذوق السليم والفطرة البلاغية.

ومن صور العدول بين صيغتين مزيدتين متفقتين في الأصل :

(تسطع ـ تستطع)

أخبرنا الله تعالى في قصة موسى والعبد الصالح ــ عليهما السلام ــ عن ثلاثة أفعال غريبة قام بها العبد الصالح أثارت استنكار موسى ــ عليه السلام ــ واعتراضه، والأفعال هي: " خرق العبد الصالح للسفينة، وقتله للغلام، وبناؤه للجدار" ، وقبل أن يفارق العبد الصالح موسى ــ عليهما السلام ــ بيّن له علل الأفعال الثلاثة، فعرف موسى أن العبد الصالح على صواب فيما فعل . وقبل أن يؤوّل العبد الصالح لموسى الأفعال الثلاثة قال له: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٧٨). ولما أوّل له حقيقة أفعاله قال له: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف:٨٢)

لقد أُثبتت التاء في فعل (تستطع) في المرة الأولى، وحذفت من الفعل نفسه في المرة الثانية، ما لم (تسطع) لأن إثباتها في المرة الأولى يتناسب مع السياق، فقد شاهد موسى ــ عليه السلام ــ ثلاثة أفعال مثيرة للعبد الصالح ، ووقع في حيرة وهو يحاول تفسيرها وكأنه صار في هم نفسي وشعوري ثقيل، وصار في شوق كبير لمعرفة علة وحكمة تلك الأفعال الثلاثة المثيرة. فكان المقام مقام شرح وإيضاح وتبيين، فلم يحذف من الفعل، وقد راعى السياق القرآني المعجز الثقل النفسي الذى يعيشه موسى ــ عليه السلام ــ فأثبت التاء في فعل (تستطيع) وبذلك تناسب ثقل الهم النفسي عند موسى ــ عليه السلام ــ مع الثقل البنائي في حروف الفعل المكون من خمسة أحرف [2]

[1] - ابن الأثير / المثل السائر ج1 : 150.
[2] - صالح بن حسين العايد / نظرات لغوية في القرآن الكريم ، دار أشبيليا للنشر والتوزيع ، الرياض ط2 2002م ، ص222.

وحذف التاء من الفعل في المرة الثانية (تسطع) أدى إلى تخفيف الفعل حيث صارت حروفه أربعة، وهذا التخفيف في الفعل يناسب التخفيف في مشاعر موسى ــ عليه السلا م ــ وزوال الهم والثقل الذي يفكر فيه. فقد عرف موسى أن العبد الصالح على صواب في أفعاله الثلاثة المثيرة، بعد ما بيّن العبد الصالح حكمتها وبذلك أطمأن موسى ــ عليه السلام ــ وارتاحت مشاعره وشعر بانشراح صدر وهدوء نفس. وقد راعى السياق القرآني المعجز هذه الراحة النفسية فحذف من الفعل التاء الثانية تخفيفاً له؛ لتناسب الخفة في المشاعر والأعصاب مع الخفة في حروف الفعل، وبذلك يمكن أن تسمى هذه التاء في (تسطع) تاء الخفة[1].

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الصيغتين بمعنى واحد وأن حذف التاء جاء للتخفيف لقرب مخرجها من مخرج الطاء[2] .

ويرى حسن طبل، أن لكل من الصيغتين إيحاءها الخاص في أداء المعنى وهو سر إيثار كل منهما في موقعها من نسق الآية، فكل منهما في سياق النفي يعني العجز ــ وتعني هنا عجز موسى ــ عليه السلام ــ عن الصبر ــ الذي وعد به من قبل ــ عن سؤال العبد الصالح كي يفسر له ما قام به من أحداث عجيبة (خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار)، ولعل في إيثار الصيغة الأولى قبل تأويل العبد الصالح لتلك الأحداث، وإيثار الثانية بعد هذا التأويل ما يوضح الفارق بين الصيغتين.

لقد كان موسى ــ عليه السلام ــ يظن قبل التأويل ــ أنه إزاء سلوك بشري محض في إمكانه أن يدرك مرماه، وفي استطاعته أن يصبر ــ إن لم يدرك ــ عن السؤال، أما بعد التأويل وبعد أن بيَّن العبد الصالح الحكمة الإلهية الباعثة على كل منها (وما فعلته عن أمري)، فقد أيقن موسى ــ عليه السلام ــ أنه كان عاجزاً تماماً عن استكناه تلك الحِكَمْ . ومن هنا كان العدول عن صيغة (لم تستطع) التي تعني (عجز المحاولة) عند تعلقه ــ عليه السلام ــ بظواهر تلك الأحداث، إلى صيغة

[1] - صلاح عبد الفتاح الخالدي / إعجاز القرآن البياني .- عمان : دار عمار، 2000م، ص244.
[2] - انظر الكشاف : 2: 402 ، وإرشاد العقل السليم : 5 246.

(لم تسطع) التي تعني(عجز التسليم) عند إطلاعه على ما يكمن خلف تلك الظواهر من خفايا وأسرار[1].

(اسطاعوا ـ استطاعوا)

ومن هذا الباب ــ إثبات التاء في فعل للثقل، وحذفها من فعل آخر للخفة ــ ما جاء في السورة نفسها ــ سورة الكهف ــ في حديث القرآن الكريم عن السد الذي بناه ذو القرنين للوقوف أمام هجمات يأجوج ومأجوج حيث بنى السد من قطع الحديد والنحاس المصهور ، قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الكهف: ٩٤ – ٩٧) .

لما شاهد يأجوج ومأجوج السد أمامهم حاولوا أن يتسلقوه فلم يستطيعوا، وحاولوا أن ينقضوه فلم يستطيعوا أيضاً: (فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) (الكهف: ٩٧) ومعنى (يظهروه): يتسلقوه ويصعدوا عليه. ومعنى (نقبا) : نقضه بالحفر. فحذفت التاء من الفعل في الجملة الأولى ليتناسق ذلك مع المعنى؛ لأن معنى الجملة عدم استطاعة يأجوج ومأجوج تسلق سد ذي القرنين والظهور والصعود عليه، وبما أنه مبني من الحديد والنحاس فهو أملس خال من المقابض والنتوءات للإمساك بها ولذلك يتعذر تسلقه .

وأن تسلق السد يحتاج إلى(خفة) ورشاقة ولذلك حذفت التاء من (اسطاعوا)، ليناسب ذلك خفة تسلق السد[2] . والمعلوم أن التعبير القرآني لا يحذف من كلمة اعتباطاً فهو تعبير فني مقصود. كل حرف فيه إنما وضع لغرض وقصد .

[1] - حسن طبل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية : ص 66.
[2] - السامرائي / التعبير القرآني ، ص 75 .

" والفعل في الجملة الثانية(وما استطاعوا له نقبا) جاء بإثبات التاء ليتناسب مع المعنى، فالجملة تنفي قدرة ياجوج ومأجوج على نقض ونقب السد؛ لأنه يحتاج إلى جهدٍ وكدّ، ويتحمل الإنسان فيه كثيراً من المشقة والثقل، ويستخدم أدوات مادية ثقيلة، ولهذه الأثقال المادية والنفسية ... جاء الفعل (استطاعوا) بالتاء مساهماً فيها، مشاركاً بتثقيل إيقاعه وتركيبه عن طريق زيادة حروفه" [1] .

ويرى حسن طبل، أن العجز في (وما استطاعوا) هو العجز عن الشيء بعد التعلق به وتكلف محاولته وبذل الجهد في سبيل تحقيقه، أما العجز في (فما اسطاعوا) فهو العجز المؤيس الذي يصرف النفس كلية عن التعلق بالمراد، لأن السد ــ كما ذكرنا ــ غاية في الارتفاع وهو بين جبلين و غاية في المنعة ، فبذلك يكون هنالك يأس من محاولة تسلقه [2] .

ومن شواهد ذلك في الشعر العربى قول عباس بن الأحنف :

أشكو إليكِ الذي بي يا مُعَذِّبَتِي * وما أُقاسي وما أسطيعُ أن أصِفَا** [3]

وقول عبيد بن الأبرص :

كَأنَّ صَبا جاءتْ بريحٍ لَطِيمةٍ * من المسكِ لا تُسْطَاعُ بالثمنِ الغَالِي** [4]

فقد عبر كل من الشاعرين عن مراده بالفعل المحذوف منه التاء، وهو إبانة العجز التام وعدم الاستطاعة، أما وصف ما يقاسيه الأول أو شراء ما يضاهي المسك عند الثاني.

وهكذا نرى ما لبنية اللفظ في النظم القرآني من أثر فعّال في المعنى وصلة وثيقة بالسياق، إذ يحرص على توظيف الطاقات الإيحائية لمدلول تلك البنية في المقام الملائم لها، مراعياً ما يتطلبه هذا المقام مما تدل عليه بدقة بالغة .

وقد ألمح الجاحظ إلى خصوصية دلالة اللفظة القرآنية " وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله ــ تبارك وتعالى ــ لم يذكر في القرآن الجوع إلا في

---

[1] - المرجع نفسه ص 75

[2] - حسن طبل / أسلوب الالتفات في البلاغة العربية .-ص65.

[3] - عباس بن الأحنف / الديوان .-بيرون : دار بيروت ، 1982م ، ص206.

[4] - عبيد بن الأبرص / الديوان ؛ تحقيق و شرح حسين الصبار .-مصر : مطبعة مصطفى الحلبي ،1982.-ص112.

موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة "[1] .

إذا تدبرنا آيات الذكر الحكيم نلحظ تنوعاً في استخدامه للأفعال المتقاربة في المعنى، في سياقين متشابهين، وذلك أن الكلمة هي الأصل الذي يدور عليه المعنى، واختيار المفردات في القرآن من أسرار إعجازه ومن عجائبه التي لا تنفد، لذلك نجد كل كلمة في القرآن لا يصلح غيرها في مكانها، ولو أُدير لسان العرب على كلمة غيرها لتؤدّي معناها لم يوجد، لأن معناها في هذا الموضع الذي وضعت فيه أمر يقتضيه السياق والحال .

[1] الجاحظ : البيان والتبيين : 1 : 20.

العدول بين الأفعال المتقاربة دلالياً

يستعمل القرآن اللفظين المتقاربين في المعنى المختلفين في الأصل استعمالاً دقيقاً يجد المتأمل فيه أن اختلاف بنيتهما هو لغاية مقصودة، مما دفع كثيراً من العلماء للنظر في أمر الترادف في الذكر الحكيم فاختلفوا بين مقرٍّ له ومُنكر . فالفريق الأول أقره لغةً، وأنكره فصاحةً وعذوبةً ؛ لأن ثمة ألفاظ أحسن من ألفاظ ومعناها في اللغة واحد وبهذا فهم لا ينكرون الترادف وإنما يؤثرون بعض الألفاظ على بعض ، ومن ذلك : " (لا ريب) أحسن من (لا شك) لثقل الإدغام و(وهَن العظم) أحسن من (ضعُف) لأن الفتحة أخف من الضمة ...الخ "[1]

ويرى الزركشي أن من فصاحة القرآن اختلاف الكلام باختلاف المقام، فلكل موضع لفظ يليق به ولا يحسن بمرادفه "... حتى لو أُبدل واحد منهما بالآخر ذهبت تلك الطلاوة وفاتت تلك الحلاوة " [2]. فهو ينفي الترادف ويقطع بعدمه لأن للتركيب معنى غير معنى الإفراد .

أما بنت الشاطيء فهي من أكثر الناس تمسكاً بمذهب إنكار الترادف ، ليس في القرآن الكريم ولكن في اللغة أيضاً، ما لم يكن الترادف ناتجاً عن اختلاف اللغات أو القرابة الصوتية . وتقول ــ بعد أن تنفي الترادف في العربية ــ : " ... والأمر كذلك في ألفاظ القرآن ما من لفظ يمكن أن يقوم غيره مقامه ، وذلك ما أدركه العرب الخُلَّص القدماء الذين نزل فيهم القرآن " [3]

وتنكر بنت الشاطيء ترادف الصيغ والأبنية حتى في الألفاظ التي تتفق مادتها وحروفها، بل لا يجوز أن تختلف الحركتان في كلمتين ومعناهما واحد [4] .

---

[1] - السيوطي الإتقان ، 4 : 22.
[2] - البرهان 2 : 118.
[3] - عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، دار المعارف مصر ، 1971م . ص 194.
[4] - نفسه ص 215 .

والراجح أنه لا ترادف في القرآن، ولا تغني كلمة عن كلمة فيه ؛ لأن كل لفظ فيه محكوم بسياقه. وسنورد بعض الأمثلة المتقاربة دلالياً، ونرى كيف أن الذكر الحكيم وظفها وفقاً لمقام القصة وأحداثها، ومن ذلك :

(ردَّ ـ أرجع)

لقد راعى الذكر الحكيم في استخدامهما الحالة النفسية للإنسان، إذ أن الأول يستعمل ــ غالباً ــ لما هو مستكره ثقيل تحاول النفس الخلاص منه، والثاني يستعمل لما تطلبه النفس وتتطلع إليه. ووردت هاتان اللفظتان في قصة سيدنا موسى ــ عليه السلام ــ وفي موضعين متشابهين قال تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾ (طه: ٣٨ – ٤٠) . وفي سورة القصص قوله تعالى:﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(القصص: ١٣)

فقد اختلفت اللفظتان بما يناسب السياق، ففي سورة طه خطاب من الله تعالى إلى موسى ــ عليه السلام ــ لبيان نعم الله ــ سبحانه وتعالى ــ عليه، وقد جاء السياق خطاباً مباشراً لسيدنا موسى ــ عليه السلام ــ ، ولم يرد في هذه الآيات وعد من الله عزوجل برده لأمه فقال تعالى(فرجعناك). وفي سورة القصص جاءت القصة أكثر تفصيلاً ولم تكن خطاباً لموسى ــ عليه السلام ــ فقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص: ٧ ثم قال: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (القصص:١٣). فناسب اللفظ السياق الذي ورد فيه من ذكر (رادوه). وهناك سبب

آخر لورود لفظ (رددنا) لما ذكر سبحانه وتعالى المراضع وعدم قبول موسي لهن ذكر لفظ (رددناه) لأنها تعني رد عليه الشيء أذا لم يقبله ، فعدم قبوله المراضع كان سببا في عودته لأمه.

وفي استعمال الفعل (رجعناك) خفة على اللسان لخفة الأمر، بخلاف الفعل (رددنا) ففيه كلفة وثقل على اللسان ناسبت ثقل الأمر [1]. والتضعيف مستكره ثقيل على اللسان كما أثبته الواقع اللغوي، جاء في شرح الشافية " اعلم أنهم يستثقلون التضعيف غاية الاستثقال إذ على اللسان كلفة شديدة في الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله عنه" [2]

(انبجست.انفجرت)

ومن اختلاف اللفظ تبعاً للسياق ما ورد في قصة موسى ــ عليه السلام ــ أيضاَــ قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٠) . وفي سورة البقرة قال تعالى: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: ٦٠) .

فقد سردت القصة الواحدة بطرق مختلفة، مع تنوع في الألفاظ والأساليب، ولا يكون ذلك في الكتاب المعجز إلا لنكت و دواع بلاغية، وفنية وإيحائية وأسلوبية. فالغرض هنا يرجع إلى سياق كل من الآيتين في سورة البقرة ذكر أن موسى استسقى لقومه بعد أن طلبوا منه ذلك الخيار بلفظ (انفجرت)، والانفجار أبلغ لأنه يعني تدفق الماء بكثرة وقوة، فتناسب الاستجابة لاستسقاء موسى ــ عليه السلام ــ (واذا استسقى) لذلك أمرهم في هذه الآية بالأكل والشرب .

[1] - السامرائي: من أسرار البيان القرآني ، دار الفكر عمان ، الأردن ط 1 2009م .ص47.
[2] - الإستراباذي / شرح الشافية 238/3.

وجاء سبحانه وتعالى بلفظ (انبجست) فى سورة الأعراف، (والانبجاس) هو ظهور الماء ولو كان قليلاً، وهو يسبق الانفجار لأنه أوله. فهو خروج الماء بهدوء و بدرجة أقل وجيء به هنا، مناسبة للسياق، لأنه استجابة لطلب بني إسرائيل استسقاء موسى ــ عليه السلام ــ لهم " وأووحينا إلى موسى ...الخ" ولذلك أمرهم بالأكل فقط [1].

وتتجلى هنا بلاغة القرآن المعجز، وتوظيف النص القرآني للمترادفات، وكيف أن اللفظة تحسن في مكان ويحسن مرادفها في آخر، دون أن يكون هناك أي تعارض أو لبس، وما ذلك إلا لتعلق السياق باللفظة، وقد عد الخطابي ذلك عمود البلاغة " اعلم أن عمود هذه البلاغة هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل على فضول الكلام موضعه الأخص و الأشكل به ... ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها مترادفة متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب والأمر فيها وفي ترتيبها عند العلماء بخلاف ذلك؛ لأن لكل لفظة خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها وإن كانتا تشتركان في بعضها " [2].

فالخطابي يشير إلى تعلق المترادفات بسياقاتها التوظيفية، وذلك من الملامح الأسلوبية في القرآن الكريم، إذ يناط بكل مفردة في سياقها أداء الأغراض والدلالات التي قصدت من وراء توظيفها في هذا السياق، وهذا التعاور بين المترادفات إنما هو دليل إعجاز لغوي و بلاغي.

(أبصر.آنس)

يرى كثير من اللغويين أن كلمتي (آنس) و (أبصر) مترادفتان، معناهما واحد وهو رؤية الشيء، يقال: أبصر الرجل الشيء وآنسه، ورآه إذا نظر إليه بعينيه [3]. وإلى ذلك ذهب القرطبي بقوله: آنستُ

[1] - صالح بن حسين العايد / نظرات لغوية فى لقرآن الكريم . ص81
وانظر لصلاح الخالدى / إعجاز القرآن البيانى ، ص201.
[2] - الخطابى / إعجاز القرآن . ص26.
[3] - لسان العرب : مادة (بصر)

ــ أبصرتُ [1] وابن عاشور : الإيناس : الإبصار الذي لا شبهة فيه [2]. وقد استخدم القرآن الكلمتين :(آنس) و(أبصر) وبما أنه لا ترادف بين ألفاظ القرآن، فلابد أن نتعرف على الفروق الدقيقة بينهما .

وردت كلمة (أبصر) في القرآن بمعنى الإبصار، سواء كان الإبصار رؤية عينية أو بصيرة قلبية. ووردت (آنس) بمعنى الإبصار وزيادة كثيراً في قصة موسى ــ عليه السلام ــ، عندما أبصر النار على جانب جبل الطور، وهو عائد من مدين إلى مصر، قال تعالى: "وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى* إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى" (طه: ٩ ــ١٠). وسورة النمل:﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (النمل:٧) وسورة القصص :﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (القصص: ٢٩.) . هذه ثلاث مواضع ذكر فيها فعل (آنس) في الإخبار عن النار التي رآها موسى ــ عليه السلام ــ فلماذا تم العدول عن (أبصرت) أو رأيت إلى(آنست) ؟

من المعلوم أن سيدنا موسى ــ عليه السلام ــ سار بأهله من مدين عائداً إلى مصر ومر على سيناء، ووصل إلى الوادي المقدس (طُوى) وهو الواقع بجانب جبل الطور، ولما وصل هناك كان الوقت ليلاً، وكان الجو بارداً جداً وضلّ موسى ــ عليه السلام ــ الطريق، وبذلك اجتمع عليه الظلام والبرد والحيرة. وبينما هو كذلك أذ أبصر ورأى ناراً بجانب جبل الطور، فاستبشر خيراً لأنها ستحل المشكلة التي يمر بها حيث رجا أن يجد عندها أحداً يساله عن الطريق، أو أن يأخذ منها ما يدفئهم وهذا واضح في الآيات : ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (القصص: ٢٩). إيناس موسى ــ عليه السلام ــ بالنار وزيادة بالأنس والاستبشار والطمأنينة والسكينة والرجاء، عيناه أبصرت النار،

[1] - الجامع لأحكام القرآن : 11: 115.
[2] - التحرير والتنوير : 16: 194.

وقلبه اطمأن إليها، ونفسه انشرحت، ومشاعره وأحاسيسه أستأنست بالنار، وهذه المعاني لا توجد في قولنا : " أبصر من جانب الطور ناراً" . فكل إيناس إبصار وليس كل إبصار إيناساً[1] . وممن ذهب إلى هذا المعنى الألوسي:" الإيناس خاص بإبصار ما يؤنس به وقيل هو بمعنى الوجدان" [2]. ثم ذكر قول الحارث بن حلزة :

آنَسَتْ نَبْأَةً وقد راعها القنّاصُ* عَصْراً وقَدْ دنا الإمساء** [3]

(آنستْ) هنا بمعنى (أحسّتْ) ؛ لأن نبأةً معناها : صوتاً،

(يمسّك ـ يصيبك)

ورد الفعلان في مقام دعوة سيدنا ابراهيم ــ عليه السلام ــ لأبيه إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام، وتخويفه من عذاب الله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾(مريم 44 ــ45) حيث عبر بـــ (يمسّك) بدلاً من {يصيبك} و { بالرحمن } بدلاً عن (الجبّار) " وكأنه يخوفه من العذاب الأدنى لو عامله الله برحمته فكيف لو عامله بشدته وجبروته" [4]. وفي هذا دقة اختيار اللفظ المؤدي للمعنى، وبراعة تصوير للحال والمآل. ومراعاة بينة للجانب النفسي .

(شرى ـ باع)

ومنه التعبير بـــ (شروه) بدلاً عن (باعوه)، في قصة سيدنا يوسف ــ عليه السلام ــ : إذ قال تعالى﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (يوسف 20). وذهب جل المفسرين إلى

---

[1] - صلاح عبد الفتاح الخالدي / إعجاز القرآن البيانى .ـ عمان : دار عمان للنشر ، 2000م ، ص20.
[2] - روح المعاني : 16: 165.
[3] - الحارث بن حلزة ، الديوان ، تحقيق أميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي : بيروت . ط 1 1991م ص 22.
[4] - عبد الحميد هنداوي : الإعجاز الصرفي : 179.

أن (شروه) بمعنى (باعوه)[1]، متفقين مع دلالته اللغوية، فإن للفعل (شرى) في اللغة معنيان ضدان[2]، أولهما اشترى والثاني (باع) وعليه قول عنتره :

حِصاني كان دلاّلَ المنايا * فخاضَ غِمارَها وشرى وباعا** [3]

ومعنى(باع) هو المقصود في هذه الآية الكريمة، وقرينة المعنى لفظ (بثمن) وكذلك لفظ(الزاهدين) ،لأن الزهد في شيء يتنافى مع شرائه ودفع ثمن له، ولكن ينسجم مع بيعه.[4] والآية الكريمة تكريماً لنبي الله يوسف ــ عليه السلام ــ لم تعبر عن بيعه بلفظ البيع الذي يكون للعبيد، وإنما جاءت بلفظ الأضداد ليكون في التعبير به تخفيفاً لوقع العبارة في النفس .

وذكر ابن قتيبه أن معنى شروه باعوه، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة 102) أي : باعوا[5]، واستشهد بقول ابن مفرّغ :

وشَرَيْتُ بُرْداً ليتني * من بعد بُرْدٍ كنتُ هامه** [6]

(وبُرد) غلام كان له فباعه ، وندم على بيعه . وشريت برداً أي : بعته .

(تسوّروا ـ تسلّقوا)

وقد يكون العدول بتوليد صيغ فعلية جديدة كما في لفظ (تسوروا) الذي فعله المتخاصمون المحتكمون إلى سيدنا داؤود ــ عليه السلام ــ: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ (ص 21–22) فــ {تسوروا } فعل مشتق من السور وهو الجدار المحيط بمكان أو بلد، يقال:

---

[1] أنظر :الكشاف : 2 : 309 . وروح المعاني : 12 :204 التحرير والتنوير : 12: 243.
[2] - انظر لسان العرب مادة (شرى).
[3] - عنترة ، الديوان ، ص 56.
[4] - تمام حسان ، البيان في روائع القرآن : 299.
[5] - ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن 188.
[6] - يزيد بن مفرغ الحميري ، الديوان ، جمع وتحقيق د. عبد القدوس أبو صالح ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط 2 : 1982 : ص 213

تسوّر إذا اعتلى على السور[1]، والمعنى أن بيت عبادة داؤود ــ عليه السلام ــ كان محوطاً بسور لئلا يدخله أحد إلا بإذن من حارس السور .[2] .

والصيغة الصرفية في (تسلَّقوا) هي (تفعلَّوا) والأصول الاشتقاقية في (السور) هي(س، و، ر) وقد ضمت الآية الكريمة الصيغة إلى الأصول الثلاثة فكانت نتيجة ذلك لفظ (تسوروا) الذي هو أخصر من كلمتين وأجمع في الدلالة على المعنى وأكثر حكاية له[3]. وتشير الصيغة (تسوروا) إلى أن باب محراب داؤود ــ عليه السلام ــ كان مغلقاً دون الناس، فجاء دخول الخصم عليه مفاجئاً ويدل على ذلك فزعه منهم .

مما تقدم ندرك مدى بلاغة القرآن في اختيار اللفظ المناسب وتوظيفه في سياقه وفق المقام وداعية الحال، وأنه لا يكون العدول عن فعل إلى آخر متحد معه في المادة المعجمية أو مخالف له فيها إلا لدواع بلاغية ودلالية يفرضها الموقف؛ فتجيء الألفاظ متسقة في عباراتها أيما اتساق ومؤدية لمعانيها وأغراضها ومراميها البلاغية .

---

[1] - لسان العرب مادة (س ور) .
[2] - الكشاف : 3: 368 : التحرير والتنوير :22: 232 . الجامع لأحكام القرآن : 15 : 112 . روح المعاني : 23 : 178.
[3] - تمام حسان ،البيان في روائع القرآن : 354.

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له أن أعانني على إنجاز هذه الدراسة. وبعد هذا المشوار الطويل الممتع الذي تنقلت فيه بين كتب التفاسير، وعلوم القرآن، والبلاغة أسجل أهم النتائج: ــ

1. القصص القرآني موسوعة بلاغية وأسلوبية والعدول الصرفي ظاهرة بارزة فيه ، فقد اشتمل على صور مختلفة للعدول بين الضيغ محور الدراسة تحقيقاً لأهداف بلاغية وخدمةً للصياغ القصصي.
2. في القرآن الكريم كل كلمة تقصد بلفظها وصيغتها،مما يدل على أن العدول في ألفاظه يحدث بحكمة، وزيادة بيان.
3. لوحظ أن كثراً من نماذج العدول عن المذكر إلى المؤنث في القصص القرآني متعلق بالجمع، وهو ما يُتَوَسَّع في تذكيره وتأنيثه.
4. أسلوب الالتفات نال حيزاً كبيراً في القصص القرآني؛ لأنه من أجلّ علوم البلاغة لما يملكه من قوة تأثير في ذهن المتلقي، وقدرة على إيصال المعاني .
5. تتميز المفردة في اللغة العربية بكثرة اشتقاقها، وهذا سبب في قضية الاشتراك في الصيغ والمميز بينها هو السياق، حيث تكتسب اللفظة خصوصية في المكان الذي توضع فيه وهذا لُبّ الدراسات الأسلوبية .
6. العدول بين المصدر والمشتقات مظهر من مظاهر التوسع اللغوي، أسهم فيه ما سماه النحاة الوصف بالمصدر، وغايته المبالغة في توكيد المعنى ؛ لأن المصدر أصل المعنى الذي تنشق عنه سائر الدلالات والمعاني.

7. العدول في التركيب الفعلي يتجلى بالتضاد في أزمنة الأفعال، مما يولد طاقة تعبيرية وقدرة على إثارة الحدث، ولفت انتباه المتلقي للأبعاد الدلالية لأحداث القصة القرآنية.

8. انتظام معاني الصيغ الصرفية، ومناسبتها للخطاب القصصي، ملمح من بلاغة السياق القرآني، بحيث يجيء اللفظ بمبناه ومعناه لا يسدُّ غيره مسدّه .

التوصيات :.

وفي الختام لا بد لي أن أقدم بعض التوصيات، راجيةً أن تكون دافعاً للباحثين لخدمة كتاب الله واوجه عنايتهم إلى أنواع عديدة من صور العدول، ومنها :

1. في الأسماء في صيغ الجموع والعدول بين الأسماء المتقاربة دلالياً، والعدول في وزن فعيل ... الخ .

2. في الأفعال العدول من حيث التعدي واللزوم، والعدول بين الفعل المبني للمعلوم والفعل المبني للمجهول ... الخ .

وكلها مجالات بكر، أرجو أن يتناولها الدارسون بالبحث؛ فإن كلام الله واسع، وسيظل الباب مفتوحاً لكل من يريد أن يلج منه للبحث في بلاغة القرآن؛ لأنه لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، وسيكون الأمر متاحاً لكل من يخلص النية لمثل هذه الدراسات .

المصادروالمراجع :

1. القرآن الكريم .
2. ابن الأبرص ، عبيد: ديوانه، تح وشرح حسين الصبار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر 1982م.
3. ابن الأثير، أبو الفتح نصر الله بن محمد: المثل السائر في أدب الكتاب، والشاعر، تح أحمد الحوفي وبدوي طيانة، مكتبة نهضة مصر ط 2 د ت .
4. ابن الأحنف ،عباس: ديوانه، دار بيروت، 1982م.
5. الإستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن النحوي: شرح شافية ابن الحاجب ، تح محمد نور الحسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1983م .
6. الأسمر ، راجي: المعجم المفصل في علم الصرف، راجعه أميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بريوت 1991م .
7. الأشبيلي ،علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور:
   - الممتع في التصريف، تح فخر الدين قباوة، دار الكتب العربية، ليبيا ط5 1983م .
   - شرح جمل الزجاجي، تح فواز الشعار، دار الكتب العلمية، بيروت 1998م .
8. الأصفهاني ، الراغب أبو القاسم الحسين محمد ، المفردات في غريب القرآن ، تح صفوان عدنان ، دار العلم دمشق، الدار الشامية بيروت ، ط 3 1423هـ.
9. الألوسي، شهاب الدين السيد محمد البغدادي : روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار التراث، القاهرة ، د ت .
10. بحيري ، أسامة : تحولات البنية في البلاغة العربية، دار الحضارة القاهرة 2000م .

11. بدوي، أحمد : من بلاغة القرآن ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ط 2 1950م

12.البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود ، معالم التنزيل، تح محمد عبد الله النمر وآخرين ، دار طيبة للنشر الرياض ، 1412هـ .

13.الباقلاني، أبو بكر محمد : إعجاز القرآن ، تح أحمد صقر 1963م .

14.أبو تمام، حبيب بن أوس: الديوان ، تح شاهين عطية ، شركة الكتاب اللبناني بيروت 1968م.

15. تيمور، محمود: دراسات في القصة والمسرح ، مكتبة الآداب القاهرة د ت .

16.الجرجاني ، عبد القاهر:دلائل الإعجاز، تصحيح محمد رشيد رضا ، مكتبة محمد علي صبيح ، القاهرة ط6، 1990م.

17.الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تح محمد أبوالفضل، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، د ت .

18.الجرجاني ،علي بن محمد الشريف: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان بيروت 1990م.

19.الجمحي، محمد بن سلام:طبقات فحول الشعراء، تح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د ت.

20.ابن جني، أبو الفتح عثمان:الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة بيروت دط . د ت.

21. جيرو، بيير: الأسلوبية ، ترجمة منزر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري حلب ، د ت .

22.الجاحظ ، أبو عثمان بن عمرو : البيان والتبيين، دار الفكر بيروت 1968م .

23.جاد المولى، محمد: قصص القرآن الكريم، دار المعرفة بيروت، ط1998،2م .

24.الحديثي، خديجة عبد الرازق:أبنية الصرف في كتاب سيبويه، مكتبة لبنان ناشرون، 2003م

25. حسان، تمام :

- البيان في روائع القرآن ، عالم الكتب القاهرة 1993م .
- العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب القاهرة ، ط3 1998م .

26.الحطيئة، جرول بن أوس: الديوان، برواية وشرح ابن السكيت، ضبط حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي ، بيروت 1995م

27. الحكيم ، توفيق : زهرة العمر ، مكتبة الأسرة القاهرة 1998م .

28.ابن حكيم ،الطرماح: ديوانه ، تح عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت ط2 : 1994م.

29. ابن حلزة ، الحارث: ديوان الحارث بن حلزة، تح أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت، ط1 1991م

30.الحملاوي ،أحمد: شذا العرف في فن الصرف، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة د ت .

31. الحميري، يزيد بن مفرع: ديوانه، جمع وتح د. عبد القدوس أبوصالح، مؤسسة الرسالة، بيروت ط2 19982م .

32.أبو حيان، محمد بن يوسف : تفسير البحر المحيط ، دار الفكر، القاهرة ، ط 2 1978م.

33.الخطيب ،عبد الكريم:القصص القرآني في مفهو مه ومنطوقه ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ط2 :1975م .

34.الخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد : بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح محمد خلف الله، ومحمد زعلول سلام ، دار المعارف القاهرة ط2 1968م.

35.الخنساء، تماضر بنت عمرو: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1986م .

36.الخولي ، أمين: فن القول، دار الفكر العربي، القاهرة 1947م .

37. الخويسكي ،زين كامل ، في الأسلوبيات ، دار المعرفة الجامعية 2009م .

38. الخالدي ، صلاح عبد الفتاح :

- القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث ، دار العلم ، الدار الشامية ، بيروت 1998م .

- إعجاز القرآن البياني، دار عمار ، عمان ، الأردن ، ط1 :2000م.

39. درويش ، أحمد: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة ، د ت.

40. الذبياني ، النابغة: ديوانه، تح كرم البستاني، دار صادر، دار بيروت : 1963م

41. ابن أبي ربيعة، عمر: ديوانه، شرح وتح عباس إبراهيم، دار الفكر العربي، بيروت ط1 1994م .

42.الرافعي، مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، راجعه درويش الجويدي،المكتبة العصرية ، بيروت 2004م .

43.الزركشي، بدر الدين بن محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي مصر، د ت .

44.ابن زريل ،عدنان: اللغة والأسلوب، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان 2006م.

45. الزمخشري، أبو القاسم جار الله بن عمر :

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، دار المعرفة بيروت د ت.

- أساس البلاغة : مكتبة لبنان ، الناشرون ، لبنان 1966م .

- المفصل في علم العربية، تح محمد عز الدين السعيدي، دار إحياء العلوم بيروت ط :1990م .

46. الزيات ، أحمد حسن : دفاع عن البلاغة ، عالم الكتب القاهرة ، ط2 1967م .

47.السبكي ،أبو حامد بهاء الدين أحمد بن علي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، تح عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ط1 2003م .

48. أبو السعود، محمد بن مصطفى: إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، دار إحياء التراث العربي بيروت د . ت .

49.السكاكي، يوسف بن أبي يعقوب: مفتاح العلوم، تح نعيم زرزور، دار الكتب، القاهرة 1983م.

50. السلمي، عباس بن مرداس: ديوانه ، شرح وتح يحي الحبوري، مؤسسة الرسالة ط1 :1991م .

51. ابن أبي سلمى زهير ، ديوانه ، شرح حمدو طماس ، دار المعرفة بيروت ، ط 2 : 2005م.

52. سلام ، محمد زغلول: أثر القرآن في تطور النقد الأدبي، دار المعارف القاهرة، ط 3 .

53.السلامي:،عمر الإعجار الفني في القرآن، مؤسسة عبد الكريم عبد الله تونس، 1980م.

54. سندريس، فيللي: نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة خالد محمود جمعة، دار الفكر، دمشق 2003م .

55.سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب تح عبد السلام محمد هارون ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ط3 1988م .

56. ابن سيدة، علي بن إسماعيل: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تح مصطفى السقا وحسين نصار، معهد المخطواطات، جامعة الدول العربية 1958م.

57.السيوطي، بهاء الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ،

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح محمد أحمد جاد المولى، دار الجيل بيروت ، د: ت .

- الإتقان في علوم القرآن، تح فؤاد أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت ط1 1999م.

58.السامرائي ، فاضل صالح:

- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن،ط1، 1999م .
- التعبيرالقرآني ، دار عمار، الأردن، ط4 2006م
- معاني الأبنية في العربية، دار عمار الأردن، ط1، 1981م .
- من أسرار البيان القرآني، دار الفكر، عمان ،ط1 ،2009م .

59.. شعبان ، مصطفى: الإعجاز اللغوي في القرآن، المكتب الجامعي الحديث، ط1، 2012م .

60.شاهين ،عبد الصبور: المنهج الصوتي للبنية العربية ، مؤسسة الرسالة بيروت ،1980م

61. الشايب ، أحمد :الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1977م .

62. الصعيدي ،عبد المتعال: بغية الإيضاح ، مكتبة الآداب ، القاهرة، 1999م.

63.الطبري، جعفر بن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن، دار الفكر بيروت 1978م .

64. طبل ، حسن: أسلوب الالتفات في البلاغةالقرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م.

65.الطيب، عبد الله: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، دار الفكر القاهرة 1970م.

66. عبد الفتاح ، بسيوني:

- علم المعاني، مكتبة وهبة القاهرة، د ت .
- روافد من نهر الإعجاز البلاغي في القرآن، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ط 1 2010م

67. عبد المطلب ، محمد:

- البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة ، ط1994،1م.

- البلاغة العربية، قراءة أخرى مكتبة لبنان ،ناشرون، لبنان، 1997م .

68.العبسي ،عنترة بن شداد: ديوانه، شرح الخطيب التبريزي، قدم له مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1 1992م .

69.عباس ، إحسان : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الثقافة بيروت ط 4 1983م .

70.أبو العتاهية، أبوالقاسم بن إسماعيل : الديوان، دار بيروت للنشر 1986م .

71.ابو العدوس، يوسف: الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمان ط 2 2010م .

72.العسقلاني، ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تح عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، مكتبة الايمان مصر ، د ت.

73.العسكري، أبو الهلال الحسن بن عبد الله : كتاب الصناعتين، تح علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل المكتبة العصرية بيروت ، 2013م .

74.العكلي ، سويد بن كراع ، ديوانه ، شرح حاتم الضامن ، عالم الكتب، بيروت ، ط1 :1987م.

75.العقاد ،عباس محمود: مراجعات في الآداب والفنون، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة 2012م .

76.عياد، شكري محمد ، مدخل إلى علم الأسلوب ، مكتبة الجيزة العامة ، القاهرة ط 2 :1992م.

77. عياشي ، منذر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب، د ت .

78. ابن عاشور ، محمد الطاهر بن: تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د ت.

79.العامري ، لبيد بن ربيعة: ديوانه، دار صارد، بيروت، د ت .

80.العايد، صالح بن حسين: نظرات لغوية في القرآن الكريم ، دار أشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض ط2 2002م

81.الغرناطي، أحمد بن إبراهيم الزبير: ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتأويل، تح محمود كامل، دار النهضة العربية بيروت 1405 هـ.

82.الغلاييني ، مصطفى : جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت 1985م.

83.الفراء ، أبو زكريا يحي بن زياد : معاني القرآن عالم الكتب، بيروت ط 2 1980م .

84. الفحل ، علقمة بن عبدة: ديوانه،شرح الأعلم الشنتمري، تح نصر حنا الحتي، دار الكتاب العربي بيروت ط1 1993م.

85. فضل ،صلاح :

- علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، النادي الثقافي ، جدة ، ط 3 :1988م .
- نظرية البنائية في النقد الأدبي ، دار الشروق، الرياض،1998م .

86.الفضل ،عبد الهادي: مختصر الصرف، دار القلم بيروت، د ت.

87.الفيروزابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تح عبد العليم الطحاوي ، المكتبة العلمية، بيروت، د ت .

88.ابن فارس، أبو الحسن أحمد: الصاحبي في فقه اللغة العربية، تح أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د. ت .

89.ابن قتيبة، أبو محمد بن مسلم: تأويل مشكل القرآن ، تح أحمد السيد صقر ، مكتبة نهضة مصر ط 2 ، د ت.

90.القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، تح إبراهيم أطفيش وأحمد البردوني، دار الكتاب المصرية القاهرة، ط2 . د ت .

91.القرطاجني أبو الحسن حاذم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب، دار الكتاب الشرقية بتونس 1966م .

92.القيزويني،الخطيب محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ط2 2010م .

93.قطب ، سيد: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة ، ط12 : 1992م .

94.القطان، مناع: مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، ط 12، 1983م .

95.القيرواني ، الحسن بن رشيق:العمدة في صناعة الشعر ونقده، مطبعة أمين هندية، القاهرة ، 1925م .

96.الكرماني:، محمود بن حمزة البرهان في متشابه القرآن، تح محمد عز الدين عبد الله، دار الوفاء، المنصورة مصر، ط 2، 1418هـ.

97. ابن كلثوم ،عمرو ، ديوانه: تح أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت 1991م .

98.المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد : الكامل في اللغة والأدب، تح محمد الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي القاهرة ، ط 3 1997م .

99.ابن مرداس ، العباس: ديوانه، شرح وتح يحي الجبوري،مؤسسة الرسالة ط1،:1991م .

100. المرصفي، حسين : الوسيلة الأدبية للعلوم العربية ، مطبعة المدارس الملكية ، القاهرة 1992م.

101. المسدي، عبد السلام : الأسلوب والأسلوبية ، الدار العربية للكتاب ، تونس ط3 1982.

102. مصلوح ، سعد: الأسلوب ــ دراسة لغوية إحصائية ، دار البحوث العلمية، 1980م.

103. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، تح أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ط3: 1999م .

104. مولينيه، جورج:الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ط2 2004م .

105. ابن مالك ، محمد بن عبد الله: متن الألفية، المكتبة الشعبية، بيروت، د ت .

106. نقرة، التهامي ، سيكولوجية القصة في القرآن ، الشركة التونسية للتوزيع، د :ت.

107. النميري، الراعي عبيد بن حصين ، ديوانه ، شرح د. واضح الصمد ، دار الجيل بيروت ، ط 1 1995م .

108. أبو نواس، الحسن بن هاني: ديوانه، دار صادر بيروت 1972م .

109. هريدي، عبد المنعم: تصريف الأسماء ، دار أبوالمجد، القاهرة، 1998م.

110. هلال ، محمد غنيمي:المدخل الى النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، 1973م .

111. هنداوي ،عبد الحميد أحمد يوسف: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت 2008م .

فهرس أبيات الشعر

البيت	الشاعر	البحر	الصفحة
قافية الهمزة			
آنَسَتْ نَبْأَةً وقد راعها القنّاصُ ***** عَصْراً وقَدْ دنا الإمساء	الحارث بن حلزة	الخفيف	180
والمَرْءُ يُلحِقُه بِفِتْيان النّدى **** خَلَقُ الكريم وليس بالوُضَّاء	ابو صدقة الدبيري	الكامل	137
قافية الباء			
ومَنْ يَكُ أمْسَى بالمدينةِ رَحْلُهُ ****** فإنِّي وقَيَّارٌ بها لَغَرِيبُ	ضابيء البرجمي	الطويل	71
طَحابِكَ قَلْبُ في الحسان طَرُوبُ * بُعَيْدَ الشبَابِ عَصْرَ حانَ مَشِيْبُ يكَلّفُني لُيْلَى وقَدْ شَطّ وَلْيُها **** وعَادَتْ عوادٍ بَيْنَنَا وَ خُطُوبُ	علقمة الفحل	الطويل	103
إذا العِيس لاقَتْ لى أَبادلفٍ فَقَدَ *** تَقطَّع ما بَيني وبين النَّوائب هنالك تَلْقَى الجُودَ حيثُ تَقَطعتْ * تمائِمه والمُجْدُ مُرْخَى الذّوائبِ	أبو تمام	الطويل	99
قافية الدال			
يادارَمِيَّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ *** أقْوَتْ وَ طالَ عليها سالفُ الأَمَدِ	النابغة الذبياني	البسيط	98
وإني لآتيكم تَشَكُّر ما مضى *** من الأمرِ واستيجاب مَا كان في غد	الطرماح بن حكيم	الطويل	152
قافية الراء			
لَقَدْ عَيّلَ الأيتامَ طَعْنَةُ ناشِرة *** أنا شَرِةَ لازالتْ يَمِيْنُكَ آشِرةً	نائحة عربية	الطويل	125
تَرْتَعٌ ما رتَعَتْ حتّى إذا ادّكَرَتْ *** فإنما هي إقبالُ وإدبارُ	الخنساء	البسيط	114
فقلنا أسلموا إنّا أخوكم *** وقد بَرِئتْ من الإِحَنِ الصُّدُور	العباس بن مرداس	الوافر	70

فَارَقْتُ (شِغْباً) وقَدْ فُوّستُ من كِبَرٍ *** لَبِئْسَت الخلتانِ الثُكْلُ والكِبَرُ	أبو العباس بن يزيد	البسيط	96
فكان مِجَنّي دونَ مَن كنتُ أتّقي *** ثلاثُ شُخوصٍ كاعبانِ ومُعصِرْ	عمر بن أبي ربيعة	الطويل	81
قافية العين			
حِصاني كان دلاّلَ المنايا *** فخاضَ غِمارَها وشرى وباعا	عنتر بن شداد	الوافر	181
وخَصْمٍ كنادي الجِنّ أسْقَطْتُ شَأْوَهُمْ **** بِمُسْتحصدٍ ذي مِرّة وصُدُوع	لبيد بن ربيعة	الطويل	72
فإن تَزْجُرَانِ يابْنَ عَفّانَ أنْزَجِرْ **** وإنْ تَدَعَاني أحْمِ عِرْضاً مُمَنّعاً	سويد بن كراع	الطويل	66
قافية الغين			
فَعَفَوتُ عنّي عَفْوَ مُقْتَدِرَ*** حَلّتْ له نِقمَ فالغاها	أبو نواس الحسن بن هاني	البسيط	128
قافية اللام			
لا يُصْلِحُ النفسَ أن كانت مُصّرفةً *** إلا انّتنقّل من حالٍ إلى حال	أبو العتاهية	البسيط	96
متى يشْتَجِرْ قومٌ تَقِلُّ سراتُهم *** همُ بيننا فَهُمْ رضىً وهم عدلُ	زهير بن أبي سلمى	الطويل	115
حتى إذا لم يتركوا لِعظامِه *** لحماً ولا لِفؤادِه مَعْقُولاً	الراعي النميري	الكامل	121
قافية الميم			
فيها اثنتانِ وأربعونَ حلوبةً *** سوداً كخافيةَ الغُرابِ الأسحم	عنترة بن شداد	الكامل	82
حَلّتْ بأرضِ الزائرين فأصْبَحَتْ *** عسراً عليّ طِلابُكِ ابنةَ مَخْرَمِ	عنترة بن شداد	الكامل	105
وقد عَلَوْتُ قَتودَ الرحلِ يسفَعُني *** يومٌ تجي به الجوزاءُ مسمومُ	شمّر بن عمرو الحنفي	البسيط	147
قافية النون			
تَظَلُّ جيادُه نَوْحاً عليه **** مُقَيّدَةً أعنّتُها صُفونا	عمرو بن كلثوم	الوافر	117
قافية الهاء			
وشَرَيْتُ بُرْداً ليتني *** من بعد بُرْدٍ كنتُ هامه	يزيد بن مفرغ	مجزوء الكامل	181

قافية الياء			
لا تُنكرِوا القَتْلَ وقدْ سُبِيْنَا ** في حَلقِكُم عَظْمُ وقَدْ شُجِيْنَا**	المسيب الغنوي	الرجز	68
ولَقدْ أَمرُّ على اللئيمِ يَسُبُّني * فمضيت ثمت قلت لا يعنيني**	شمر بن عَمرو	الكامل	147
كَأنَّ صَبا جاءتْ بريحِ لَطِيمةٍ* من المسكِ لا تُسْطَاعُ بالثمنِ الغَالِي**	عبيد بن الأبرص	الطويل	173
دَعِ المكارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِها * واقْعُدْ فإنك أنت الطّاعِمُ الكاسي**	الحطيئة	البسيط	126